

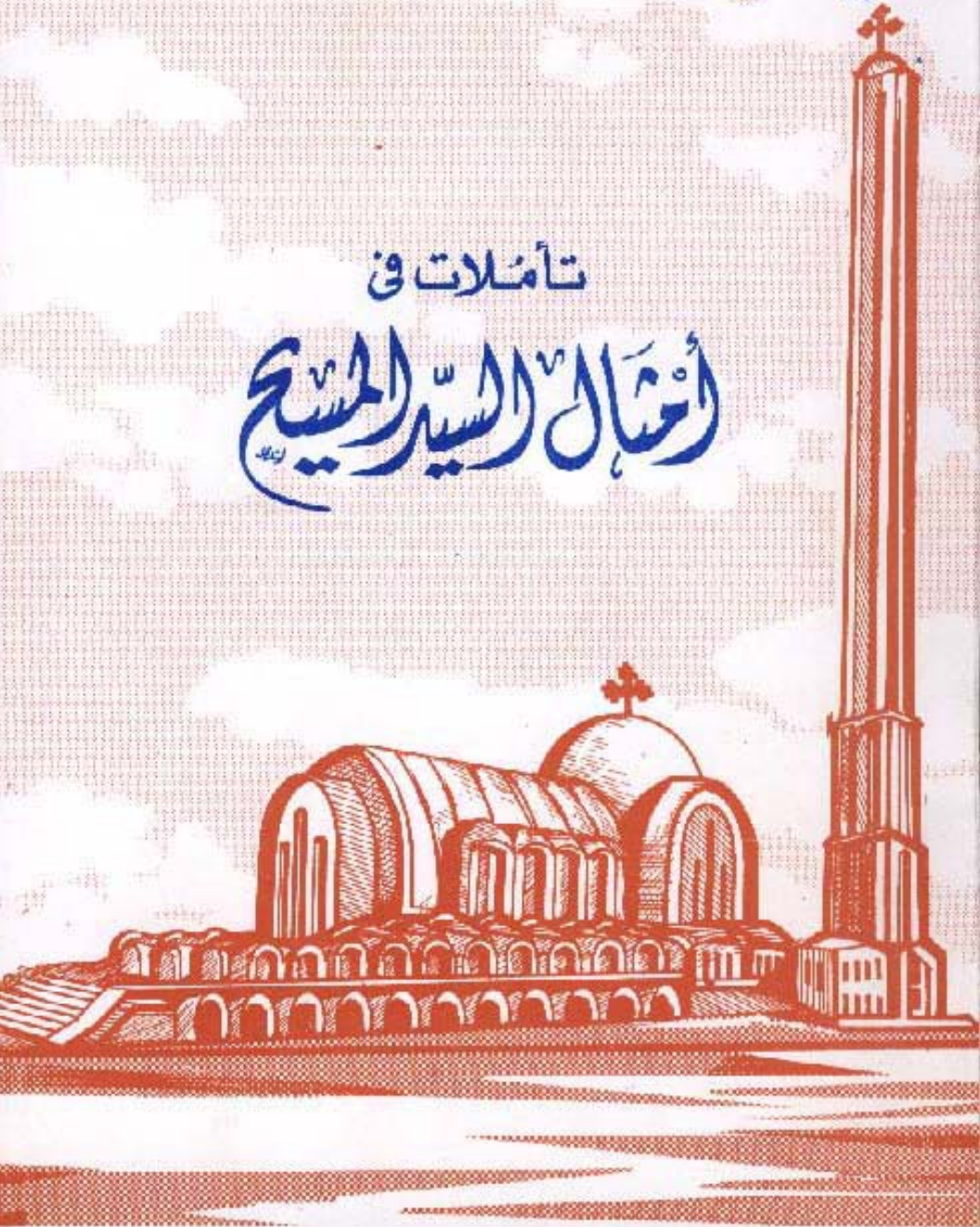
امكتبة القبطية على الانترنت



البيبا سنووه الثالث

تأملات في

أعمال السيد المسيح



البيبا سنووه الثالث

تأملات في

أقوال السيد المسيح

**15 Parables said by
Our Lord Jesus Christ**

By H.H. Pope Shenouda III

1st. Print

Nov. 2001

Cairo

الطبعة الأولى

نوفمبر ٢٠٠١

القاهرة

الكتاب : أمثال السيد المسيح .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بالعباسية - القاهرة
الرسومات : بيد الفنانة تاسونى سوسن .
الطبعة : الأولى نوفمبر ٢٠٠١م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست بالعباسية - القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتاب : ٢٠٠١/١٥٧٠٧
I.S.B.N. 977- 5345- 66- 9



عمارة عالمين القديسة والغبارة
الابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريك الكنيزة المروية

مقدمة الكتاب

نقدم لك في هذا الكتاب محاضرات ألقيناها في الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة خلال عامي ، ١٩٩٨ ، ١٩٩٩ .

إنها تشمل ١٥ مثلاً من أمثال السيد المسيح

★ تسعة أمثال منها من أنجيل متى (مت ٧، ١٣، ٢٥) .

وهي : مثل البيتين (مت ٧)، ومثل الزارع (مت ١٣)، ومثل الحنطة والزران

(مت ١٣). ثم بعض أمثال عن النمو مثل: حبة الخردل (مت ١٣). والخبيزة (مت ١٣)، والوزنات (مت ٢٥).

ثم مثل الكنز المخفي ، واللؤلؤة الكثيرة الثمن (مت ١٣) والكاثب المتعلم (مت ١٣).

★ ومثل واحد من أنجيل مرقس (مر ٤: ٢٦ - ٢٩).

هو مثل حبة القمح التي تنمو (ووضعناها ضمن أمثلة النمو).

★ وخمسة أمثال من أنجيل لوقا هي: السامري الصالح (لو ١٠)، والتينة غير المثمرة

(لو ١٣)، والدرهم المفقود (لو ١٥)، والغنى ولعازر (لو ١٦)، والفريسي والعشار (لو ١٨).

★ ووضعنا تمهيداً لهذه الأمثال يسبقها . وذلك في موضعين هما ملكوت السموات،

والوكلاء. لتكرار هذين الأمرين في كثير من أمثال السيد المسيح. وقد تكررت عبارة

"يشبه ملكوت السموات" سبع مرات في الأمثال التي وردت في (مت ١٣).

ونحن في هذا الكتاب لم نذكر كل أمثال السيد المسيح .

إنما ما ذكرناه هو أمثلة للانتفاع بها روحياً .

وأمثال السيد المسيح متعددة في أهدافها .

بعضها عن العمل بكلمة الله، كمثل البيتين .

والبعض عن اختلاف تأثير الكلمة في القلوب كمثل الزارع .

وبعضها عن حروب الشيطان ، كمثل الزوان .
وبعضها عن النمو الروحي ، مثل أربعة أمثال ذكرناها: ثلاثة من أنجيل متى، وواحد
أنجيل مرقس .

- والبعض عن أهمية ملكوت الله، مثل الكنز المخفي .
 - والبعض عن الخدمة ومعنى كلمة القريب، كالسامري الصالح .
 - والبعض عن عقوبة عدم الرحمة كمثل الغنى ولعازر .
 - والبعض عن عقوبة عدم الإثمار ، كمثل التينة .
 - ومثل عن الإلتضاع فى الصلاة ، كمثل الفريسي والعشار .
 - ومثل عن بحث الله عن الخطاة ، هو مثل الدرهم المفقود .
- * * *

وقد قَسَمْنَا الكتابَ إلى ستة أبواب :

تشمل الوكلاء، والملكوت، والتوبة، وأمثلة عن النمو الروحي، وعديد من المقارنات.
وأخيراً مثل السامري الصالح.

المهم أن ننتفع روحياً بهذه الأمثال ، ليكون لها التأثير النافع فى قلوبنا، وفى أرائنا.
أترك هذا الكتاب فى يديك أيها القارئ العزيز .
وأتركك أنت فى يدى الله المحب يرشدك ويقويك .

اليابا شنوده الثالث

نوفمبر ٢٠٠١

الباب الأول

مَجْرِدٌ وَوَكِيلٌ...

إِنْسَانٌ لَهُ وَكِيلٌ

« لو ١٦ : ١ »

يَا تَرَى مَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الْأَمِينُ

« لو ١٠ : ٤٤ »

المالك والوكلاء :

بعض أمثال السيد المسيح تتحدث عن إنسان غنى له وكيل.. (لوقا ١٦ : ١) وهذا الوكيل يعمل في كرم الرب .

فمن هو الغنى إلا الله العالى فى سماه، الذى له كل شئ وكل أحد.

لما (الوكيل) الذى يعينه الرب، فهو المسئول من قبله عن رعاية ما يكلفه الرب به للخدمة فى كرمه. والكرم هو الكنيسة، أو هو الشعب.

وهذا الوكيل ليس صاحب الكرم يتصرف فيه كما يشاء. بل هو مجرد خادم للرب، له صفة الوكيل. وهناك وقت معين يقول له الرب فيه "أعطني حساب وكالتك" (لوقا ١٦ : ٢).

✱ ✱ ✱

قد يكون الوكيل نبياً من الأنبياء: مثل ارميا النبي الذى قال له الرب "أنظر قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك.." (أر ١٠ : ١). وقد حدد له الرب فى تلك الوكالة ما يفعله.

وقد يكون الوكيل رسولاً: مثلما قال القديس بولس الرسول عن نفسه "قد أستؤمنت على وكالة" (١كو ٩ : ١٧). وتبعاً لذلك قال "إذ الضرورة موضوعة على، فويل لى إن كنت لا أئشر" (١كو ٩ : ١٦).

وقد يكون الوكيل كاهناً: كما قال الرسول أيضاً "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يُسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً" (١كو ٤ : ١، ٢).

أو قد يكون الإنسان وكيلاً على موهبة أو نعمة :

فهو لا يملك تلك النعمة أو الموهبة يتصرف فيها كما يشاء حسب هواه! بل هو وكيل على الموهبة يستخدمها حسب مشيئة الله يخدم بها ملكوت الله وشعبه. وفى هذا قال القديس بطرس الرسول: "ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١بط ٤ : ١٠).

لذلك رأيت أن أتأمل معكم فى عبارة (الوكيل) هذه، وما هى دلالاتها وأصنافها، وفى شروط الوكيل وطبيعة عمله. وما مدى تطبيق كلمة (الوكيل) على حياة كل منا .

※ ※ ※

★ أول شئ أقوله : إن الله مالك لكل شئ .

وفى ذلك قال المزمور "لرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز ٢٤ : ١)، فهو وحده الذى له الملك والقوة.. (مت ٦ : ١٣). وهو فيما يملك كل شئ، يملكنا نحن أيضاً .. نحن لا نملك أنفسنا ، ولا نملك ما فى أيدينا .

الله هو الذى يملكنا، ويملك ما نملك. ونحن مجرد وكلاء .

إننا وكلاء على أنفسنا ، وعلى أموالنا، وعلى حياتنا ووقتنا، ووكلاء أيضاً فى خدمتنا، وفى أسرارنا، وفى كل شئ .

※ ※ ※

★ أول وكيل من البشر كان آدم ، جننا جميعاً .

خلقه الله ، وأوجد له حواء، وجعله وكيلاً له فى الجنة. وقال له ولامرأته "تمتروا وأكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (تك ١ : ٢٨) .

ونفس الكلام قاله الرب لأبينا نوح وبنيه (تك ١٩ : ١ ، ٢).

فكان آدم وكيلاً لله فى الجنة. وكان نوح وكيلاً له فى الفلك، وفى خارج الفلك أيضاً .

※ ※ ※

وكانت الوكالة تحمل سلطناً ، ولكن داخل وصية الله .

وهذا واضح من عبارة "أخضعوها وتسلطوا على.." التى قيلت لآدم وحواء. ومن

عبارة " لتكن خشيتكم ورهبتم على كل حيوانات الأرض.." التى قيلت لنوح وبنيه .

كل هؤلاء الوكلاء كان لهم سلطان ، ولكن تحت سلطان الله .

لم يكن سلطان آدم ونوح سلطاناً مطلقاً، وإنما حسب وصية السيد الذى وكلهم . ولهذا

وجد أن آدم وحواء كان لهما سلطان على الجنة. أما شجرة معرفة الخير والشر فقد نهاهما

الله عن الأكل منها (تك ٢ : ١٧). وكذلك نوح وبنيه نهاهم الله أن يأكلوا لحماً بحياته دمه"

(تك ٩ : ٤).

※ ※ ※

★ نقرأ أيضاً عن طفل صغير وكله الله . هو صموئيل .

وكله على تبليغ رسالة منه إلى على الكاهن (اصم ٣). ومن ذلك الحين عرف الجميع أنه قد أوتمن صموئيل نبياً للرب" (اصم ٣: ٢٠).

ثم وكل الرب صموئيل النبي فى مسح الملوك . فمسح شاول ملكاً (اصم ١٠: ١ ، ٩) .
ومسح داود ملكاً (اصم ١٦: ١٣) ، مع كل ما تحمل تلك المسحة من حلول الروح القدس
ومن موهبة التنبؤ .

★ أيضاً ارميا - وهو فى حدثته - جعله الله وكيلاً له .

وقال له "أنظر قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك . لنقلع وتهدم وتهلك
وتنقض ، وتبنى وتغرس" "إلى كل من أرسلك إليه تذهب ، وتتكلم بكل ما أمرك به" (أر ١ :
١٠ ، ١٧) .

★ كل الأنبياء كانوا وكلاء لله ، وكل من دعاهم مسحاء له .

كلهم كانوا يبلغون رسالته للناس ، ويعملون ما يريده . وكان الواحد منهم يسمى "رجل
الله" . كما دعى بهذا اللقب إيليا النبي (امل ١٧ : ١٨) . وكما دعى بهذا اللقب أيضاً أليشع
النبي (امل ٤ : ٩) (امل ١ : ٢٧) (امل ٥ : ٨ ، ٢٠) .

★ موسى النبي أيضاً كان وكيلاً للرب .

يبلغ رسالته إلى الشعب وإلى فرعون ، وينفذ وصية الرب . وقد قال الرب عنه
لهارون ومريم "أما عبدى موسى .. فهو أمين فى كل بيتى . فما إلى فم وعياناً أتكلم معه ..
وشبه الرب يعاين" (عد ١٢ : ٧ ، ٨) . وكان موسى وكيلاً للرب فى تبليغ الوصايا العشر
وباقى الوصايا ، وفى بناء خيمة الاجتماع بكل ما تحوى من مذابح .

وهكذا قيل عن خيمة الاجتماع وكل محتوياتها "ف فعل موسى بحسب كل ما أمره الرب ،
هكذا فعل" (خر ٤٠ : ١٦ . وتكررت فى نفس هذا الإصحاح عبارة "كما أمر الرب موسى"
(خر ٤٠ : ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢) .

إنه كوكيل لله ، ينفذ كل ما أمره للرب به ...

وهكذا العاملون معه - فى كل ما صنعوه - تكررت عبارة "كما أمر الرب موسى"
(خر ٣٩ : ٢١ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤٢) .

★ يوسف الصديق أيضاً : فيما كان وكيلاً لتوظيفه الذي وكله على بيته، ودفع إلى يده كل ما كان له" (تك: ٣٩ : ٤). كان في نفس الوقت وكيلاً على الطهارة التي إبتتمه الله عليها. فقال لزوجته سيده لما أغرتة "كيف أفعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله!!" (تك ٣٩ : ٩) .

★ ويوحنا المعمدان : مع أنه كان "أعظم من نبي" (مت ١١ : ٩)، إلا أنه في تواضعه قال لليهود "أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت لست أنا المسيح، بل انى مرسل أمامه. من له العروس، فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذن فرحى هذا قد كمل" (يو: ٣ : ٢٨ ، ٣٩).
على أنه كان أيضاً بلاشك وكيلاً للرب ، حينما بلغ رسالته إلى الملك هيرودس قائلاً له: لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك" (مت ١٤ : ٤) .

★ هكذا كل من له رسالة معينة، هو وكيل لله فى هذه الرسالة.

غظة كبيرة أن يوجد إنسان فى خدمة، فيظن أنه صاحب الخدمة!!

فالكاهن فى الكنيسة ليس له أن يظن أنه صاحب الكنيسة !

وكذلك الأسقف فى الإيبارشية ، ليس هو صاحب الإيبارشية .

كل هؤلاء هم وكلاء . أما صاحب الكنيسة فهو الله. وصاحب الإيبارشية هو الله.

وصاحب البطريركية هو الله. وصاحب الشعب كله هو الله . وكل هؤلاء الخدام الذين

أقلامهم، هم مجرد وكلاء .

★ كذلك الأب والأم فى البيت :

كل منهما .. فى محيط الأسرة - هو وكيل : فى تربية الأولاد. وكيل "يدبر بيته حسناً"

(١تى: ٣ : ٤) .

إنه وكيل له سلطان على أولاده : يكرمونه ويطيعونه ويخضعون له. ولكنه فى هذه

الوكالة ، يضع أمامه قول الوحي الإلهى "أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا" (كو: ٣ :

٢١) (أف: ٦ : ٤) .

شروط الوكيل وعمله :

أول صفة هي أن يكون في مسؤليته "أميناً وحكيماً" .

وفي ذلك يقول السيد الرب "يا ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم في حينه. طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده، يجده يفعل هكذا" (لو ١٢: ٤٢، ٤٣) .

ومن الأمانة أن يقوم بواجبه بكل جدية وإخلاص، وتدقيق، لكي تأتي خدمته بالثمر المطلوب .

وعبرة "يعطيهم طعامهم في حينه"، تعني الطعام المادي والروحي .

تعنى كليهما معاً بقدر ما تحمل مسؤليته. فالأب في البيت عليه أن يهتم ليس فقط بما تحتاجه أسرته من طعام مادي، وإنما من طعام روحي أيضاً، حسبما تقول الوصية في سفر للتثنية (تث ٦: ٦، ٧)، وكذلك الأب الروحي - أسقفاً أو قساً - عليه أن يهتم للطعلمين لرعيته . يهتم بما يلزمهم من روحيات، وأيضاً لا يغفل ما يحتاجونه مادياً .

وعبرة "طعامهم في حينه" تعنى أنه لا يتأخر في معرفتهم .

وهذا ينكرنا بقول الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون في طاقة يدك أن تفعله. لا تقل لصاحبك اذهب وعد غداً فأعطيك، وموجود عندك" (أم ٣: ٢٧، ٢٨). ومن الناحية الروحية إن تأخر في إطعام الطفل روحياً، ستصعب حالته حينما يصير شاباً. كذلك بعض المشاكل الروحية إن تأخرنا في حلها ستتعقد. ينبغي إذن أن تحل في حينها .

والوكيل الحكيم يعرف كيف يتصرف في الأمور بالأسلوب اللائق .

لدرجة أن السيد الرب مدح وكيل الظلم، لأنه بحكمة صنع" (لو ١٦: ٨) وفي اختيار الشماسة السبعة، كان الشرط أن يكونوا "مملوئين من الروح القدس والحكمة" (أع ٦: ٣). ومع أن المملوء من الروح القدس لا بد أن يكون تلقائياً مملوءاً من الحكمة، إلا أن الآباء المرسل شددوا على صفة الحكمة .

✱ ✱ ✱

★ من شروط الوكيل أيضاً أن يتاجر ويربح .

وهذا ما اهتم الرب به في مثل الوزنات (مت ٢٥: ١٤ - ٣٠)، وفي مثل الأمناء (لو ١٦: ١٥ - ٢٦). كان لا بد "للكل أن يتاجروا ويربحوا.. أصحاب الكثير منهم وأصحاب

القليل. وهكذا كفا صاحب الخمس وزنتك لأنه " تلجر بها وريح" (مت ٢٥: ١٦)، وهكذا كفا أيضاً صاحب الوزنتين . بينما عاقب صاحب الوزنة الواحدة لأنه دفن وزنته في التراب ولم يريح (مت ٢٥: ٢٤ - ٣٠). وبالعمل في مثل الأمانة .

وأنت هل تلجرت بكل موهبة منحك الله ليأمانا، وريحت ؟

هل كل مسئولية لوكلاها لله إليك نمت وتزدهرت ؟

هل ريحت نفوساً للرب ؟ هل بنيت شيئاً في ملكوته ؟

لم دفنت وزنتك في التراب ؟ لم خسرتها هي أيضاً ؟؟

* * *

★ من شروط الوكيل الصالح أن ينفذ مشيئة سيده .

لا يكون حكيماً في عيني نفسه" (رو ١٢: ١٦)، وينفذ مشيئته الخاصة كما فعل شاول الملك (اصم ١٥) فضب عليه الرب، وفارقه روح الله (اصم ١٦: ١٤). والوكيل الصالح لا ينفذ مشيئة الناس، كما فعل رحبعام بن سليمان، فقد ملكه" (امل ٢: ٢ - ١٦)..

بل ينفذ مشيئة الله، كما فعل موسى النبي. وهكذا كتب في سفر الخروج تفعل موسى بحسب كل ما أمره الرب، هكذا فعل" (خر ٤٠: ١٦). وتكررت عبارة "كما أمر الرب موسى" مراراً كثيرة (خر ٣٩: ١) (خر ٣٥: ٢٩) . وأيضاً دلود النبي "كان قلبه كمالاً مع الرب إلهه" (امل ١١: ٤) .

* * *

★ والمفروض في الوكيل الصالح أن يضع في نفسه، أنه سيطوحي حساباً عن وكلاته أمام سيده (لو ١٦: ٢) .

لذلك عليه أن يكون ساهراً باستمرار على مسئوليته، لا يفتل عنها. كما قال السيد الرب "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو ١٢: ٣٧) "ثلاً يأتي بغيته فيجدهم نياماً" (مر ١٣: ٣٦) .

* * *

★ والوكيل الأمين الحكيم ، لا يهتم بذاته بل بمسئوليته .

وهكذا قرأنا في سفر حزقيال النبي حكماً شديداً على الرعاة الذين يتصرفون هكذا . فقال السيد "إن غنمي صارت غنيمة. وصارت غنمي مأكلاً لكل وحش الحقل. إذ لم يكن راع، ولا سأل رعائي عن غنمي، ورعى الرعاة أنفسهم، ولم يراعوا غنمي لذلك.. هلئذا

على الرعاة، وأطلب غنمى من يدهم، وأكفهم عن رعى الغنم، ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد. فأخلص غنمى من أفواههم، فلا تكون لهم مأكلاً" (جز ٣٤: ٨ - ١٠) .
لقد تكررت عبارة "رعى الرعاة أنفسهم" عدة مرات فى هذه الفقرة! كل أولئك كانوا وكلاء أرباء .

والرب هنا يذهرهم بما قاله قبلاً لوكيل الظلم "أنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد" (لو ١٦: ٢) . وهكذا قال فى سفر حزقيال النبى "وأكفهم عن رعى الغنم. فأخلص غنمى من أفواههم" (جز ٣٤: ١٠) .. وقال أيضاً للكرامين الأرباء "إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تصنع أثماره" (مت ٢١: ٤٢) .
إن الله كما يمنح وكلاءه سلطاناً، فإنه يعرضهم أيضاً للعقوبة إن لم يسلكوا حسناً، إذ يأتى وقت يحاسبهم، وقد يكون ذلك "بغته" ..

أنت كوكيل ؛

ليس الوكيل هو كل وكيل على شعب، أو على خدمة كنسيه، إنما أنت وكيل على ذاتك - كما سنرى - وعلى مسؤولياتك .

١ - أنت وكيل على حياتك :

حياتك ليست ملكاً لك، إنما هى ملك لله الذى خلقك من العدم، وأيضاً هى ملك لله الذى افتدك واشتراك بثمن" (١كو ٦: ٢٠) .

فأصبحت حياتك ليست ملكك، وإنما أنت وكيل على هذه الحياة، تتصرف فيها حسب مشيئة صاحبها الذى هو الله .

من هنا كان الانتحار خطية. لأن المنتحر لا يملك هذه النفس التى يقتلها، فهى ملك لله. وأيضاً الإجهاض خطية . لأن المرأة لا تملك هذا الجنين حتى تتصرف فيه كما تشاء وتحرمه نعمة الوجود . إنها مجرد وكيلة عليه، تحفظه لأجل صاحبه الذى هو الله" ...

وهكذا قتل الغير خطية لأنه كما أن الإنسان لا يملك حياته لينهيها، كذلك لا يملك حياة غيره ليحرمه منها. إنه بهذا لا يخطئ فقط إلى صاحب تلك النفس حتى يقتله ، بل يخطئ أيضاً إلى الله مالك تلك النفس .

* * *

٢ - وكما أنك لا تملك حياتك ، كذلك لا تملك وقتك .

فوقتك هو جزء من حياتك . وأنت مجرد وكيل عليه، تتصرف فيه بما يمجده الله .
والذى يبذر وقته بعيش مسرف ، إنما يضيع وزنة قد إئتمنه الله عليها .
لا تقل إن الله له يوم فى الأسبوع هو "يوم الرب" أعطيه له، أنصرف فى الباقي كما
أشاء !! كلا، فالله له أيضاً بكور يومك ، حيث تقول له "يا الله ، إليك أبكر، عطشت نفسى
إليك" (مز ٦٣ : ١) . وله أيضاً نهاية يومك، حيث تقول له "كنت أنكرك على فراشى.."
(مز ١١٩) . بل له كل دقيقة من دقائق حياتك، أنت وكيل عليها .. فهل تظن أن للرب يوماً
واحداً فى الأسبوع ، وباقى حياتك ليست ملكاً للرب !! حاشا لك يا أحمى ، أن تفصل
ساعة واحدة من حياتك عن الله!، ولا حتى لحظة منها..
* * *

٣ - أنت أيضاً وكيل على جسدك وروحك ..

وهكذا يقول الرسول "لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم
التي هى لله" (١كو٦ : ٢٠) . ما أعمق عبارة "التي هى لله" .. إذن هى ليست لك، وجسدك
ليس لك، لأن الرسول يقول فى نفس الإصحاح "أستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء
المسيح" (١كو٦ : ١٥) . وأيضاً "الجسد ليس للزنا، بل للرب" (١كو٦ : ١٣) .
مادام الجسد ليس ملكك بل للرب ، يجب أن تمجد الله فيه .
ما أجمل أيضاً فى ملكية الله لجسدك ، قول الرسول " أم لستم تعلمون أن جسدكم هو
هيكل الروح القدس الذى فيكم" (١كو٦ : ١٩) . لذلك ينذر قائلاً "إن كان أحد يفسد هيكل
الله، فسيفسده الله. لأن هيكل الله مقدس، الذى أنتم هو" (١كو٣ : ١٧) .
مادام جسدك إذن ليس هو لك، بل للرب، ومادام هو هيكل الروح القدس، وأنت مجرد
وكيل عليه، إذن إحفظه مقدساً لله ...

وكذلك روحك . إذ يقول الرسول "لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح
يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو٨ : ١) .
الروح ملك لله ، لذلك يقول الكتاب عن حالة الموت "يرجع التراب إلى التراب كما
كان. وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها" (جا١٢ : ٧) .
ومادامنا وكلاء على أرواحنا ، فلنهتم إذن بشمر الروح (غل٥ : ٢٢، ٢٣) وندرك أن
اهتمام الروح هو حياة" (رو٨ : ٦) . ولننتذكر قول الرسول: "من يزرع للروح ، فمن الروح
يحصد حياة أبدية" (غل٦ : ٨) .

وملامنا وكلاء على أجسادنا وأرواحنا، فلنبعد عما يتلف الجسد والروح، كالبعد عن النجاسة، وعن للتخين، والمخدرات، والمسكر، وسائر المعادات الرديئة. حتى الصوم ينبغي أن نساك فيه بإفراز وتحت إرشاد. لأنه ليس هدفنا أن نقتل الجسد، بل أن نحفظه منضبطاً.

وأرواحنا علينا أن ننميتها بالعمل الروحي، وبالتدريبات الروحية.

فالله قد وهبنا الروح بنفخة من فمه (تك: ٢: ٧) لكي تكون وكلاء عليها، ننميتها في محبته. ووهبنا الجسد لكي نكون وكلاء عليه، نحفظه طاهراً كهيكل للروح القدس .

٤ - أنت وكيل أيضاً على عقلك وفكرك .

لقد خلقك الله مخلوقاً عقلاً. ووهبك هذا العقل لكي تكون وكيلاً عليه. لا تستعمله إلا في الأمور الصالحة، ولا تخزن فيه إلا كل فكر نقي. حتى لا يخرج من عقلك الباطن ما يعكر نقلوتك، وما يسيئ إلى عواطفك، وما يسيئ إلى علاقتك بالله والناس ...

عقلك هو مخزن لأفكارك ، وهو المدبر لها . هو يستقبل من الحواس، ويصدر إلى القلب، ويشعل الأحاسيس، ويقود الإرادة. وأنت كوكيل لهذا العقل، عليك أن تضبطه في المسار السليم، وتوقفه إذا تحرف ...

لما إن تركت عقلك يسرح حيثما يشاء بلا ضابط، فسوف يسألك الله عنه قائلاً "اعطني حساب وكلائك". وتدان على عدم ضبطك للفكر، وما ينتج عن ذلك .

٥ - أنت أيضاً وكيل على مالك :

المال الذي عندك، ليس هو لك. إنما أنت وكيل عليه، تتصرف فيه كما يريد إلهك أن تتصرف. لا تقل أنا حرّ في مالي، اعمل به ما أشاء! لا تقل إن الله لا يملك من مالي سوى العشر، والباقي أنا حرّ فيه، لا شأن لله به!! كلا، فأنت مسئول أمام الله عن كل ما تتفقه، لأنك مجرد وكيل ، ولست تملك في واقع الأمر ما عندك.

انظر ، كيف أن الناس عندما تبرعوا لبناء الهيكل، قالوا للرب "منك الجميع، ومن يدك اعطيناك" أيها الرب، كل هذه الثروة التي هيأها لنا لنبنى لك بيتاً لاسم قدمك، إنما هي من يدك، ولك الكل" (١١ أي: ٢٩، ١٤، ١٦) .

إن الله هو صاحب المال. وما تتفقه منه ينبغي أن يكون حسب مشيئته. سواء كان ما

تتفق هو من مالك، أو مال الكنيسة، أو مال جمعية، أو إحدى المؤسسات. في كل ذلك أنت مجرد وكيل .

والناس في تصرفهم في المال ينقسمون إلى قسمين: قسم بخيل، يده مقبوضة لا تنفق إلا بصعوبة، ويظن أن البخل لون من الأمانة في المال. وقسم آخر يبعثر المال، وينسى أنه مسئول عما يبعثه!! والوضع الصحيح هو الحكمة في التدبير ...

أنت أيضاً وكيل على البكور والعشور: إذا لم تعطها لأصحابها من الفقراء أو الكنيسة، يكون هذا المال الذي احتجزته عندك ولم تقدمه لأصحابه هو مال ظلم، ظلمت أصحابه فيه. وعنه قد قال الرب "اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم" (لو ١٦ : ٩). فالفقراء الذين تعطيتهم من هذا المال المحجوز عندك وهو من حقهم، سيصلون لأجلك إن أعطيتهم إياه.

والكتاب صريح في هذه النقطة . إذ يقول الرب في سفر ملاحى النبى: "أيسلب الإنسان الله؟! فإنكم سلبتموني. فقلتم بما سلبناك...؟ فى العشور والتقدمة.." (ملا ٣ : ٨) .

ليس فقط من جهة العشور والبكور والتقدمة، بل إن الله بصفته صاحب المال كله، فإنه يقول لك كوكيل له على هذا المال "من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده" (مت ٥ : ٤٢) .

بعد هذا نسال : هل الذين يعيشون فى ترف زائد، وينفقون على أنفسهم بإسراف فى شتى الكماليات، ولا يعطون الفقراء: هل هؤلاء أمناء وكلاء على المال؟! أم أنهم فى إنفاقهم يحابون أنفسهم على حساب الفقراء! .

✱ ✱ ✱

٦ - أنت إذن وكيل على خدمة الفقراء .

سواء من مالك الخاص، أو من مال الكنيسة، أو مال مؤسسات خيرية. مشكلة بعض الهيئات أنها تساعد الأسرات الفقيرة بأسلوب روتينى عن طريق كشف به مساعدات موحدة ثابتة تصرف لكل أسرة، دون بحث احتياجاتها عملياً، وسداد هذه الاحتياجات ! مما يلجئ هذه الأسرات المحتاجة أن تطلب من مصادر متعددة.. ويتهمونها حينئذ بالاحتيال! فلا هم أعطوها كل ما يسد احتياجاتها، ولا تركوها وشأنها تطلب من غيرهم!!

كوكلاء عن الفقراء، ليس هذا الأسلوب مقبولاً منهم، ولا هو مقبول عند الله! إنما الوكيل الأمين يبحث كل متطلبات الفقير ويتأكد من استيفائها.

يقولون وماذا عن المحتالين، الذين يطلبون من الكل بغير احتياج؟! نقول لقد وصف

الرب الوكيل بأن يكون أميناً حكيماً. والحكمة تقتضى أن مال الرب الخاص بالمحتاجين، لا يُعطى للمحتاجين. ويأتى هذا بالبحث الجيد للحالات، وتنسيق العطاء بين كافة الهيئات... إن هدف كل من يقدم العشور أن يصل عطاؤه إلى الله، وإلى الفقراء بالذات. وعلينا كوكلاء أمناء للفقراء أن نطمئن على وصول العطاء إليهم .

✱ ✱ ✱

٧ - أنت أيضاً وكيل فى الخدمة الروحية .

يقول القديس بولس الرسول فى هذا الأمر "قد استؤمنت على وكالة" "قويل لى إن كنت لا أبشر" "إذ الضرورة موضوعة على" (١كو٩: ١٧، ١٦). إذن هى وكالة. وويل لمن لا يقوم بوكالته ..

أنت مثلاً مدرس فى مدارس الأحد ، والضرورة موضوعة عليك أن تعلمهم فى هذه السن. وقد استؤمنت على هذه المسئولية التى أوكلتها الكنيسة إليك، فويل لك إن لم تقم بها بكل أمانة، بأن تغرس فىهم الإيمان ومحبة الله، ومعرفة العقيدة وممارسة الفضائل. وإلا فإن الله سيقول لك "أعط حساب وكالتك" (لو١٦: ٢). ويحاسبك على كل نفس ضلّت بسبب أهمالك أو تقصيرك.

ونفس الكلام نقوله عن الوكلاء على خدمة الشباب.

ونقوله أيضاً للأباء الكهنة فى خدمة الشعب وافتقاده، وحلّ مشاكله، وارشاده وتلقى اعترافاته، كوكلاء أمناء، الضرورة موضوعة عليهم. وسيطال بهم الله بدم كل إنسان أهملوه، فمات فى خطيته بسببهم (جز٣: ١٨) (خر٣٣: ٨).

ما أجمل وأعمق التقرير الذى قدمه ربنا يسوع المسيح عن خدمته لله الأب فى (يو١٧). قال له فيه "أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتنى" "حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى اسمك.. ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب" "عرفتهم اسمك، وسأعرفهم. ليكون فىهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فىهم" (يو١٧: ٢٦) .

✱ ✱ ✱

٨ - وفى الخدمة الروحية، أنت أيضاً وكيل على التعليم الدينى.

فتقدم التعليم الكتابى ، الأرثوذكسى، السليم. كما قال القديس بولس لتلميذه تيطس "أما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح" (تى٢: ١) .

نقول هذا لأن البعض يعلم فكره الخاص وليس تعليم الكنيسة!! ويحاول أن يلغى

المفهوم العلم الراسخ في إيمان الناس، ليبتدع مفهوماً جديداً يقدمه لهم. وهكذا يقع في بدعة، ويشغل طاقات الكنيسة في الردّ عليها!! كل ذلك ليثبت أنه يفهم ما لا يفهمه غيره.. ولهذا قال القديس يعقوب الرسول "لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم. لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا" (يع ٣: ١، ٢) .

وقد حارب السيد المسيح هذا النوع من الناس، كالكثبة والفريسيين، وقال عنهم إنهم "قادة عميان"، وأظهر أخطاءهم في التعليم (مت ٢٣).

لذلك أحرص في خدمة التعليم - كوكيل أمين - أنك لا تقدم للناس تعليماً، إلا لو كان لك عليه شاهد من الكتاب المقدس، وبتفسير سليم حسب عقيدة الكنيسة، سواء في ذلك خدمة المنبر، أو التأليف، أو الإرشاد، أو خدمة الكلمة عموماً.

ومن حرص الكنيسة على التعليم السليم، قول القديس بولس الرسول "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما" (غل ١: ٨). وقال القديس يوحنا الرسول "إن كان أحد يأتيكم ولا يجي بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام..". (٢ يو ١٠: ١١). ومن حرص الكنيسة على التعليم، أنها عقدت المجمع المسكونية والأقليمية لتحفظ سلامة التعليم من البدع.

٩ - أنت أيضاً وكيل على المواهب التي يمنحك الله إياها .

كل موهبة صالحة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار" (يع ١: ١٧) وهي معطاة منه، لأجل البنين .

وأنت كوكيل على كل موهبة يعطيك الله إياها، لتستخدمها لمجد اسمه، وليس لمجدك الخاص. كما قال المرثل في المزمور "ليس لنا يارب ليس لنا، لكن لاسمك القدوس أعط مجداً" (مز ١١٥: ١) .

لقد وهب الله بعض الناس موهبة العلم، فاستخدموه في الاستسناخ وفي بنوك البيوضات المخصبة، وفي الأسلحة المدمرة!! واستخدمت ايزابيل نكائها في مساعدة زوجها آخاب الملك على سلب حقل نابوت اليزرعيلي وقتله (امل ٢١). وحاول أختيوفل استخدام ذكائه للفتك بدادود الملك (٢ صم ١٥: ٣٢) . ووهب الله دليلة جمالاً فاستخدمته للسيطرة على شمشون وإيقاعه (قض ١٦). أما أنت فلا تكن كذلك.

إن وهبك الله موهبة، فكن وكيلاً صالحاً عليها. سواء موهبة في الفن والرسم، أو

الشعر والموسيقى (كما كان يفعل داود). وإن وهبك نكاه وحكمة، أو وهبك جمالاً. ليكن كل ذلك لبناء ملكوته، ولمنفعة للمجتمع والكنيسة.

لا تكن مثل الذين يطلبون من الله موهبة الألسنة، لكي يفتخروا بها، ويظهروا أنهم قد وصلوا إلى حالة الملء من الروح !!

وإن وهبك الله قوة، فكن وكيلاً عليها لاستخدامها في الخير .

لقد وهب الله أبيجايل حكمة ، فاستخدمتها في نصيح داود وانقاذه من الانتقام والقتل (اصم ٢٥: ٣٣). فكانت وكيله أمينة على الموهبة .

كل موهبة هي نعمة من الله. وقد نصحننا القديس بطرس الرسول قائلاً "ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (ابط ٤: ١٠) .

١٠ - أخيراً الوكالة على سرائر، وهي خاصة برجال الكهنوت

وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول "فليحسبنا الإنيمان كخدام المسيح، ووكلاء سرائر الله" (١كو ٤: ١) .

فالأب الكاهن أعطاه الله في سر الكهنوت سلطان الحل والربط (مت ١٨: ١٨) فليكن وكيلاً أميناً على هذا السلطان لا يستخدمه إلا بحكمة وعدل. وأعطاه إقامة سر الزواج، فكوكيل أمين لا يعطيه إلا حسب قانون الكنيسة ، وبخاصة الذين يريدون الزواج بعد الطلاق، أو يكونون من طائفة أخرى .

وكوكيل على سر التناول، لا يمنحه إلا لمستحقه .. وهكذا ...

الباب الثاني

ملوك السامرة

(أ) مثل الكنز المخفي - واللؤلؤة

كثيرة الثمن «مت ١٣: ١٤، ١٥»

(ب) كل كاتب متعلم يخرج من

كنزه جديداً وعتقاء

«مت ١٣: ٥٢»

ملكوت السموات :

غالبية أمثال السيد المسيح تبدأ بعبارة "يشبه ملكوت السموات..". ولاشك أنه يُفهم من هذه الحقيقة الآتى :

إن موضوع ملكوت السموات كان يشغل السيد الرب ..

وكان يشغله من بدء رسالته على الأرض ..

فمثلاً نقرأ فى أول اصحاح من إنجيل مارمرقس أن السيد الرب "جاء إلى الجليل، يكرز ببشارة الملكوت. ويقول قد قرب الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٤). وفى ذلك يقول عنه إنجيل متى إنه كان "يطوف كل الجليل، يعلم فى مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب" (مت ٤: ٢٣).

وتبدأ عظته على الجبل بعبارة "ملكوت السموات" أيضاً فيقول "طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السموات" (مت ٥: ٣). ويكرر عبارة "ملكوت السموات" فى قوله "طوبى للمطرودين من أجل البر، فإن لهم ملكوت السموات" (مت ٥: ١٠) ويقول أيضاً "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ٥: ٢٠). وعبارة "السموات" تتكرر مراراً فى هذه العظة .

※ ※ ※

فما معنى قوله "قد اقترب الملكوت" (مر ١: ١٤) .

لاشك أن الله يملك السموات والأرض . وقد قيل فى المزمور "لرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز ٢٤: ١) . ونقول له كل يوم فى آخر الصلاة الربية

"لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، أمين" (مت: ٦: ١٣) .

لكن أتى وقت بدأ فيه الشيطان يختطف هذا الملك عملياً. وقيل عنه في الإنجيل إنه "رئيس هذا العالم" (يو ١٤: ٣٠) (يو ١٦: ١١). وهكذا تمكن الشيطان أن يقود العالم القديم إلى الفساد وإلى الوثنية وعبادة الأصنام. واستمر هذا الأمر حتى بداية المسيحية حيث كانت تقاوم من الوثنية مقاومة شديدة .

ولما بدأ السيد المسيح رسالته ، قال قد اقترب الملكوت، ولم يقل قد جاء الملكوت، لأن الملكوت بدأ على الصليب، حينما ملك الرب إذ اشترانا بدمه...

فنادى السيد : قد كمل الزمان، زمان النبوءات والرموز التي تحققت . واقترب الملكوت . لأنه لم تبق سوى حوالى ثلاث سنوات ونقول "الرب قد ملك ولبس الجلال" (مز ٩٣: ١) "الرب قد ملك، فلتبتهج الأرض" (مز ٩٧: ١). إنه ملكوت أعده الرب بصلبيه، لكي يناله الناس بالإيمان والتوبة. لذلك قال "فتوبوا وأمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٤).

وهكذا نادى الرب بملكوت السموات وقال "وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات" (مت: ٥: ١٩) .

※ ※ ※

ونكر للناس أمثالاً كثيرة تبدأ بعبارة "يشبه ملكوت السموات" ..

ومن ضمنها الأمثلة التي قالها عن الزارع ، وعن الحنطة والزوان، وعن الخميرة، وحب الخردل، والكنز المخفى فى الحقل، واللؤلؤة الكثيرة الثمن، والشبكة المطروحة فى البحر، والكاتب المتعلم الذى يُخرج من كنزه جديداً وعتقاء .. وكل هذه قد كتبت فى الإصحاح ١٣ من إنجيل متى .

يضاف إليها مثل العذارى، ومثل الوزانات فى (مت ٢٥) .. إلخ .

وأمثالاً كثيرة وردت فى إنجيلي متى ولوقا .

وحتى بعد قيامته ، قضى مع تلاميذه أربعين يوماً 'يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله' (أع: ١: ٣). وعلمنا أن نصلى قائلين "ليأت ملكوتك" (مت: ٦).

※ ※ ※

ونحن نعرف به كملك. وبناديه قائلين 'ياملك السلام، اعطنا سلامك'. وفى مقدمة قراءة الإنجيل نقول "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكانا كلنا..". وفى سفر الرؤيا رآه القديس يوحنا جالساً على عرشه (رؤ: ٤: ٢، ٣). ونرثل له فى المزمور قائلين "قامت الملكة عن

يمينك أيها الملك" (مز ٤٥). وفي يوم الجمعة الكبيرة من أسبوع الآلام ، نرتل له ذلك المزمور العجيب "عرشك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك" (مز ٤٥ : ٦).

ونحتفل به في أحد الشعانين كملك . وقد تحدث دانيال النبي عن ملكوته فقال "سلطاناه سلطان أبدى ما لن يزول. وملكوته ما لا ينقرض" (دا : ١٤) .

✱ ✱ ✱

على أنه لا تزال هناك مقاومات لملكوته .

لا يزال العدو يزرع زواناً وسط حنطته (مت ١٣ : ٢٥).

ولعلنا نسأل متى تنتهي هذه المقاومة؟ سنتتهي حينما "يسلم الملك لله الأب" وتبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة" "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. وآخر عدو يبطل هو الموت" (١كو ١٥ : ٢٤ - ٢٦) .

✱ ✱ ✱

وحينئذ يبدأ الملكوت الأبدى ..

لا تكون هناك خطية، ولا موت. ولا يكون هناك عمل للشيطان. وبملكوت الله يملك البر. "حينئذ يضئ الأبرار في ملكوت أبيهم" (مت ١٣ : ٤٣). ويملك الرب على الأرواح والأجساد. كما قيل عنه إنه "إله أرواح جميع البشر" (عد ٢٧ : ١٦). وعندما أقام لعازر من الموت، لم يقم جسده فقط، بل نادى على روحه أيضاً، حينما قال : "لعازر هلم خارجاً" (يو ١١ : ٤٣) .

أسرار الملكوت :

وأمثال الملكوت :

السيد المسيح له المجد شبه الملكوت للشعب بأمثال، ولما سأله تلاميذه "ماذا تكلمهم بأمثال؟" (مت ١٣ : ١٠) أجابهم بقوله :

"لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله"

"وأما لهؤلاء ، فلم يعط" (مت ١٣ : ١١) .

فأسرار ملكوت الله قد أعطيت لتلاميذ الرب، وليس لباقي الناس. وهذه الأسرار الخاصة بالملكوت كثيرة. وقد تحدث بولس الرسول عن السر المكتوم فقال "أعطيت هذه

النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح.. وأبشر الجميع فى ما هو شركة السرّ المكتوم منذ الدهور" (أف: ٣: ٨، ٩) وأيضاً قال "سرّ المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال. ولكنه الآن أظهر لتقديسيه.." (كو: ١: ٢٦). أنظر أيضاً (رو: ١٦: ٢٥) .

✱ ✱ ✱

فما هى أسرار ملكوت الله هذه ؟

★ لعل فى مقدمتها سرّ التجسد والفداء. حيث يقول القديس بولس الرسول أيضاً "عظيم هو سرّ التقوى، الله ظهر فى الجسد.." (١تى: ٣: ١٦) .

★ كذلك سرّ اتحاد المسيح بالكنيسة كعروس للمسيح، حيث قال "ويصير الإثنان جسداً واحداً. هذا السرّ عظيم. ولكنى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف: ٥: ٢١، ٢٢) .

★ سرّ آخر خاص بالقيامة والمجئ الثانى، حيث قال "هوذا سرّ أقوله لكم : لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير. فى لحظة فى طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيبوق، فيقام الأموات عديمى فساد، ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت" (١كو: ١٥: ٥١ - ٥٣) .

✱ ✱ ✱

★ سرّ آخر هو عن إيمان اليهود فى آخر الزمان، وعنه قال الرسول: "ست أريد أيتها الأخوة أن تجهلوا هذا السرّ.. أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" (رو: ١١: ٢٥، ٢٦). أى يخلصون بدخولهم فى الإيمان، خلاصاً روحياً..

★ وما أكثر أسرار الملكوت كما وردت فى الكتاب. ولكن ليس مجالها الآن..

✱ ✱ ✱

هناك أسرار أعلنها الرب لتلاميذه، وأقول خصهم وحدهم بها. لذلك عندما تحدث عن الاستعداد لمجئ الرب، سألوه :

"أنا قلت يارب هذا المثل، أم قلته للجميع أيضاً" (لو: ١٢: ٤١).

فقال لهم "يا ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، ليعطيهم طعامهم فى حينه.." (لو: ١٢: ٤٢).

إذن فالتلاميذ كانوا يختلفون عن الجميع فيما يعرفونه من الرب. فقد أعطيت لهم

أسرار الملكوت، ولم تعطَ للجميع .

فلماذا لم تعطَ لأولئك؟ ربما من أجل قساوة قلوبهم. وأيضاً بسبب رفضهم له. ولأن لهم عيون لا تبصر "فهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون" (مت ١٣: ١٣). أما عن التلاميذ ، فقد قال الرب لهم :

"لكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع" (مت ١٣: ١٦) .

فإن أردتم أنتم أيضاً أن تصل إليكم أسرار الملكوت، ينبغي أن تكون لكم العيون التي تبصر، والآذان التي تسمع. التي تحب أن تسمع، وتفهم ما تسمع ..
إن تلاميذ الرب لم يكونوا كالباقين الذين أغلقوا عيونهم لكي لا ترى، وسدوا آذانهم لكي لا تسمع.. الذين كانت قلوبهم ثقيلة. يسمعون الكلمة ولا يلتقطونها، ولا يدخلونها إلى قلوبهم. بل يهربون مما يحتاجون إليه!!

✱ ✱ ✱

وهكذا قال الرب لتلاميذه في تعريفهم أسرار الملكوت :

"فإن من له ، يعطى فيزداد" .

"أما من ليس له ، فالذى عنده سيؤخذ منه" (مت ١٣: ١٢) .

فما معنى هذه العبارة ؟ وكيف يمكن إنطباقها ؟

★ معناها : إن الذى يقبل كلمة الله ، يُعطى إدراكاً روحياً لفهمها. والذى عنده الفهم الروحي، يُعطى إرادة قوية لكي ينفذ .

★ أما الذى لا يقبل كلام الله، ولا يريد ذلك ، فحتى الكلمة التى أعطيت له تُتزع منه. لأنه لم يخبئها فى قلبه .

★ الذى يسمع ويعمل، يعطى معرفة أكثر. يؤتمن على المعرفة، ويُعطى إنكشافاً أكثر (Revelation) . أما الذى لا يستفيد من المعرفة، فإن هذه المعرفة تُتزع منه .

★ الذى له القلب المشتاق والمحِب لمشيئة الله، تُعطى له الإرادة القادرة على القيام بهذه المشيئة وتحويلها إلى عمل ...

★ والذى ليس له هذا الاشتياق ، فلا يكشف له الله مشيئته .

(ومن له أذنان للسمع فليسمع)

(أ)

مَثَلُ الْكَنْزِ الْمَخْفِي وَاللُّوْلُؤَةِ الْكَثِيرَةِ الثَّمَنِ

(مت ١٣ : ١٤ ، ١٥)

قال السيد الرب "يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفياً في حقل، وجده إنسان فأخفاه. ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل". "وأيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة. فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها" (مت ١٣ : ١٤ ، ١٥) .

هنا نجد نوعين في طريقة الحصول على الكنز: نوعاً وجده بدون قصد ولا جهد. ونوعاً آخر سعى حتى وجد .

✱ ✱ ✱

النوع الذي وجد الكنز دون سعى، مثاله شاول الطرسوسي :

إنه لم يكن يسعى إطلاقاً إلى المسيح ولا إلى ملكوته، بل كان سائراً في اتجاه عكسي تماماً. ولكنه وجد هذا الكنز في الطريق دون أن يقصد "دون أن يشاء أو يسعى" (رو ٩ : ١٦). بل قابله الرب في طريق دمشق، وعاتبه ودعاه إلى خدمته ليكون إناء مختاراً ورسولاً إلى الأمم (أع ٩ : ١ - ١٥) .

فلما وجد شاول هذا الكنز، باع كل ما كان له واشتراه (مت ١٣ : ٤) . وقال في ذلك: "من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء - وأنا أحسبها نفاية - لكي أربح المسيح وأوجد فيه" (في ٣ : ٧ - ٩) .

✱ ✱ ✱

وبنفس الوضع بطرس وإندراوس ، وفيلبس وثثانيل، ومتى.

ما كان واحد منهم يسعى ليكون خادماً للمسيح، بل ما كانوا يعرفونه.. كان سمعان وإندراوس أخوه صيادين. وفيما كانا يلقيان شبكة في البحر، قال لهما الرب "هلم ورائي، فأجعلكما تصيران صيادي الناس. فلوقت تركا شباكهما وتبعاه" (مر ١٦ - ١٨).

ونفس الوضع حدث مع يعقوب بن زبدي ويوحنا أخيه. وجدهما الرب "وهما في السفينة يصلحان الشباك . فدعاهما للوقت . فتركا أباهما زبدي في السفينة مع الأجراء، وذهبا وراءه" (مر ١٩ ، ٢٠) .

وتكرر نفس الوضع أيضاً مع تلميذ آخر، أو تكرر مع آخر صار تلميذاً: فيما كان الرب مجتازاً، "رأى إنساناً جالساً عند مكان الجبابة اسمه متى. فقال له اتبعني. فقام وتبعه" (مت ٩ : ٩) . تكررت القصة أيضاً مع فيلبس وثثانيل (يو ٤٣ - ٥١) .

※ ※ ※

ما كانوا يسعون وراء لآلئ حسنة (مت ١٣ : ٤٥). وإنما الرب هو الذي جاء إلى طريقهم. وكل منهم وجد هذا الكنز المخفي، فباع من أجله كل شيء" (مت ١٣ : ٤٤) .
هم لم يسعوا لإقتناء الكنز، إنما وجدوه في طريق الحياة، وباعوا كل شيء من أجله: تركوا السفينة والشباك والأب ومكان الجبابة، وهم يقولون له " تركنا كل شيء وتبعناك " (مت ١٩ : ٢٧) (مر ١٠ : ٢٨).

※ ※ ※

النوع الآخر الذي سعى وتعب حتى وجد الرب: مثاله أوغسطينوس وموسى الأسود. أحدهما كان فاجراً، والآخر كان قاتلاً .

بجهد كثير أمكن لأوغسطينوس أن يجد الرب: لم يجده في ملاذ العالم، ولم يجده في الفلسفة، إذ كان "يطلب لآلئ حسنة" . وأخيراً قال له "لقد تأخرت كثيراً في حبك، أيها الجمال الفائق الوصف" "كنت يارب معي. ولكنني من فرط شقاوتي لم يكن قلبي معك.. وبعد السعي والجهد، وجد أوغسطينوس "اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن" (مت ١٣ : ٤٦) "فباع كل شيء واشتراها" باع الفلسفة، وباع ملاذ العالم. ووجد المسيح وملكوته .

وبنفس القصة - ولكن بوجه آخر - وجد موسى الأسود الكنز المخفي وجده مخفياً في حياة البرية والسكون، في حياة الوداعة والصلاة. فباع من أجله كل شيء واشتراه .

※ ※ ※

كل من النوعين: الذى سعى، والذى لم يسع - فرح بما وجده.

فرح بهذا الكنز الذى هو المسيح ، وباللؤلؤة الكثيرة الثمن التى هى متعة الحياة مع الرب. وجد أن كل ملاذ العالم لا تساويها وكذلك كل غنى العالم وسلطانه . وهذا أيضاً هو ما حدث مع موسى، حينما كان أميراً فى قصر فرعون: يقول عنه الكتاب إنه "حسب عار المسيح غنى أعظم من خزانين مصر" لذلك "أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون" ورفض أن يكون له تمتع وقتى بالخطية" (عب ١١: ٢٤ - ٢٦) .

الأمر المشترك فى كل أصحاب الأمثلة السابقة : أنهم وجدوا الكنز، وفرحوا به، وباعوا كل ما كان لهم من أجله.

※ ※ ※

وهنا نسل : ما هو الكنز ؟

★ من الجائز أن يكون هو الملكوت . إذ قيل فى بداية المثل "يشبه ملكوت السموات" . فالكنز هو الملكوت، أو هو الخلاص .

★ ويمكن أن يكون الرب نفسه هو الكنز ، كما تقول المزامير " الرب قد ملك " (مز ٩٣: ١) (مز ٩٦: ١٠) (مز ٩٧: ١) (مز ٩٩: ١) . لأن الملكوت هو ملكوت الرب. فيكون الكنز هو الرب وملكوته .

★ ويمكن أن نقول إن الكنز هو "النصيب الصالح الذى لن ينزع منا" . كما قال الرب لمرثا أخت مريم. ووصف هذا النصيب الصالح وأهميته ، بعبارة : "ولكن الحاجة إلى واحد" (لو ١٠: ٤٢) .

وعلى أية الحالات ، كل هذه تعبيرات تؤدى إلى معنى واحد .

※ ※ ※

قيل إن هذا الكنز كان مخفى فى حقل .

وهنا نضع أمامنا ملاحظة عجيبة . وهى أن كثيراً من الناس إذا رأوا حقلاً، يهتمون بالشئ الظاهر فيه، أى يهتمون بما فيه من أشجار، ومن ثمار وخضروات وباقي المزروعات.. دون أن يهتموا بما هو مكنوز فيه..! بينما الكنز المخفى فى الحقل هو أهم ما فيه..

مثال ذلك من تعجبه آية فيحفظها ويكررها، دون أن يدرك العمق الذى فيها، واللؤلؤ الكثير الثمن الذى فيها! هذا الذى لا يجده إلا بتأمل روحى عميق. مثل هذا اهتم بالحقل فى

مظهره الخارجى، دون الكنز المخفى فيه ...

وأحياناً يكشف الله لنا تلك المعانى الروحية دون أن نطلب .

تصلى مثلاً مزموراً طالماً كررته من قبل. ولكنك فى مرة معينة ينكشف لك جمال معين فى بعض آياته، ما كنت تراه قبلاً، ولم تسع إلى فحصه والتأمل فيه.. وتشعر أنك وجدت كنزاً مخفى فى حقل ...

✱ ✱ ✱

يوصف الكنز بأنه شئ ثمين كان مخفى. والكل يطلبونه ، ويفرحون عندما يجدونه. ويتعلق قلبهم به. ولذلك يقول الكتاب :

"حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضاً" (مت ٦: ٢١) .

أنت مثلاً - من جهة الإيمان - وصلك هذا الكنز ، دون أن تتعب فى البحث عنه والسعى إليه. كما قال بولس الرسول عن مواطنته الرومانية "أما أنا، فقد ولدت فيها" (أع ٢١: ٢٨). هكذا أنت ولدت فى الإيمان ...

ما أكثر الذين يتعبون ويبحثون، لكى يصلوا إلى هذا الإيمان الذى نلتته أنت بسهولة. وهم مثل التاجر الذى يطلب لآلئ حسنة. ويظل يبحث حتى يجد أخيراً اللؤلؤة الكثيرة الثمن". فيفرح بها .

وإن كنت أنت قد وجدت هذه اللؤلؤة الثمينة، بدون تعب.. فهل استجبت لها، وثبتت فيها، وبعث كل شئ من أجلها ؟

✱ ✱ ✱

أما إن كان الكنز هو كتابنا المقدس :

فكلمة (مخفى) تدل على المعانى العميقة المخفاة فيه، التى لا يراها كل أحد.. كم من معانٍ وحقائق كانت مخفاة فيما يحويه الكتاب المقدس من رموز ونبوات. كان اليهود يقرأونها "والبرقع موضوع على قلوبهم" (٢كو ٣: ١٥). فما كانوا يفهمون ولا يدركون، ولا ينكشف الكنز لهم!!

ما أكثر النبوءات الموجودة فى سفر اشعيا النبى، وفى رؤى دانيال النبى، ورؤى حزقيال ، وفى المزامير. ولكنها كانت كنوزاً مخفاة فى حقل. وكان الحقل هو الكتاب المقدس .

ولذلك فإن الرب ، لما ألتقى بتلاميذه بعد القيامة، قيل عنه :

"حينئذ فتح ذهنهم، ليفهموا الكتب" (لو ٢٤: ٤٥) .

وقال لهم هكذا كان مكتوب ، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث ، ويكرز باسمه..".

ولما قابل تلميذى عمواس بعد القيامة "ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لو ٢٤: ٢٥ - ٢٧) .

✱ ✱ ✱

كلها كنوز مخفأة في حقل، مثل كنوز في سفر الرؤيا لا تزال مخفأة عنا ، ومثل قوله لرسله القديسين "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه.." (أع ١: ٧). ومثال ذلك أيضاً كثير من الأرقام في الكتاب، تمثل كنوزاً مخفأة في حقل .

من أجل الكنوز المخفأة في الكتاب، نقول للرب في صلواتنا :

"غريب أنا على الأرض، فلا تخف عني وصاياك" وأيضاً "أكشف عن عيني، فأرى عجائب من ناموسك" (مز ١١٩: ١٧، ١٨) .

ليتنا إذن نقرأ الكتاب بعق ، لنعرف الكنوز المخبأة فيه، ولا نكتفى بقراءة سطحية تهتم بزهور الحقل دون كنوزه! وإن لم نعرف، علينا أن نقرع باب الله لكي يفتح لنا، فنأخذ من تلك الكنوز "جدداً وعققاء" (مت ١٣: ٥٢) .

✱ ✱ ✱

قيل في هذا المثل إنه لما وجد الكنز أخفاه (مت ١٣: ٤٤). فماذا تعنى كلمة (أخفاه)؟

إنها تذكرنا بقول المرثل في المزمور :

"أخفيت أقوالك في قلبي، لكي لا أخطئ إليك" (مز ١١٩: ١١) .

أى كنزتها في قلبي ، أغلقت عليها في قلبي، حتى لا تخرج منه. وفيما هى في قلبي، تختلط بمشاعري وأحاسيسي، وتصبح جزءاً من كياني .

هذا كله من جهة كلام الله ككنز . هذا الذى قال عنه المرثل في المزمور "أحبيت وصاياك أفضل من الذهب والجوهر" (مز ١١٩: ١٢٧) وأيضاً "أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة" (مز ١١٩: ١٦٢) .

✱ ✱ ✱

أما إن كان المقصود بالكنز : السيد المسيح ، فقد كان مخفياً عن الناس، حتى أهل عصره الذى ولد فيه .

ما كانوا يعرفون أنه ابن الله . "لأنهم لو عرفوا ، لما صلبوا رب المجد" (١كو ٢ : ٨) .
حتى أن بطرس لما اعترف قائلاً "أنت هو المسيح ابن الله الحي" ، طويبه الرب وكافأه
(مت ١٦ : ١٧ ، ١٨) . وذلك لأن أناساً كانوا يقولون عنه إيليا أو أرميا ، أو يوحنا المعمدان ،
أو واحد من الأنبياء" (مت ١٦ : ١٣ ، ١٤) .

والشيطان نفسه ما كان يعرف حقيقته ، فسأله على جبل التجربة قائلاً "إن كنت ابن
الله، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً.." (مت ٤ : ٣) .

وحتى رئيس الكهنة ما كان يعرف من هو . فقال له أثناء محاكمته أمام مجلس
السنهدريم "استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟" (مت ٢٦ : ٦٣) . ولما
عرف منه ذلك، مزق ثيابه وقال : قد جتفت !!

ويوحنا المعمدان شهد له قائلاً لليهود "في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه" (يو ٣ :
٢٦) . ولذلك قال عنه الإنجيل :

"في العالم كان ، والعالم به كَوْن ، والعالم لم يعرفه" (يو ١٠ : ١١) . حقاً كان المسيح
كنزاً مخفياً في حقل هذا العالم، وكان كنزاً مخفياً في الكتاب، وسط نبوات ورموز كثيرة .

✱ ✱ ✱

كان النور الحقيقي ، الذي أضاء في الظلمة ، والظلمة لم تدرکه (يو ١ : ٥) . حتى
ميلاده من عذراء حاربه . فعمل الرب على إخفاء هذه الحقيقة مؤقتاً وراء خطوبة القديسة
العذراء إلى يوسف النجار . فكان أهل بلده يقولون عنه "اليس هذا هو ابن النجار؟! من أين
لهذا هذه الحكمة والقوات؟! .. فكانوا يعثرون به" (مت ١٣ : ٥٤ - ٥٧) .

حتى تلاميذه ما كانوا يعرفون تماماً ما حقيقة هذا الكنز المخفي فقال الرب معاتباً فيلبس
أحد الإثنى عشر قائلاً "أنا معكم زماناً هذه مدته، ولم تعرفني يا فيلبس؟!!" (يو ١٤ : ٩) .. لم
يعرفوا لاهوته، ولا عرفوا علاقته بالآب .. لذلك قال الرب لفيلبس "الذي رأيته ، فقد رأي
الآب .. ألسنت تؤمن أنني أنا في الآب، والآب في" (يو ١٤ : ٩ ، ١٠) . إن حقيقة المسيح،
عبر عنها بولس الرسول فيما بعد "باعتبارها سرّاً" فقال "عظيم هو سر التقوى: الله ظهر
في الجسد" (١تي ٣ : ١٦) .

✱ ✱ ✱

الله الآب أيضاً كان كنزاً مخفياً عن العالم الوثني .

ولذلك قال له الابن في مناجاته "هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي

وحبك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧: ٣) . ولذلك قال "أنا أظهرت اسمك للناس.."
 (يو ١٧: ٦) . إلى أن قال - حتى عن تلاميذه - "عرفتهم باسمك، وسأعرفهم، ليكون فيهم
 الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦). أما عن أهل العالم فقال "فيها الآب
 البار: إن العالم لم يعرفك. أما أنا فقد عرفتك". ولماذا لم يعرفوه؟.. لأنه كان كنزاً مخفياً
 في حقل العالم .

ولا يزال الله كنزاً مخفياً عن الملحدين، حتى للفلاسفة الذين فيهم!!

* * *

نتابع مثل الكنز المخفي.. سواء كان المقصود بالكنز: الملكوت، أو الخلاص، أو
 الكتاب المقدس، أو الرب نفسه.. فنرى أن المثل يقول عن وجهه إنه
 مضى وياع كل ما كان له ، واشتراه ...

هكذا فعل القديس الأنبا أنطونيوس ، حينما أطاع قول الرب "إن أردت أن تكون كاملاً،
 فاذهب وبع كل مالك، واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال فتبعني" (مت ١٩:
 ٢١) . وهكذا فعل بولس الرسول في قوله "خسرت كل الأشياء وأنا لأصحبها تفتية، لكي
 أربح المسيح وأوجد فيه" (في ٣: ٨ ، ٩) .

وهكذا فعل كل الرحومين ، الذين حولوا كنوزهم الأرضية إلى كنوز سماوية .

كما سبق وقال الرب "لا تكتنزوا لكم كنوزاً على الأرض.. بل لكتنزوا لكم كنوزاً في
 السماء.. لأنه حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضاً" (مت ٦: ١٩ - ٢١) .
 ولعل إنساناً يقول "أنا لا أملك كنوزاً على الأرض لكي أتركها للرب" .. أقول لك :
 أترك ما تكتنزه في قلبك من شهوات عالمية، ومن رغبات جسدية أو أرضية. لأن كل ما
 في العالم ، هو شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة" (أيو ٢: ١٦) .

* * *

ولكي تصل إلى هذا ، ينبغي أن تعلم أن للكنز السماوي ثمين جداً .

فالتاجر الذي كان يطلب لألئ ثمينة، لاشك أنه كانت عنده لألئ كثيرة. لكنه لما وجد
 لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وياع كل ما كان له واشتراها" . أكتفى بهذه اللؤلؤة
 الواحدة . لأن "للحاجة إلى واحد" كما قال الرب لمرثا (لو ١٠: ٤٢) .
 فليتك تشعر بقيمة هذا الواحد بالنسبة إليك ، لكي تباع كل شيء من أجله، وتوجد فيه،
 وتغنى مع داود النبي "توقروا وأنظروا ما أطيب للرب" (مز ٣٤: ٨) .

حقاً ، إن الذين ذاقوا حلاوة الرب، تركوا كل شيء لأجله .

✱ ✱ ✱

ولم يشتهوا شيئاً آخر سواه. أصبح هو لهم كل ما يحبونه ويتمنونه .

ابراهيم أبو الآباء ترك أهله وعشيرته وأرضه وبيت أبيه. ومضى وراء الرب، وهو لا يعلم إلى أين يذهب (عب ١١: ٨) . حتى ابنه الوحيد ، لم يجد مانعاً من أن يقدمه محرقة للرب (تك ٢٢). بل الشهداء قدموا حياتهم للسيف وللتعذيب ، لكي يتمتعوا بالرب في السماء. كان الله هو اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن، التي بسببها باعوا كل شيء واشتروها . وفرحوا بذلك جداً.

(ب)

كل كاتب متعلم .. يخرج من كنزهِ جِداً وعتقاء

(مت ٥٢: ١٣)

في الاصحاح ١٣ من إنجيل متى، ذكر السيد الرب مجموعة من الأمثال عن ملكوت السموات. وكان آخرها هو قوله "كل كاتب متعلم في ملكوت السموات، يشبه رب بيت، يخرج من كنزه جِداً وعتقاء" (مت ١٣: ٥٢) ، ونود أن نتأمل هذه العبارة :

الكاتب المتعلم :

الكتبة قديماً - قبل معرفة الطباعة - كانوا هم الذين ينسخون (يكتبون) الكتب المقدسة. لذلك كانوا أعرف الناس بالشرعية، وأكثرهم علماً بالكتاب .

نلاحظ أنه عندما أتى المجوس يسألون "أين هو المولود ملك اليهود؟ فإن هيرودس الملك استدعى الكتبة وعرف منهم أن المسيح يولد في بيت لحم اليهودية، حسبما ورد في النبوات (مت ٢: ٤-٦) .

وهكذا كان الكتبة من معلمى الشعب. وقال عنهم السيد المسيح "على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون.." (مت ٢٣: ٢) أى كرسى الشريعة والتعليم .

أشهر من نعرفه منهم فى التاريخ (عزرا الكاتب)، الذى كان - مع نحemia - قائداً دينياً قديساً بعد الرجوع من السبي. لكن الكتبة أيام السيد المسيح، كانوا من المرانين، وكانوا

قادة عيان يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على كتف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بلصبعهم (مت ٢٣: ٤). وقد وقفوا ضد الرب كثيراً، وهاجموه لأنه كان يصنع معجزات في أيام السبت، وقد اعتبرهم الرب كالثور المبيضة من الخارج، ودخلها عظم ننتة (مت ٢٣: ٢٧).

ومع الويلات التي صبها عليهم، إلا أنه هنا يتكلم عن (كاتب متعلم) ليس من نوع أولئك المرقتين .

وهو يخرج من كنزه جنداً وعتقاء، أى من العهدين الجديد والقديم .

ولنبداً هنا بأن نتأمل عبارة (شبهه رب بيت) .

رب بيت ؟

فما المقصود بعبارة 'رب بيت' ؟

رب البيت هو المسئول عن إدارة البيت والاتفاق عليه. وهو فى ذلك يخرج من كنزه (أى من ماليته) ما يحتاجه للبيت. سواء دفع من الأيراد الجديد الذى يأتيه حالياً، أو من العتقاء، من الأموال المخزونة .

وأنت (رب بيت) . وهذا البيت هو ذاتك، فكل ما فيها من عقل وقلب وحواس وأحاسيس لتى أقامك الرب عليها لكى "تدبر أهل بيتك حسناً" (اتى ٣: ٤). فتتبر هذه النفس البشرية - التى هى أنت - بما تخرجه من كنزك - أى من المكتوز فى داخلك سواء كان ذلك من الجدد أو العتقاء . من الروحيات القديمة التى نشأت بها، أو ما اكتسبته حالياً من روحيات.

نتنقل بعد ذلك ، لتتأمل عبارة (من كنزه) :

كنزه :

ما يكتنزه الإنسان من معرفة ، يكتنزه فى قلبه وفى فكره .

وقد شرح الرب هذا بقوله "الإنسان للصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح.

والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر (لوقا ٦: ٤٥) (مت ١٢: ٣٥) .

القلب يكتنز فيه الإنسان كل المشاعر والعواطف والأحاسيس. ويكتنز فى فكره كل

لمعلومات والأفكار. ثم يخرج منها ما يدخلهما حينما يأتى الوقت المناسب. يُخرج منها

جداً وعتقاء. الجدد هي الأفكار والمشاعر الجديدة، والعتقاء هي ما اخترن فيهما منذ الماضي.

※ ※ ※

العقل الباطن تختزن فيه أفكار عتقاء، من كل ما ترسب فيه من قراءات ومناظر ورغبات وأفكار. كلها تبقى في الـ Back Head كشرط مسجل عليه أشياء عديدة، ربما من أيام الطفولة. وقد يصاب إنسان بعقدة نفسية، فيجلس معه طبيب نفسي، لكي يستخرج من ذاكرته ما ترسب فيها منذ القديم وما تسببت عنه هذه العقدة النفسية ...

وقد يعتمد بعض رجال التحقيقات إلى استخراج ما في ذاكرة متهم يرفض أن يبوح بما في داخله. فيعطونه حقنة تجعله في حالة ما بين الغيبوبة والصحو (نصف إدراك)، ولا يكون قادراً على السيطرة على عقله وإرادته. وهكذا يقول ما في داخله .

ويحدث هذا أحياناً لشخص مخدر في عمية جراحية، فقبل أن يفيق منها، في اللحظات التي ما بين الغيبوبة والإدراك، ربما يُخرج من كنزهِ (من عقله الباطن) جداً وعتقاء، تكشف بعض أسرارهِ، أو بعض ما يخفيه في حالة ضبط النفس .

※ ※ ※

فاتنظر يا أخى ما الذى تكنزه في عقلك الباطن وفي ذاكرتك .

ربما أمور ليست بذات أهمية، تنساها. بينما أمور أخرى يكون لها عمق في ذاكرتك، وقد لا تستخدمها حالياً، ولكنها تظل مترسبة، وتظهر حينما تدعو الحاجة إليها ...

الطفل الصغير أيضاً يكنز في عقله، في مخيلته، في ذاكرته، في داخل قلبه، كلمات وأفكاراً وصوراً وأحاسيس، ربما يكون قد جمعها من البيت أو من الشارع، أو من المدرسة، أو من وسائل الإعلام، أو من الصور.. وقد يقول في إحدى المرات كلمة تكون غريبة على أفراد أسرته . فيسألونه من أين أتته؟ قطعاً من (كنزهِ) ، من عقله الباطن..

※ ※ ※

نفس الوضع نقوله أيضاً عن الأحلام .

لو استثنينا الأحلام التي من الله ، وكذلك التي هي محاربات من العدو، فغالبية الأحلام الأخرى تكون عبارة عن عملية تفرغ لما اكتنزه الإنسان في عقله الباطن ...

وقد يسألنا البعض هل الأحلام الشريرة التي يرونها في نومهم، تعتبر خطية؟ بينما هي بغير إرادتهم! فنقول إنها ليست غير إرادية تماماً، وربما تكون نتيجة لما اخترنه العقل من

أفكار وما اختزنه القلب من مشاعر. وكل ذلك ظهر مختلطاً على هيئة أحلام، تسمى أعمالاً شبه إرادية أو نصف إرادية. أما الصور والأحاسيس التي ترفضها الإرادة تماماً، فيما أن الإنسان يرفضها في أحلامه، أو يستيقظ فجأة دون أن يتم .

ما كنزه الإنسان يبقى منضبطاً ومخفياً، طالما هو في وعيه وفي كامل إرادته، ولا يشاء إظهار ما في داخله. فمتى يظهر إذن؟

في حالة الغضب الشديد مثلاً، تظهر من الإنسان أشياء كان يخفيها.

لأنه في غضبه لم يعد مسيطراً على نفسه، ولا متحكماً في كتمان ألفاظه ومشاعره، لذلك تخرج من (كنزه) ألفاظ ينذر أن يستخدمها في أحوال عادية، وكذلك تصرفات ليست معهودة منه. ومع ذلك فهي مكتنزة عنده، ربما في الكنز الشرير الذي في قلبه. لذلك يقول المثل : إذا أردت أن تعرف حقيقة إنسان، إسمعه وتأمله في وقت غضبه .

أى في الوقت الذى لا يكون فيه المكتنز داخله تحت انضباط، فيكون كوعاء مقوب يسيل منه ما في داخله.. أو قد يعمد البعض على إثارة إنسان، لكي يعرفوا شخصيته المخفأة إذا أنكشفت عن طريق الإثارة ...

أنتم حالياً في الصوم الكبير، وفي الطريق إلى أسبوع الآلام: إذا استطعتم أن تأخذوا روحيات هذه الفترة المقدسة بعمق، فسوف تخزنون لكم في قلوبكم وفي أفكاركم ما تتركه فيكم أيام الصوم من تأثيرات روحية، عن طريق القراءات والألحان، والقداسات والعظات، والمطانيات، والذكريات المقدسة. وينفعكم هذا الخزين في أيام الخماسين، حيث لا أصوام ولا مطانيات. إذن املأوا قلوبكم وعقولكم بخزين مقدس له عمقه وله تأثيره ... وفي أيام الخماسين تخرجون من كنزكم جديداً وعتقاء .

البند هي التأملات الجديدة والأفكار الروحية التي ترد إليكم في أيام الخماسين المقدسة. وأما العتقاء، فهي الروحيات المترسبة فيكم من أيام الصوم وما قبله أيضاً ... وهنا نعود إلى قول الرب : كاتب متعلم في ملكوت السموات، يشبه رب بيت، يخرج من كنزه جديداً وعتقاء .

جُدُو عَتَقَاء :

مقدمة نقول : إن القديم له أهميته : فالعتقاء أساس ...

الجنر مثلاً هو الأساس الذي ينشأ عنه الساق والفروع والأوراق والأزهار والثمار . فلا يمكننا أن نتجاهله . كذلك أساس البيت هو الذي يبنى عليه البيت كله . والذي ليس له قديم، قد لا يكون له جديد . وقد قال الرب عن أحد الأنواع في مثل الزارع :
"وإذ لم يكن له أصل، جف" (مت ١٣: ٦) .

١ - ونحن في التربية نضع اهتماماً كبيراً على هذه الأصول القديمة، على التأثيرات العتقاء، على ما ترسب في عقل التلميذ أو الشاب منذ فترة الطفولة والصبيا .
ونلاحظ أن الذي يتربى في الكنيسة في أحضان مدارس الأحد منذ نشأته الأولى، وتصبح الكنيسة جزءاً من حياته.. هذا لا يسقط بسرعة، وإن سقط يقوم (مز ٣٧: ٢٤) وكما يقول الكتاب "لا تشمتي بي يا عدوتي، فإنني إن سقطت أقوم" (مى ٧: ٨) .
لذلك نهتم كثيراً بتربية الطفولة، سواء في محيط الأسرة أو الكنيسة أو المدرسة.. كما نرسم الصغار في رتبة الأبصليست (أى المرثل)، وبخاصة في الكنيسة في المهجر، لكي نفرس فيه الأصول العتيقة التي تثبت فيه، وتحميه من حروب المستقبل .

* * *

٢ - ربما عبارة للجدد والعتقاء تعنى أيضاً العهدين الجديد والقديم .

ونحن في كل روحياتنا وعتقاتنا، نعتمد على آيات وأحداث من العهدين القديم والجديد .
والسيد المسيح نفسه كان يستخدم هذه العتقاء: في التجربة على الجبل استخدم آيات من سفر التثنية، وقال: " كما هو مكتوب .. مكتوب أيضاً" (مت ٤)، بالإضافة إلى الجدد من تعليمه، حيث قال في العظة على الجبل "أما أنا فأقول لكم.." (مت ٥)

وبعد العليمة، حينما ظهر لتلاميذه القديسين، قال لهم "لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب على في ناموس موسى والأنبياء والمزامير .. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا للكتب" (لو ٢٤: ٤٤، ٤٥) .

هذه هي العتقاء . وما أكثر استشهاد السيد المسيح بكلام الأنبياء والمزامير، وما أكثر ما أوردته للرسل - وبخاصة في أنجيل متى - من عبارة "يتم ما قيل بالنبي للقاتل (مت ١، ٢) أو ليتم المكتوب . ويعوزنا في التعليم، ليس فقط الاعتماد على العهد الجديد وحده، بل

أيضاً على أصول العقيدة فى العهد القديم، وبخاصة ما فيه من نبوات ورموز ...

✱ ✱ ✱

٣ - عبارة الجدد والعنقاء قد تعنى معنى آخر وهو :

العنقاء هى وصايا الله المكتوبة، والجدد هى ما يوحى به الروح .

هذه الوصايا موجودة فى الأسفار الإلهية. أما الجدد حسبما يقول الرب "تُعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم" (مت ١٠ : ١٩ ، ٢٠).. أحياناً مثلاً تصلى مزموماً، فتجد فكراً أو تأملاً جديداً خطر عليك ما كنت تعرفه من قبل. إنه من الجدد، يضاف إلى العنقاء أنتى فى كتب التفسير .

✱ ✱ ✱

٤ - إنما الأمر يحتاج إلى إفراس، فلا تقبل كل الجدد التى تأتيك فى مجال التعليم،

وبالذات التى تتعارض مع العنقاء من تعليم الآباء

أنت باستمرار - فى نموك فى المعرفة - تضيف الجدد إلى العنقاء. ولا يقف نموك عند حد. فأنت تأخذ من العنقاء أقوال الآباء القديسين، وتأخذ من الجدد ما تعلمه لك الكنيسة . وفى قوانين الكنيسة وقرارات المجامع المقدسة، نضيف إلى العنقاء ما تصدره مجامعنا الحالية من قوانين جدد حول أمور لم تكن معروفة فى القديم .

ويكون بين العنقاء والجدد تكامل، لا تعارض فيه ولا تناقض .

✱ ✱ ✱

٥ - عبارة (جدد وعنقاء) تنطبق أيضاً على أسرار الكنيسة وفاعليتها

★ فأنت مثلاً فى سر الميرون، تأخذ من العنقاء ما أعطته لك المسحة المقدسة من سكنى الروح فىك كهيكل لله (١كو٣ : ١٦)، مع ما يمنحه لك الروح من ارشادات جدد فى حياتك. وتعيش بهذه الجدد والعنقاء: بطرس الرسول مثلاً حلّ عليه الروح فى يوم الخمسين مع باقى التلاميذ (أع٢ : ٤). ومع ذلك لما سئل التلاميذ عن معجزة شفاء الأعرج، يقول الكتاب "حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم.. (أع٤ : ٨). إنه مثال فى حياة الرسل من أعمال الروح الجدد والعنقاء .

★ وفى سر المعمودية، تأخذ البنوة لله من يوم عمادك. هذه من نعم العنقاء. يضاف إليها عمل النعمة فىك كابن .

✱ ✱ ✱

ونفس هذا الكلام يقال فى الخدمة: فالآباء الرسل قال لهم الرب " تتالون قوة متى حل

الروح القدس عليكم وحينئذ تكونون لى شهوداً" (أع ١٤ : ٨). ولكن يُضاف إلى هذا عمل جديد، قال عنه القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى" (١كو ١٥ : ١٠) فحلول الروح هنا وقوتها من العتقاء، وعمل النعمة من الجدد. والإثنان يعملان معاً . وحتى النعمة ذاتها ، فيها جدد وعتقاء ...

★ كذلك فى سر الإقهارستيا، تأخذ الثبات فى الرب حسب وعده (يو ٦ : ٥٦). وبالإضافة إلى ذلك، فإنك فى كل مرة تتناول فيها تأخذ نعمة جديدة .

★ وهكذا مع باقى الأسرار. يقول القديس يوحنا الرسول "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه..". (١يو ٣ : ٩). زرعه هذا، هو ميلاده الجديد من الماء والروح، يوم عماده، يوم ثبت كفصن جديد فى الكرمة، وكعضو فى الكنيسة فى جسد المسيح. وأيضاً زرعه يثبت فيه بأسرار الكنيسة وبالععمل الروحى وبموازره للنعمة.

✱ ✱ ✱

★ كل هذه هى الأصول المعتمدة فى نفسك: إيمانك الأرثوذكسى "عسل الميلاد الثانى، وتجديد الروح القدس" (تى ٣ : ٥) ... يضاف إليها كل ما تتاله من الكنيسة وأسرارها، وما يقوله الرسول "إن كان إنساننا الخارج يقنى، فالدخل يتجدد يوماً فيوماً" (٢كو ٤ : ١٦) . وأيضاً "خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣ : ٩، ١٠) .

✱ ✱ ✱

٦ - عبارة الجدد والعتقاء ، قد تعنى معنى سادساً وهو :

العتقاء بمعنى المخزون فى عتلك الباطن وفى ذاكرتك وفى أعماق نفسك. والجدد هى الأفكار والمشاعر التى ترد لك اليوم .

فأنت عندما تتصرف، وأيضاً عندما تخدم وتعظ وتتصح، إنما تخرج من كترك هذه الجدد والعتقاء. وعظة الإنسان هى مجمع لكل ما فى داخله جدداً وعتقاء. تقول ما تعرفه من الكتاب، ومن أقوال الآباء، ومن الكلام الذى يُعطى لك من الله عند افتتاح فمك (أف ٦ : ١٩)

✱ ✱ ✱

٧ - حتى فى القراءة والسماع ، هناك القاعدة : فكر يلد فكراً.

الأفكار التى تقرأها أو تسمعها هى العتقاء، والأفكار الجديدة التى تولد فى نفسك نتيجة

لذلك هي الجدد. لذلك فللقراءة المستمرة، تولد أفكاراً جديدة غير التي قرأتها، سواء كانت تطوراً لها أو امتداداً أو استنتاجاً أو إضافة. إنها أفكار جدد.

كذلك في الفنون على تنوعها: كالموسيقى مثلاً، وما تلده في النفس من مشاعر. القطعة الموسيقية من العتقاء، والمشاعر من الجدد. وتأثر الإنسان هو خليط من الجدد والعتقاء .

✽ ✽ ✽

٨ - عبارة (جدد وعتقاء) تشمل أيضاً الخبرات .

فهناك خبرات قديمة عند الإنسان في واقع حياته، أو ما يتعلمه من الشيوخ ومن المرشدين، أو من التاريخ الذي يقال عنه :

ومن وعى التاريخ في صدره أضاف أعماراً إلى عمره.

تضاف ، إلى هذا خبراته للجديدة في حياته. وهو في كل تصرفاته، إنما يخرج من كنز جديداً وعتقاء: من حياته، ومن المرشدين ومن التاريخ .

✽ ✽ ✽

٩ - وفي العلم أيضاً نستفيد من كل كنوز العلم القديمة، مع الجدد من الاكتشافات الجديدة في محيط العلم. ويعيش العالم بالأميرين معاً: الجدد والعتقاء .

والإنسان الحكيم هو الذي يختار من الجدد والعتقاء ما يناسبه.

وما يصلح لحياته ، وما يصلح حياته ...

والله تبارك اسمه هو إله الجدد والعتقاء . وكما قال عنه الكتاب "هو هو أمساً واليوم

وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨) .

في كنزه الإلهي من العتقاء: الخليفة كما أوجدها في الأيام الستة. وكل ما وهبه للأنبياء. ومن الجدد نعم العهد الجديد. وفي جوده الإلهي، يخرج من كنزه جديداً وعتقاء .

الباب الثالث

عَمَى التَّوْبَةِ

(ب) الدرهم المفقود

«لوقا ١٥ : ٨-١٠»

(ب) التينة غير المثمرة

«لوقا ١٣ : ٦-٩»

(١)

مَثَلُ الدَّرْهِمِ المَفْقُودِ

(لوقا ١٥ : ٨ - ١٠)

لوقا ١٥ :

الإصحاح الخامس عشر من أنجيل معلمنا لوقا البشير، كله عن التوبة، في ثلاثة أمثال: الخروف الضال، والابن الضال، والدرهم المفقود. وكلها ترمز إلى الإنسان الضال وعودته إلى الله. سواء في بحث الله عنه، كما في مثل الخروف الضال ومثل الدرهم المفقود، أو في قبول الله لتوبته، كما في مثل الابن الضال .

✱ ✱ ✱

وفي الأمثال الثلاثة : فرح الرب بعودة الخاطئ وتوبته .

فرح أمام ملائكة الله في السماء، بخاطئ واحد يتوب .

ففي مثل الخروف الضال يقول "وإذا وجدته يضعه على منكبيه فرحاً" وأيضاً "يدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: افرحوا معي لأنى وجدت خروفي الضال" .

وفي مثل الدرهم المفقود، يقول عن صاحبه: "وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة: افرحن معي، لأنى وجدت الدرهم الذى أضعته" .

وفي مثل الابن الضال يقول الأب "قدموا العجل المسمن وانبحوه، فنأكل ونفرح. لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" .

✱ ✱ ✱

والأمثال الثلاثة تمثل ثلاث حالات في نوعية وسبب ضياعها :

فالخروف الضال، قد ضلّ عن جهل وعدم معرفة .

والابن الضال، قد ضلّ عن سوء نية، وانحراف في ممارسة الحرية .

أما الدرهم المفقود ، فلم يضل بذاته، وإنما أضاعه غيره .

ومع اختلاف الحالات ، فتتمى الأمر بها كلها إلى العود.



وقد اختلف الأمر في نسبة الضياع :

فى مثل الخروف الضال ، كانت نسبة الضياع واحداً من مئة .

وفى مثل الدرهم المفقود ، كانت نسبة الضياع واحداً من عشرة .

وفى مثل الاين الضال ، كانت النسبة واحداً من إثنين .

ولياً كانت النسبة ، فقد كانت هنا فرحة بوجود الضائع أو برجوع الضال . وكما قال

الرب يُكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين بلراً لا يظلمون

إلى توبة (لوقا : ١٥ : ٧) .

ولما كان كثيرون قد تحدثوا عن الخروف الضال والابن الضال ، لذلك رأيت أن أكتبكم

بلاغات عن الدرهم المفقود .

مثل الدرهم المفقود :

هكذا قال الرب " أو لية امرأة لها عشرة دراهم : إن أضاعت درهماً واحداً ، ألا توفد

سراجاً ، وتكنس البيت ، وتفتش باجتهاد حتى تجده . وإذا وجده ، تدعو للصدىقت

والجارات .. " .

هذا الدرهم رمز للإيمان ، لأنه توضع عليه صورة الملك أو الحاكم ، مع كتابة تثبت

قيمه . والإنسان قد وضعت عليه صورة الله خالقه ، الذى قال "تعمل الإنسان على صورتنا

كثيها .. فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه" (تك : ١ : ٢٦ ، ٢٧) . وبهذه

الصورة الإلهية ، صارت للإنسان قيمته .

هذا الدرهم على الرغم من فقده ، كانت له قيمته .

هو فقد موضعه ، ولكن لم يفقد قيمته . لا تزال له نفس القيمة متى وجد . قيمته محفوظة

كدرهم . وهكذا الإنسان إن ضل .. فمتى عاد ، يعود بقيمته كصورة الله .

فى البيت :

نقطة هامة فى هذا المثل ، وهى أن الدرهم قد فقد فى بيت صاحبه . أى فى مكان يمكن

العثور عليه فيه ، إن بحث عنه .

لو كانت صاحبة هذا الدرهم قد فقدته فى الشارع، أو فى الخلاء، أو فى البحر، لكان الأمل ضعيفاً جداً أو مفقوداً فى العثور عليه ...
لكنه فقد فى البيت، أى داخل الكنيسة .

ولكن الظاهر أن هذا البيت الذى فقد فيه، كان بيتاً ريفياً مظلماً، ليست فيه نوافذ كافية للإضاءة. كما أنه مغطى بالأتربة الكثيرة، وربما بما هو أكثر من التراب مما يمكن أن يخفيه.
* * *

ولكن ما هو كنه التراب، ذلك الذى يخفيه ؟
ربما كثير من أفكار المجتمع وانحرافات، أو كثير من المشاغل المتعددة التى أختفى وراءها، ولم يعد ظاهراً بسهولة لصاحبة البيت.
والمرأة صاحبة الدرهم فى هذا البيت هى الكنيسة .

التي يهملها عودته إليها. والتي فى هذا المثل قد بذلت كل جهودها حتى وجدته. فأوقدت سراجاً لئلا ينير البيت حتى ينكشف موضع هذا الدرهم المفقود، ويسهل العثور عليه فى النور .

والسراج فى هذا المثل يرمز إلى كلمة الله ووصاياه .
كما قيل فى المزمور "سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلي" (مز ١١٩ : ١٠٥). وقيل أيضاً "وصية الرب مضيئة ، تنير العينين من بعد" (مز ١٩) .
وقد كان هذا السراج لازماً للعثور على الدرهم المفقود، كما قال الرب "كلمتى لا ترجع إلى فارغة" (أش ٥٥ : ١١).

صاحبة الدرهم أنارت البيت وكنته، مفضحة عن الدرهم.
الكنيسة أتت بكلام الله لئلا تستطيع به أن تنير عقل ذلك الضائع، لئلا يرجع. وكنت البيت أى أزال الأتربة التى فيه التى تخفى الدرهم.

طبيعى أن الله يرسل نوره إلى هذا العالم المظلم، لئلا يستتير به السالكون فى الظلمة.
* * *

والكنيسة تبحث عن الدرهم لأنها تمتلكه. إنه ملك لها. واحد من العشرة الذين تمتلكهم. حقاً إنه قد ضاع. ولكن ضياعه لا ينفى ملكية الكنيسة له.
وضياعه لا يمنع ملكية الرب له. حتى إن سيطر عليه الشيطان، فهذا لا يعنى مطلقاً ملكية الشيطان له. إنما هذا إغصاب سلبه به الشيطان من الله والكنيسة .

إن الرب قد اشترى هذا الدرهم بدم طاهر غالٍ. كما قال الرسول "قد اشتريتكم بثمن"
(١كو٦: ٢٠).

✱ ✱ ✱

وعلى الرغم من أن الدرهم قد ضاع، إلا أنه ثمين على الكنيسة.
أنظروا مثلاً إلى زكا العشار، وقد كان هو أيضاً درهماً ضائعاً، إلا أن السيد المسيح
عزم أن يدخل إلى بيته. فلما انتقده اليهود على ذلك، أجابهم بأن "هذا هو أيضاً ابن
لابراهيم" (لو ١٩: ٩). إنه ابن لابراهيم على الرغم من ضياعه. لم يفقد قيمته. تماماً كما
قال الأب في قصة الابن الضال "ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" (لو ١٥:
٢٤). إنه لا يزال ابناً على الرغم من أنه كان ميتاً وكان ضالاً...
إننا لا نستطيع أن ننكر أصل هذا الدرهم، كإبن لإبراهيم، وابن للأب. خلق على
شبهه وله نفس صورته.

✱ ✱ ✱

وما أعمق العبارة التي قالها الرب في آخر قصة زكا:
"إن ابن الإنسان قد جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو ١٩: ١٠).
"ما قد هلك!!" وليس فقط ما قد ضلّ وتاه...! حقاً إنها عبارة مؤثرة جداً، تشبهها إلى
حد ما عبارة الأب "ابني هذا كان ميتاً" وبحسب قول القديس بولس الرسول "كنتم أمواتاً
بالذنوب والخطايا" (أف ٢: ١). ولكن الله قادر أن يقيم من الموت، ليس فقط الموتى
بالجسد، وإنما أيضاً الموتى بالذنوب والخطايا. وإذا بكلٍ منهم "كان ميتاً فعاش"...
وحسب قول الرب: فالذى هلك، جاء الرب ليخلصه (لو ١٩: ١٠).
إنه هلك أو مات، بمعنى أنه وقع تحت حكم الهلاك والموت. ولكن الحكم لم ينفذ فيه
بعد، فهناك أمل في خلاصه.

✱ ✱ ✱

نأخذ من هذا درساً أن الله يحبنا، حتى ونحن أموات بالخطايا، حتى ونحن في الظلام
والتراب، ويأتي ليخلصنا. وكما قال الرسول "إن الله بيّن محبته لنا. لأننا ونحن بعد خطاة،
مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٨). وأيضاً قول الرب "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه
الوحيد. لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦).
الله "جاء يطلب ويخلص ما قد هلك". لأن هذا (الهالك) هو أيضاً ابن إبراهيم، وهو
ابن الله قد خلق على صورته كشبهه، وقد خلق ليعود أعدها الرب له. وقد وُلد من الماء

والروح، وختم بالروح القدس. وصار هيكلًا لله، وروح الله يسكن فيه (١كو٣: ١٦). لقد ضلّ. ولكن قيمته محفوظة فيه...

* * *

هذا الدرهم المفقود كان عاجزاً عن الرجوع بنفسه. وما كان يدري مطلقاً أنه ضاع.

لقد وقع في التراب، وطابت له الواقعة فاستمر .

هكذا كان داود النبي، سقط في خطيئتي الزنا والقتل، وطاب له الوضع فاتخذ زوجة القتل له امرأة. وما كان يحسن عمق خطيئته، حتى أرسل له الله ناثان النبي، واستدرجه إلى المعرفة بمثل أو قصة. فلما ثار ضميره على ذلك المخطئ، حينئذ قال له ناثان "أنت هو الرجل"، وبلغه رسالة الرب له. وحينئذ فقط، أدرك داود عمق جرمه، فقال "أخطأت إلى الرب" (٢صم١٢: ١-١٣).

نفس للوضع بالنسبة إلى أبشالوم ابن داود، الذي تحدى أباه وحاربه ليأخذ منه الحكم، ما كان يشعر بخطيئته حتى مات. كانت شهوة الملك والسلطة تعمي بصيرته!

* * *

الدرهم المفقود - على الرغم من أنه كان لا يهتم بنفسه - إلا أن الله المحب كان يهتم به.

وعلى الرغم من أنه ما كان يستطيع أن يخرج نفسه من التراب والظلام، إلا أن الكنيسة استطاعت أن تجده، وتخرجه من بين التراب، لأنها كانت تهتم به وتبحث عنه، وتعمل "بكل اجتهاد" (لو١٥: ٨) لكي ترجعه إليها.

هو بضياعه يبد عن الحياة مع الله، لكن الله رده إليه .

* * *

حقاً، كم بحث الله عن دراهمه الضائعة منذ بدء الخليقة .

منذ خطية الإنسان الأول، وقد قرر الله أن يرسل ابن الإنسان، لكي يسحق رأس الحية (تك٣: ١٥). وذلك "لأنه لا يسرّ بموت الخاطئ، بل بأن يرجع ويحيا" (حز١٨: ٢٣). وهكذا قيل عن ربنا يسوع المسيح إنه "من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهيناً بالخزي" (عب١٢: ٢). وأى سرور دفعه إلى ذلك، إلا سروره بأن يرجع الدرهم المفقود إليه..

إنه السرور بأن يعيد الإنسان الساقط إلى رتبته الأولى. لأنه يعتبر أن ضياع هذا الدرهم خسارة له وخسارة للكنيسة. فضياع هذا الدرهم كان يعني فقد الكنيسة لشيء كان

يمكنها أن تسعد به. وقد سلبته الخطية منها .

✱ ✱ ✱

ومن أجل إرجاعه إليه، عمل الرب كل ما يمكن لذلك !

أرسل روحه القدس إلى العالم ليعمل فيه. أرسل نعمته. أرسل أنبياءه ورسله القديسين. أرسل الرعاة والمعلمين والكهنة الأطهار لإفتقاده والبحث عنه. أرسل ناموسه ووصاياها، ووضع في قلوب الناس استنارة داخلية .

هذه الأمثال الثلاثة في (لوقا ١٥) تعطينا فكرة عن قيمة النفس الواحدة عند الله خالقها

وقاديتها ...

✱ ✱ ✱

فهذه النفس الواحدة لا تضيع وسط زحام الناس الآخرين :

لم تضيع نفس مريم المجدلية التي كانت فيها سبعة شياطين (لوقا ٨: ٢) (مر ١٦: ٩). ولم تضيع نفس توما الشكاك، ولا بطرس الذي أنكر الرب ثلاث مرات (مت ٢٦). ولم تضيع نفس شاؤل الطرسوسى الذى قال عن نفسه إنه كان "مجدفاً ومضطهداً ومقترباً" (اتى ١: ١٣). ولم تضيع أيضاً أنفس أوغسطينوس الفاجر، وموسى الأسود القاتل، ومريم القبطية الزانية..

كل نفس من هؤلاء ، كانت لها قيمتها عند الله .

✱ ✱ ✱

كذلك فإن هذا المثل يذكرنا بالذين فقدوا داخل البيت .

مثل ديماس مساعد بولس الرسول فى الخدمة، الذى قال عنه هذا الرسول: "ديماس تركنى لأنه أحب العالم الحاضر" (٢تى ٤: ١٠). وآخرون قال عنهم بولس الرسول أيضاً "لأن كثيرين من الذين كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك" (فى ٣: ١٨ ، ١٩) .

وراعى كنيسة سارديس الذى قال له الرب "إن لك إسماً إنك حى، وأنت ميت" (رؤ ٣:

١). وقد دعاه الرب إلى التوبة .

وأناس فقدوا وهم فى الكهنوت مثل أريوس ومقدونيوس ونسطور.. وباقى الهرطقة

والمبتدعين .

وآخرون فقدوا فى الرهبة وفى التكريس وفى التربية الكنسية.

✱ ✱ ✱

ومع كل ذلك، أقول لكم ملاحظة هامة جداً وهى :

هذا الدرهم قد فُقد ، ولكنه لم يُنس .

لم تتسه صاحبه أبداً . بل عدت دراهمها وأدركت أنه ليس بينها . فعرفت أنه قد ضاع ، وأخذت تبحث عنه وهو مفقود ، وبذلت كل جهدها حتى وجدته .

إنه فُقد ، ولكن لم يفقد الأمل في إرجاعه .

الكنيسة لم تياس من عودته إليها . حقاً ما أخطر اليأس من رجوع الخطاة! تلميذ يطول غيابه عن مدارس الأحد، فيشطب الخادم اسمه من كشوفه! أي أنه قد يئس من رجوعه . أو تبعد أسرة عن الكنيسة مدة طويلة، فيمتنع الكاهن عن افتقادهم ويقول "إن هؤلاء لا فائدة منهم!". إنه اليأس من عودة الخطاة!

ولكن المرأة في مثل الدرهم لم تياس ، بل إنها كانت :

تفتش باجتهاد :

كانت تفتش باجتهاد حتى وجدته ، أي باهتمام ومثابرة .

إن هذا يذكرنا بدور الراعي ويقول الدسقولية " فليهتم الأسقف بكل أحد ليخلصه". فالمسألة ليست مجرد روتين يريح الخادم به ضميره..! بل إنه اهتمام واجتهاد، حتى يخلص الخاطئ. عملنا مع الخطاة ليس فقط أن نسمعونا في الوعظ، فهذا أمر سهل! وإنما أن نجتهد حتى يتغيروا إلى أفضل، حتى يتوبوا ويرجعوا.

إن عبارة (وجده) مكررة في كل الأمثال الثلاثة في (لوقا ١٥).

الراعي وجد الخروف الضال، والكنيسة وجدت الدرهم المفقود. والأب قال عن ابنه إنه "كان ضالاً فوجد". وكانت عودة الضال سبب فرح لله وللملائكة وللكنيسة وللكل..

المرأة لم تتدب وتصرخ بسبب درهماها المفقود، بل بحثت ووجدته

ما أكثر ما نبكى على ضياع الخطاة، دون أن نبحث عنهم لكي نجدهم

هنا المرأة -التي تمثل الكنيسة- لجأت إلى الأسلوب العملي للبحث عن الضائع: ايقاد سراج، وكنس البيت، والبحث بكل إجتهد.

وعملية الكنس تحمل هنا تخلص البيت من البدع والاحترافات والهرطقات وربما

الكنس بسبب عفراً يتعب البعض، ولكنه لازم.

ما أكثر الضيق الذي سببته للكنيسة محاربة الأريوسية. أدى الأمر إلى عزل القديس

أثناسيوس الرسولى ونفيه عدة مرات. حتى قيل له "العالم كل ضدك يا أثناسيوس" فقال
"وأنا ضد العالم". ولكن ذلك كله كان لازماً لحماية الإيمان السليم .

فرح الملائكة :

"يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب" (لو ١٥ : ٧ ، ١٠) .

وهنا نسأل : لماذا يفرح الملائكة بتوبة التائبين ؟

إنهم يفرحون لأن توبة الخاطئ، تعنى اشتراكه مع الملائكة فى قداستهم. وتعنى نمو ملكوت الله ومشيبته، وهذا يُفرح الملائكة. كذلك فإن توبة الخاطئ تعنى خلاصه. وهذا ما يفرح به الله وملائكته .

وأيضاً فإن توبة الخاطئ تعنى نجاح الملائكة فى خدمتهم لأجل البشر. إذ يقول عنهم الكتاب "ليس جميعهم أرواحاً خادمة، مرسله للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب ١ : ١٤). فإن تم خلاص هؤلاء بالتوبة، لذلك يفرح الملائكة .

ويفرح الملائكة بخلاص هؤلاء التائبين، لأنهم سيكونون شركاء لهم فى ملكوت الله، فى أورشليم السمائية: حيث الله وسط شعبه" (رؤ ٢١ : ٣) وسيكون شعبه الملائكة والبشر الأتقياء المفديين .

✱ ✱ ✱

إن فرح الملائكة يدل على اخلاصهم لله ومحبتهم للبشر .

ويدل على معرفتهم فى السماء، بما يحدث للبشر على الأرض

أليس أمراً عجبياً أن توبة خاطئ واحد تسبب كل هذا الفرح وسط "الجمع غير المحصى

الذى للقوات السمائية"؟!

لقد فرحوا بإيمان وعماد الآلاف يوم البنطقستى (أع ٢) وفرحوا بانضمام جماهير من رجال ونساء، وإيمان مدن باسرها، وبيانتشار الإيمان، وبمرسوم ميلان للتسامح الدينى

سنة ٣١٣م. ولكن هنا فرح بخاطئ يتوب.. فمادام الأمر هكذا:

✱ ✱ ✱

إنها دعوة لك أيها الخاطئ أن تتوب، لتفرح السماء بتوبتك.

ودعوة للخدام أن يسعوا إلى توبة الخطاة لتفرح السماء بهم.

وأيضاً لتفرح الكنيسة وتدعو الصديقات والجارات ليفرحوا معها.

(ب)

مَثَلُ التَّيْنَةِ غَيْرِ المَثْمِرَةِ

(لوقا ١٣ : ٦-٩)

إنه مثل عن التوبة ، قاله السيد المسيح مباشرة بعد أن قال "إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا ١٣ : ٥).

والواقع إن إنجيل لوقا هو أكثر الأناجيل حديثاً عن التوبة :

★ مثال ذلك (لوقا ١٥) : الإصحاح كله عن التوبة وقبولها وفرح الله بها. ويحوى مثل الابن الضال، ومثل الخروف الضال، ومثل الدرهم المفقود. ويمثل أيضاً سعى الله وراء الخطاة لردهم .

★ وفي (لوقا ٧) قصة المرأة الخاطئة التي بللت قدمي المسيح بدموعها ومسحتها بشعر رأسها في بيت سمعان الفريسي، وتطويب الرب لتوبتها .

★ وفي (لوقا ٩) رفض السيد المسيح قول تلميذه يوحنا ويعقوب عن إحدى قرى السامرة التي رفضته "أشاء يارب أن تنزل نار من السماء فتقنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟" فانتهرهما الرب قائلاً "لستما تعلمان من أي روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص".

★ وبعد ذلك في (لوقا ١٠) ذكر لها مثل السامري الصالح ، الذي كان أكثر برأ ورحمة من الكاهن واللاوي، على جريح يهودي ملقى بين حي وميت.

★ وفي (لوقا ١٢) تكلم عن تطويب أولئك العبيد الذين أحقاؤهم من منطقة، وسرجهم موقدة. وإذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. وكذلك الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم في حينه .

★ وفي (لوقا ١٦) ضرب لهم مثل وكيل الظلم الذي يعطى فكرة عن الذي يستعد

لمستقبله الأبدى. كما حكى لهم أيضاً قصة الغنى ولعازر والمصير الأبدى لهما .

★ وفى (لوقا ١٩) ذكر قصة زكا العشار وتوبته وقبول الرب له وقوله "إن ابن الإنسان جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" .

★ وفى (لوقا ٢٣) ذكر توبة اللص اليمين ، وقبول الرب لها، ووعدته لذلك اللص بأنه سيكون معه فى نفس اليوم فى الفردوس .

✱ ✱ ✱

و غالبية هذه القصص والأمثال، أتفرد بها إنجيل لوقا وحده .

★ كذلك فى (لوقا ١٣ : ٣ ، ٥) كرر الرب عبارته "إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون". وهى تدل على خطورة عدم التوبة .

★ وبعد ذلك مباشرة (لوقا ١٣ : ٦ - ٩) ذكر مثل التينة غير المثمرة.

فقال : كانت لواحد شجرة تين مغروسة فى كرمه. فأتى يطلب فيها ثمراً، ولم يجد. فقال للكرام: هوذا ثلاث سنين أتى أطلب ثمراً فى هذه التينة، ولم أجد. إقطعها، لماذا تبطل الأرض أيضاً. فأجاب وقال له : يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد تقطعها" .

تينة فى كرم :

الواحد الذى كانت له شجرة تين فى كرمه هو الله نفسه .

والكرم المشار إليه هنا ، هو الكنيسة، جماعة المؤمنين .

وما أكثر الآيات التى تحمل هذا المعنى. منها ما ورد فى المزامير "يا إله الجنود [أيها الرب إله القوات]، ارجع واطلع من السماء. انظر وتعهد هذه الكرمة، هذه التى غرستها يمينك" (مز ٨٠ : ١٤ ، ١٥). وأيضاً نشيد الكرمة كما ورد فى سفر أشعياء النبى (أش ٥ : ١ - ٤) حتى يقول "والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا. احكموا بينى وبين كرمى: ماذا يصنع أيضاً لكرمى، وأنا لم اصنعه له؟!" هذا عن كنيسة العهد القديم طبعاً ..

✱ ✱ ✱

إن شجرة التين هذه ، مغروسة فى وسط الكنيسة، فى وسط شعب الله، فى وضع مميز لها مع باقى أشجار الكرم .

على الرغم من أنها غريبة عنها فى النوع، إلا أن الله نفسه غرسها فى كرمه، وفى

وسط أصفياته وأحبائه، مع أصحاب المواعيد والمواهب .

ما كان أجدر بهذه الثينة أن تقول : ما هو استحقاقى يارب أن أوجد وسط أولادك القديسين، بينما ليس هذا هو موضعي؟! ولكنك قد منحنتى امتيازاً ليس هو لى. فينبغى أن أسلك كما يليق بالدعوة التى دُعيت إليها (أف: ٤: ١). ولكن هذه الثينة لم تفعل كما كان ينبغى لها أن تفعل! إذ مرت عليها ثلاث سنين لم تأت فيها بثمر !

إن شجرة التين التى فى هذا المثل أحسن خطأً ومصيراً من تينة أخرى رآها الرب فى بدء أسبوع الآلام، ولم تكن تحمل إلا ورقاً فقط. فلعنها الرب. فبيست فى الحال (مت ٢١: ١٩، ٢٠).. أما هذه، فقد وجدت من يشفع فيها، فمُنحت سنة لعلها تصنع فيها ثمرأ .

التمر :

أتى صاحب الكرم ليطلب فيها ثمرأ ولم يجد.. فقال للكرام: لماذا تُبطل الأرض، اقطعها.. وهذا أمر طبيعى أن يطلب صاحب الكرم ثمرأ من شجره. فالتمر هو أهم شئ يطلبه. وما أعمق قول القديس يوحنا المعمدان :

"والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة". فكل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً، تُقطع وتلقى فى النار" (مت ٣: ١٠)

وقد أكد الرب نفسه على قول قديسه المعمدان، فقال فى الجزء الأخير من العظة على الجبل "هكذا كل شجرة جيدة، تصنع أثماراً جيدة.. كل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً، تُقطع وتلقى فى النار. إذن من ثمارهم تعرفونهم" (مت ٧: ١٧ - ٢٠).

وجعل التمر علامة للتلمذة عليه فقال:

"بهذا يتمجد أبى، أن تأتوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذى" (يو ١٥: ٨). وقال أيضاً فى نفس الاصحاح "لستم أنت اخترتمونى، بل أنا اخترتكم. وأقمتمكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم" (يو ١٥: ١٦) .

إذن نفهم من هاتين الآيتين ، الحقائق الآتية :

- أ - لقد اختارنا الله ، لكى نأتى بثمر .
- ب - بالثمر الكثير يتمجد الأب السماوى .
- ج - ينبغى أن يكون الثمر كثيراً ، وأن يدوم هذا الثمر .

ذلك لأن البعض ثمرهم ضئيل وقليل، ولا يتناسب مع الإمكانيات التي وهبهم الله إياها.
لو أن ثمرهم يظهر حيناً ولا يستمر!

يذكرنا هذا الثمر ولزومه، بمثل الوزنات (مت ٢٥: ١٤ - ٣٠)، وكذلك بمثل الأمانة (لو ١٩: ١٢ - ٢٦). لأن ما نريحه للملكوت هو ثمرنا .
* * *

والثمر المطلوب على نوعين : ثمر داخلي، وثمر للغير .

أما الثمر الداخلي ، فهو ثمر القلب من مشاعر روحانية يعمل النعمة فيه، وثمر الفكر في التأمل في الروحيات، وثمر الشفاه الشاكرة المسبحة لله، وثمر الحياة التي تحمّل رسالة تؤديها، وثمر للطاعة لله التي هي دليل محبتنا له. وثمر الإيمان العامل بالمحبة، وثمر الإنتاج ..

أما الثمر الذي للغير فهو نتيجة خدمتنا في حياة الآخرين، الذين يتخذون بما نقدمه لهم من قدوة ومن تعليم ومن رعاية وقيادة .
* * *

وواضح أن كل شجرة تعطى ثمرأ ، إنما ليتغذى به غيرها .

فهذه التينة : لو كانت قد صنعت ثمرأ، لاشك كان يتغذى به الغير ويتوق حلوته. وآباء الكنيسة من رسل ورعاة ومعلمين، كان لهم ثمر لبناء الملكوت ، لتقوية الآخرين وقيادتهم إلى الله. إنه ثمر في استخدام كل المواهب لعمل البنين . فهل لك أيها الابن المبارك ثمرأ يكوّن رسالتك في الحياة .
* * *

والمقصود بالثمر هنا هو ثمر الروح في حياتك وحياة غيرك .

فلا تفرح بكثرة الأوراق الخضراء في تينتك، ولا في امتداد فروعها، بمجرد كثرة الأشرطة، وكثرة الحركة شرقاً وغرباً، في أعمال لا تنتفع بها روحك، ولا تبنى أرواح الآخرين. إنما اهتم بالثمر.

طول أناة الله وصبره :

ثلاث سنوات كان صاحب الكرم يمر على هذه التينة، ولا يجد فيها ثمرأ، وعلى الرغم من ذلك كان صابراً عليها طول هذه المدة. فلم يأمر بقطعها من أول سنة لم تنمر فيها. وهكذا قال للكرام أخيراً: "هوذا ثلاث سنين أتى أطلب ثمرأ في هذه التينة ولم أجد..!"

عجيب أنت يارب في طول أناتك. ولكن لماذا ثلاث سنين ؟

ربما السنة الأولى، يُقال عنها : هذه النفس مبتدئة. ربما في السنة الثانية نقول إنها خطايا جهل أو ضعف أو عدم نضوج، كما يقول المرثل في المزمور "خطايا شبابي وجهالاتي، لا تنكر. كرحمتك اذكرني" (مز ٢٥: ٧). أما في السنة الثالثة - وقد بلغت النضوج الكافي - فلا عذر لها في عدم الإثمار. وأصبحت إذن - من جهة العدل - تستحق القطع. لذلك قال للكلام :
اقطعها لماذا تبطل الأرض !؟

✱ ✱ ✱

لقد صبر الله هذا الزمان كله، لأنه لا يسرّ بموت الشرير، بل يرجوعه إليه فيحيا" (حز ١٨: ٢٣). لأنه يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تي ٢: ٤). ولكن هناك حقيقة ينبغي أن يعرفها غير المثمرين وهي :
إن طول أناة الله، إنما تقود إلى التوبة، وليست مجالاً للاستهتار.

في هذا يقول الرسول "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته؟! غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله" (رو ٢ : ٤ - ٦) .

✱ ✱ ✱

وهنا نسأل : لماذا كانت تلك التينة غير المثمرة تستحق القطع

لأنها كانت تبطل الأرض . فقد خصصت لها مساحة من الأرض بدون نفع يعود من التينة. فأصبحت الأرض باطلة بها. كذلك لأنها كانت تأخذ من الغذاء والري، ما كان يمكن توجيهه إلى غيرها لكي يأتي بنفع. أيضاً منظرها هذا غير المثمر، لا يعطي صورة حية عن صفات أرض الله وسمعة كرمه. يضاف إلى هذا أنها قد أعطيت فرصة ثلاث سنين للإثمار. وهذا يكفي .

أما القطع من جماعة المؤمنين فيسمى Excommunication .

✱ ✱ ✱

هذه التينة ترمز إلى أعضاء غير مثمرين في الكنيسة .

وقد صبر الله عليهم. مثال أولئك الشعب اليهودي الذي كم صبر الرب عليه. وكم أراد في بعض الأوقات أن يفنيه (خر ٣٢: ١٠). بل قد دفعه أحياناً إلى السبي، وأسلمه أحياناً

إلى أيدي أعدائه.

★ ومن غير المتمرين الذي صبر الله عليهم: يهوذا الإسخريوطى وكم أنذره الرب ولم يستعد، وأخيراً أمر بقطعه، بينما كان واحداً من الإثنى عشر مغروساً في كرم الله. وكذلك أبشالوم وكان واحداً من أبناء داود النبي العظيم، وثار أخيراً على أبيه وحاربه، وتم قطعه أخيراً. مثال آخر هو هو نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة القديسين (أع ٦: ٥). وكان مغروساً في كرم الرب. ثم قطع إذ صار من أصحاب البدع (رؤ ٢: ١٥) .

★ شخص آخر صبر الله عليه، هو راعي كنيسة ساردس أحد ملائكة الكنائس السبع التي في آسيا، وكان في يد الله اليمنى (رؤ ٢: ١). ثم قال له الرب "إن لك إسماً أنك حي وأنت ميت!" (رؤ ٣: ١).

★ صبر الله على الإلحاد في روسيا ورومانيا وباقي بلاد الاتحاد السوفييتي ٧٠ سنة إلى أن رجعوا أخيراً .

إنفتت الله إلى هذه التينة بالذات من بين أشجار الكرم .

أعطاهما إهتماماً خاصاً ، لأنه يهتم بالنفس الواحدة. وقد يترك التسعة والتسعين في حظيرته ليبحث عن الواحد الضال. أظهر أنه يلاحظ حالتها خلال الثلاث سنوات كلها. وكأنه يقول لها نفس العبارة التي قالها لكل واحد من ملائكة الكنائس السبع "أنا عارف أعمالك" (رؤ ٢: ٣) وأيضاً عبارة "لكن عندي عليك أنك..".

فعل هكذا كما فعل مع يونان النبي، وقد نام في السفينة نوماً ثقيلاً بينما كان باقى النوتية (البحارة) يصلون (يون ١: ٥).

الشفيع :

قال الرب للكرام "إقطعها" . ولكن هذا الكرام وقف شفيعاً في هذه التينة غير المتمرة وقال يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً، حتى أنقّب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمراً، وإلا فغيما بعد تقطعها".

الله يقول له "إقطعها" وهو يجيب "اتركها هذه السنة أيضاً" . أتري الكرام كانت مشيئته في هذه النقطة ضد مشيئة الله؟!

كلا، كان الكرام يخاطب قلب الله وليس لسانه .

أو كان لسان الله يختبر قلب الكرام ومحبته وصبره .

✽ ✽ ✽

يذكرنا هذا الأمر بموقف موسى النبي، حينما قال له الله "رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمني غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيماً" (خر ٣٢: ٩، ١٠). ولكن موسى لم يوافق بل قال للرب "لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك.. أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك".. إلى أن قال له "والآن إن غفرت خطيئتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت" (خر ٣٢: ٣٢) .

هنا لم يقف موسى ضد مشيئة الله، وإنما تحاور مع الله وهو يعرف قلبه الحنون. وكان كلام الله مجرد اختبار لموسى ليبرى ما في قلبه من حنو ومغفرة، وما في طبعه من طول أناة وصبر .

كان عدل الله يقتضى قطع التينة. ولكن عدله كان مملوءاً رحمة. فاستمع إلى قول الشفيح : اتركها هذه السنة أيضاً .

إتركها هذه السنة :

كما احتملتها السنوات الثلاث الماضية، احتملها هذه السنة أيضاً. إعطاها فرصة أخرى، أو فرصة أخيرة، وأنا سأعمل لأجلها .

ستكون فرصة عمل "أنقب حولها، وأضع زبلاً". والمعروف أن زبل الحمام، أو زبل الدجاج، أو زبل الغنم، هو من أرقى أنواع السماد وأكثرها نفعاً. أى ستكون السنة فترة عناية مركزة بها.

ما أعجب حب هذا الشفيح . يطلب للتينة غير المثمرة سنة بكل فصولها، بشمسها بجوها بريها . لعلها تأتي بثمر .

✽ ✽ ✽

جميل بهذه التينة أن تشعر أنها ليست وحدها في هذه الفرصة المعطاة لها ، إنما معها الكرام الذى سينقب حولها ويضع زبلاً، ويهتم بها .

هذا الشفيح الحنون سيحمل مسئولية إثمارها خلال السنة.. ربما كان نقص التغذية هو سبب عدم الإثمار. إذن تغذيها، ومنتظر عليها. فإن صنعت ثمراً فهذا حسن، وإلا ...

✽ ✽ ✽

نلاحظ هنا عنصر الرجاء ، مع طول فترة عدم الإثمار .

لقد كان داود شفيحاً فى سليمان، حتى بعد موته، حتى دون أن يشفع. بل أن مجرد

دالته عند الله أصبحت مصدراً للشفاعة. ولهذا قال الرب لسليمان الذى أخطأ وسار وراء آلهة أخرى "إني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيتها لعبدك. إلا أنتى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبوك. بل من يد ابنك أمزقها. على إني لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطى سبطاً واحداً لابنك من أجل داود عبدى..". (امل ١١ : ١١ - ١٣) .

فترة محددة :

أعطيت التينة فترة سنة محددة ، لعلها تثمر فيها. وهذا الأمر يذكرنا بقول الرب فى سفر الرؤيا عن إيزابل الزانية :

"أعطيتها زمناً لكى تتوب عن زناها، ولم تتب" (رؤ ٢ : ٢١).

إنها فترة محددة إلى أن يمتلئ كأس غضبها إن لم تتب.

هكذا الرب أعطى فرعون زمناً لكى يتوب فى أيام موسى، ولم يتب. فى كثير من الضربات كان يقول لموسى وهرون "اخطأت إلى الرب وإليكما، صلينا عنى" (خر ٩ : ٢٧) (خر ٨ : ٨). فلما ترتفع الضربة كان يرجع أكثر شراً مما كان. ولما انقضت الفترة المعطاة له، سمح الله أن يغرق فرعون وجنده فى البحر الأحمر .

* * *

سليمان: أعطاه الرب زمناً أن يتوب عن رفاهته الزائدة فتاب

وهكذا قال فى سفر الجامعة : الكلى باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس (جا ١ : ١٤). وأظهر محبته لله فى سفر التثديد .

أما شاول الملك ، فأعطاه الرب زمناً ليتوب ولم يتب. فقيل عنه "وذهب روح الرب من عند شاول، وبعثه روح ردى من قبل الرب" (اصم ١٦ : ١٤) .

طول أناة الله إنما تقتاد إلى التوبة. فإن انقضت السنة المحددة، حينئذ ينطبق قول الكتاب "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب ١٠ : ٣١). وحينئذ يسلم الله هؤلاء الفجار إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رو ١ : ٢٨) .

إن صنعت ثمراً :

أى أن هناك احتمالاً أن تصنع ثمراً. وتضيف إحدى الترجمات، فذلك حسن Well . حسن للتينة نفسها أنها نالت الخلاص، ونجت من القطع، ونالت خصوبة تعطى ثمراً. وحسن للكرام أن عمله الرعوى والشفاعى قد أتى بنتيجة. وحسن للكرم نفسه أنه لم تبطل

أرضه، ولم تشوه الشجرة غير المثمرة منظرة. وحسن لصاحب الكرم الذي يريد أن الجميع يخلصون.

وَالِد :

وإلا ففيما بعد تقطعها. أي الحكم موجود، ولكنه قد تأجل، لمعرفة مدى استجابة التينة لرعاية الكرام. وإلا ينطبق قول الرب "إن لم تثوروا، فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا : ١٣ : ٣، ٥).



الباب الرابع أَمْثَالُ النَّمُوِّ

مِنْ بَيْنِ أَمْثَالِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَنِ النَّمُوِّ،
نَذَكُرُ أَرْبَعَةَ أَمْثَالٍ :

١- مَثَلُ الْخَمْيِرَةِ : (مت ١٣ : ٣٣)
(لو ١٣ : ٤١)

٢- مَثَلُ حَبَّةِ الْخُرْدِ : (مت ١٣ : ٣١، ٣٢)
(مر ٤ : ٣١، ٣٢) (لو ١٣ : ١٩)

٣- مَثَلُ الْوُزْنَاتِ : (مت ١٤ : ٣٠-٣١)

٤- مَثَلُ حَبَّةِ الْقَمْحِ (الزَّرْعِ الَّذِي نَبَتَ)
(مر ٤ : ٢٦-٢٩)

هَذِهِ الْأَمْثَالَةُ فِي النَّمُوِّ، تَحْتَمِلُ تَأْيِيحَ اللَّرْمَعِ الْبَشَرِيَّةِ

١- مَثَلُ الخَمِيرَةِ

(مت ١٣ : ٣٣)

النمو :

★ في مثل الخميرة ، يقول إنه خبأتها امرأة في ثلاثة أكياس دقيق، حتى "اختمر الجميع" (مت ١٣ : ٣٣). وفي مثل حبة الخردل يقول إنها "نمت وصارت شجرة كبيرة، وتأتوت طيور السماء في أغصانها" (لو ١٣ : ١٩) . وفي مثل الوزنات يقول إن العبد تاجر بها وريح. وفي مثل حبة القمح يقول "والبذار يطلع وينمو.. أولاً نباتاً، ثم سنبلًا، ثم قمحاً ملآن في السنبل" (مر ٤ : ٢٧، ٢٨) .

* * *

★ وهذا النمو يرمز إلى النمو في الأفراد أو في الكنيسة .

فمن شروط الحياة الروحية ، النمو . والإنسان الذي يقف نموه، هو عرضة أن يرجع إلى الوراء. أما الذي يكون نامياً باستمرار، فإن الحرارة الروحية تكون ثابتة في حياته... ولعل من أمثلة النمو في حياة الأفراد، قول القديس بولس الرسول "افعل شيئاً واحداً. أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض.." (في ٣ : ١٣) .

* * *

والتنو في حياة الكنيسة يعنى النمو في عملها وخدمتها، وفي نشرها الإيمان وملكوت الله في الأرض كلها.

إنه قصة الكتاب كله، من جنة عدن، إلى جزيرة بطمس. أى من أول سفر التكوين إلى سفر الرؤيا ..

هى قصة نعمة الله العاملة في الكل . لأنه لا يستطيع أحد أن ينمو إن لم تكن نعمة الله عاملة فيه (١كو ١٥ : ١٠). وفي ذلك يقول سفر الأعمال:

"وكان الرب في كل يوم ، يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع ٢ : ٤٧) .

وفى نحو ٣٠ سنة كان ملكوت الله قد أتى بقوة (مر٩: ١). وامتد إلى آسيا وأوروبا وأفريقيا. وتحقق فى رسل السيد المسيح ما تنبأ به عنهم المزمور قائلاً "الذين لا قول لهم ولا كلام.. إلى كل الأرض خرج منطلقهم، وإلى أقصى المسكونة بلغت أقوالهم" (مز١٩: ٣، ٤). وهكذا البداية الصغيرة التى كانت كحبة الخردل، نمت وصارت شجرة كبيرة تتأوى الطيور فى أغصانها .

✱ ✱ ✱

وكان أمثال السيد الرب كانت نبوءة عن مستقبل الكنيسة .

من بداية صغيرة، من خميرة بسيطة "حتى أختمر العجين كله" ، من حبة قمح، حتى صارت سنابل مملوءة قمحاً .

إذن فالقاعدة التى وضعها الرب هى أن ملكوته على الأرض لا بد أن يكون نامياً. وقد تنبأ عنه فى سفر حزقيال النبى قائلاً: "أغرسه، فنبئت أغصاناً ويحمل ثمرأ.. فيسكن تحته كل طائر، كل ذى جناح يسكن فى ظل أغصانه" (حز١٧: ٢٣) .

✱ ✱ ✱

ومثلاً الخميرة وحبة الخردل يعطيان مثلين متنوعين عن النمو:

مثل حبة الخردل يعطى مثلاً عن النمو الظاهر من الخارج : إذ تصير البذرة شجرة كبيرة عالية تأوى إليها طيور السماء .

وبنفس الوضع مثل حبة القمح التى تصير سنابل مرتفعة ممثلة.

أما مثل الخميرة، فيعطى فكرة عن النمو من الداخل ، وكيف تنتشر الخميرة فى كل الدقيق دون أن تراها .

وستحدث الآن بمشيئة الله عن مثل الخميرة .

مثل الخميرة :

هذا المثل يمثل الخميرة - لا فى نوعيتها - بل فى انتشارها .

على الرغم من أن الخميرة فى مواضع كثيرة فى الكتاب المقدس، ترمز إلى الشر. كما قال الرب لتلاميذه "احترسوا من خمير الفريسيين" أى من تعاليمهم الخاطئة (مت١٦: ١٢) أو من رياتهم (لو١٢: ٢). وكما قال القديس بولس الرسول "إذن لنعيّد.. لا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق" (١كو٥: ٨). وهكذا بعد الفصح كانوا يعيدون أسبوعاً لا يأكلون فيه إلا الفطير. ويعزلون الخمير من بيوتهم . وكل من أكل مختمراً،

تقطع تلك النفس من شعبها" (خر ١٢: ١٥، ١٩) .

ولكن الخمير في المثل لا يقصد به إلا الإنتشار وحده .

كما تشبه شخصاً بالأسد ، في الشجاعة والقوة فقط، وليس في الإفتراس والوحشية . فالسيد المسيح قيل عنه في سفر الرؤيا " قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا، أصل داود" (رؤ ٥: ٥) . والأربعة أحياء في سفر الرؤيا قيل عنهم "الأول شبه أسد" (رؤ ٤: ٧) يرمز إلى إنجيل مارمرقس .. على الرغم من أن الشيطان أيضاً شبه بأسد. فقال القديس بطرس الرسول "اصحوا واسهروا، لأن ابليس خصمكم كأسد يزار، يجول ملتصقاً من بينلعه هو" (ابط ٥: ٨) .

إذن في كل تشبيه نتقيد بوجه الشبه المقصود .

وقد يكون للشئ الواحد وجه شبه جيد، ووجه شبه ردى، كما قلنا عن الأسد، وكما نقول عن الخميرة .

كذلك الكلام أيضاً عن الحية. كانت في أغواء أمانا حواء تمثل الشيطان (تك ٣). وكذلك قيل إن الشيطان هو الحية القديمة (رؤ ١٢: ٩). ومع ذلك يقول الرب 'كونوا حكما كالحيات' (مت ١٠: ١٦). هنا في وجه شبه محدد وهو الحكمة وليس في الشر ... وجه الشبه المقصود في المثل من الخميرة هو سرعة الإنتشار .

وقدرتها على أن تخمر العجين كله . وكيف أن قطعة صغيرة منها تستطيع أن تقوم بالعمل كله . وهكذا في الحال مع نمو الكنيسة وانتشارها في كل العالم، من بداية صغيرة يمثلها الرسل الإثنا عشر، والكنيسة الصغيرة في عددها .

خميرة صغيرة

ليس المهم هنا في صغرها ، إنما في قوة عملها .

وعلى رأى المثل الإنجليزي Quality, not quantity (النوع وليس الكمية) . فالكنيسة بدأت بداية صغيرة، كالخميرة أو كحبة الخردل ...

بدأت أولاً بذلك الطفل الصغير في المزود، ومع أمه العذراء الصغيرة في سنها وفي فقرها، ويوسف النجار الصغير في مركزه الإجتماعى. ومجموعة أخرى لعلها أنتقلت من العالم الحاضر قبل يوم البنطقسى (ونعنى سمعان الشيخ، وحنه النبىة، وزكريا الكاهن،

والليصابات) .

ثم نمت الكنيسة ، في الرسل الإثني عشر (مت ١٠) ثم في السبعين (لو ١٠) مع تقيسين وقيسات تبعوا المسيح (لو ٨) . وفي يوم حلول الروح القدس انضم إلى الكنيسة ثلاثة آلاف آمنوا واعتمدوا (أع ٢: ٤١) . وبعد معجزة شفاء الأعرج صارع عدد الرجال المؤمنين خمسة آلاف (أع ٤: ٤) . ثم " كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في اورشليم، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع ٦: ٧) .

* * *

ثم تدرج الأمر من تضملم الأفراد إلى تضملم المدن والأمم .

أمنت السامرة واعتمد أهلها (أع ٨) ثم زحف للكراترة إلى لده ويغا (أع ٩: ٣٢ ، ٤٢) ثم قيصرية (أع ١٠) ثم بعد ذلك أنطاكية (أع ١١) . ثم للعمل الكبير الذي قام به القديس بولس للرسول في آسيا الصغرى وفي بلاد اليونان وفي رومه، وعمل مارمرقس في الإسكندرية وليبيا ...

كل ذلك من خميرة صغيرة بدأ عملها في اورشليم ثم لتتشر . كل هذا كان درساً حتى لا نحترق العمل للصغير .

* * *

القديس الأنبا أنطونيوس كان فرداً واحداً حينما بدأ حياة التمسك، ثم ما لبث أن أنتشرت به الرهبنة في العالم أجمع . والقديس أنبا بولا السائح كان فرداً بسيطاً، ولكنه كان بداية لطقس السواح في الكنيسة كلها ...

كلمة واحدة قالها السيد المسيح لمتى العشار " اتبعنى " (مت ٩: ٩) كانت بداية عملت فيه وحولته إلى رسول وإنجيلي . وعجاجة واحدة قالها للرب لسمعان بطرس وإندراوس " هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس " (مت ٤: ١٩) هذه العبارة كان لها عملها العميق في قلوبهما جعلهما رسولين من الإثني عشر .

وهكذا كثير من الكلمات البسيطة الصغيرة كانت سبب تحول في حياة كثيرين، كما في لقاء الرب مع شاول الطرسوسى (أع ٩) .

* * *

صدقوني يشبه هذا الأمر العمل الكرازي الذي تقوم به الكنيسة القبطية في أفريقيا، والذي بدأ بإرسال راهب قبطي إلى هناك " بلا كيس ولا مزود " . ولكنه انتشر كالخميرة التي خمرت بلاداً كثيرة . فصارت لنا حوالي ثلاثين كنيسة واسقفان وكهنة ..

نفس الوضع في تأسيس الكنائس القبطية في أمريكا وكندا وأستراليا وأوروبا. مجرد خميرة صغيرة وأنتشرت.. وكذلك بدأ عمل الكنيسة في أمريكا الجنوبية: في البرازيل ثم بوليفيا..

* * *

مهما كانت البداية صغيرة، هذا أمر لا يهم. المهم هو الإنتشار .
الكنيسة في أيام الرسل بدأت بداية صغيرة جداً، ثم نقرأ بعد ذلك في سفر أعمال الرسل "وأما الكنائس في جميع اليهودية والجيليل والسامرة، فكان لها سلام، وكانت تبني، وتسير في خوف الرب. ويتعزية الروح القدس كانت تتكاثر" (أع: ٩٤: ٣١) .

عمل الخميرة :

كلما نقرأ عبارة "كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً" (أع: ٦: ٧)، نذكر حقائق هامة في مثل الخميرة وهي :

قوة الحياة الخفية الموجودة في الخميرة، وقدرتها على العمل.

لاشك أن قوة كبيرة خرجت من الخميرة، وعملت في أكبال الدقيق. إنها تعطينا فكرة عن قوة النعمة العاملة في الكنيسة ، هذه القوة التي قال عنها القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي" (١كو ١٥: ١٠) .

* * *

الخميرة في عملها، تمثل العمل السري في الكنيسة .

القوة الخفية التي تعمل ونحن لا نراها، ولكن نرى نتيجة عملها. هي قوة خفية لبناء الملكوت، قوة الروح القدس ..

من فينا يرى العمل السري الذي تقوم به الخميرة في الدقيق؟! ربما يقول العلماء إنها تعمل على تكاثر الخلايا. ولكننا لا نرى شيئاً.

* * *

هكذا العمل غير المرئي في الأسرار الكنسية .

لا نرى العمل الخفي الذي تعلمه المعمودية في الميلاد الثاني من الماء والروح (يو: ٣: ٥) (تي: ٣: ٥). وكذلك لا نرى العمل الخفي الذي تقوم به المسحة المقدسة في سر الميرون (ايو: ٢: ٢٠ ، ٢٧). وكيف يسكن الروح القدس في الإنسان، ونصبح هياكل

للروح القدس وهو يسكن فينا (١كو٣: ١٦) (١كو٦: ١٩) .

كل ذلك يذكرنا بعمل الخميرة السرى فى العجين .

✱ ✱ ✱

كذلك عمل الخميرة هو عمل داخلى، يتخلل كل ذرات الدقيق .

إن الخميرة لا تعمل من الخارج ، بل تعمل عملاً داخلياً عجبياً، يحول الدقيق إلى شئ

آخر غير ما كان عليه فى بادئ الأمر. ويظل هذا العمل فيه حتى يكمل اختماره .

وإذ يصبح الدقيق مختمراً، لا يكون له فضل فى ذلك .

إنه لم يصير ذاته هكذا، بل الخميرة هى التى حولته إلى الصفة الجديدة التى صار

ليها. كما قال السيد الرب "بئسنى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥) .

✱ ✱ ✱

كل ما حدث هو أن الدقيق سَلِمَ ذاته لعمل الخميرة فيه .

لم يقاوم ، ولم تكن ذاته ذات فاعلية تتمسك به، بل هو يعطينا فكرة عن (حياة التسليم)

كيف تكون. هذه التى قال عنها القديس بولس الرسول "أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فى"

(غلا٢: ٢٠). هكذا الدقيق يقول " لا أنا ، بل الخميرة التى تعمل فى " .. "أنا ما أنا "

(١كو١٠: ١٠) .

لا يمكن للدقيق أن يصير خبزاً بإرادته هو، بل لا يصير عجينة مختمراً بإرادته هو.

إنها الخميرة العاملة فيه .

✱ ✱ ✱

الجميل فى الخميرة إنها تعمل فى الحال ، وتعمل باستمرار .

حينما توضع الخميرة فى الدقيق ، لا تتباطأ فى العمل، بل تعمل فى التو، وتظل تعمل

وتعمل، حتى تقول أخيراً "قد أكمل". وهذا هو الذى حدث مع الكنيسة الأولى، حالما حلَّ

الروح القدس على التلاميذ، بدأوا يعملون بلا توقف، من أول ساعة، إلى أن نشروا

الملوكوت. بدأوا عمل الكرازة ، عمل التبشير، عمل التعليم، عمل التعميد، حتى تم انتشار

الخميرة فى العجين كله .

تماماً كما دخلت الكلمة الإلهية فى اذن القديس أنطونيوس، للحال ظلت تعمل فيه، حتى

باع كل ما يملك وذهب ليكرس كل قلبه وكل فكره لمحبة الرب، بلا تباطؤ .

✱ ✱ ✱

أهم ما فى عمل الخميرة أنها تنتشر .

تنتشر في العجين ، وتتخلل كل ذراته، وتحولها .

إن الدبغة الحقيقية هي التي تتخلل الإنسان كله وتحوله . تتخلل عقله وقلبه وإرادته، وتصل فيه عملاً داخلياً سرّياً وهكذا يقول الرسول عن كلمة الله إنها "حياة وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حنين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ" (عب: ٤: ١٢).

هكذا الخميرة تتخلل كل ما في الدقيق ، وتكون حياة وفعالة .

* * *

ولعل أبرز عمل للخميرة أن تغير الدقيق وتحوله إلى خمير .

كل قطعة منه تصلح أن تكون خميرة . لأن الخميرة التي وضعت فيه حولته إلى طبيعتها، إلى صور منها ومثال .. وأصبح هو أيضاً يعمل كعمل الخميرة ذاتها. إن أخذنا جزءاً منه ووضعناه في عجين، يمكنه أن يخمره. لا يبقى الدقيق دقيقاً، بل يصير خميراً. هكذا شاول الطرسوسي ، لما اختمر بكلمة الله العاملة فيه، لم يقتصر فقط على اختماره للشخصي، بل تحول إلى خميرة يمكنها أن تخمر العجين كله .

وهذا هو العجيب في الخميرة ، إنها تحول الدقيق إلى مثل طبيعتها . وهذا هو عمل الكنيسة في المؤمنين الجدد .

* * *

الله يعمل فيك، لكي يحولك إلى صورته ومثاله .

والذي يؤمن ويدخل إلى العماد المقدس، يستمع إلى قول القديس بولس الرسول "لأن جميعكم الذي اعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح" (غل: ٣: ٢٧) .. نعم، لبستم براه، ولبستم شكله، وصرتم مثله بلا خطية في وقت خروجكم من المعمودية.

كأناس يدخلون إلى الإيمان، وتعمل الخميرة المقدسة فيهم، فتراهم يتحولون إلى خدام لا يجذبون غيرهم أيضاً إلى الإيمان ...

هكذا كان للشباب أوغسطينوس شاباً ضائعاً بعيداً عن الإيمان. فلما آمن واعتمد، استطاع أن يحول غيره إلى الإيمان. ولما سلك في الحياة الروحية، أصبح هو أيضاً يحول كثيرين إلى الحياة الروحية .

* * *

من خصائص الخميرة أنها لا تهدأ حتى تخمر العجين كله .

علما لا يقف عند حد، بل يستمر حتى يكمل لكل، كما قال السيد المسيح عليه الصليب "قد أكمل" (يو: ١٩: ٣٠) .

وكما قال للأب : الذين أعطيتنى حفظتهم فى اسمك، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك" (يو ١٧). وكما قال "أنتم ملح الأرض" "أنتم نور العالم" (مت ٥: ١٣، ١٤). فالملح يملح الطعام كله، بانتشاره فيه. والنور أيضاً ينير البيت كله، بانتشاره فيه .

يقول الرب أيضاً فى مثل الخميرة ، أنه أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاث كيلات دقيق...

✱ ✱ ✱

المرأة فى هذا المثل ترمز إلى الكنيسة .

كما قيل عن المرأة أيضاً فى مثل الدرهم المفقود (لو ١٥). كما ظلت تبحث عنه حتى وجدته، هكذا الكنيسة تبحث عن الخاطئ حتى ترده .

المرأة خبأت الخميرة فى كيلات الدقيق، هكذا الكنيسة هى التى بكرزتها تضع الإيمان فى قلوب الناس، وبرعايتها تضع مشاعر التوبة فى قلوبهم، بعمل قوى وعميق .

✱ ✱ ✱

المرأة لم تضع فقط الخميرة فى الدقيق، بل أولاً حولت الدقيق إلى عجين، حتى يصلح وضع الخميرة فيه .

أى هيات الجو المناسب الذى يجعل الخميرة تعمل. فهى لا تعمل فى مجرد الدقيق، إنما يوضع عليه الماء الدافئ، وبالماء والحرارة يعجن أولاً حتى يصبح مناسباً لعمل الخميرة فيه .

وهذا ما عمله الكنيسة إذ تهيئ للشعب الجو المناسب. بالأسرار الكنسية، بالماء والروح، بالحرارة والدفاء.. تأخذ الإنسان وتحوله إلى جو مناسب لعمل النعمة فيه . تعطيه العماد ، تعطيه الروح القدس بمسحة الميرون المقدس، تعطيه الحل فى سر التوبة، تمهده لسر الافخارستيا المقدس .. وباختصار، تعجبه جيداً قبل أن تخمره بوضع الخميرة فيه .

✱ ✱ ✱

وهذا يرينا أنه لا يوجد خلاص خارج الكنيسة .

وكما قال أحد القديسين إنك لا تستطيع أن تتخذ الله أباً، دون أن تتخذ الكنيسة أمّاً. وهكذا يشرح القديس بولس الرسول فى رسالته إلى رومية فيقول "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص . فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به! وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟! وكيف يسمعون بلا كارز؟! وكيف يكرزون إن لم يرسلوا" (رو ١٠: ١٣-١٥).

فالكنيسة هى التى ترسل الكارزين، وهؤلاء يقومون بخدمة الكلمة، التى تؤدى إلى

الإيمان، فالمعمودية فالخلاص (مر ١٦: ١٦) . وإن أخطأ الناس بعد هذا ، وبعدوا ع
الله، تقوم الكنيسة بخدمة المصالحة ، تتنادى أن اصطلحوا مع الله (٢كو ٥: ١٨ ، ٢٠) .

✱ ✱ ✱

المرأة خبأت الخميرة في ثلاث كيلات دقيق .

خبأتها أى وضعتها في الداخل، في الأعماق . هذا ما تفعله بكلمة الله حينما تضعها في
قلوب المؤمنين ، وما تفعله بالإيمان حينما تضعه في أعماقهم. ويذكرنا هذا بقول المزمور
"خبأت كلامك في قلبي لكي لا أخطئ إليك" (مز ١١٩) .

فالخميرة التي توضع خارج الكيلات، لا تأتي بثمر . لكن المرأة أى الكنيسة ، خبأت
في الداخل، في المكان المناسب .

ولكن ما معنى ثلاث كيلات دقيق ؟

ثلاثة أكيال دقيق :

الرقم ٣ بوجه عام يرمز إلى الكيان .

فمثلاً الحجم يتكون من ثلاثة : الطول والعرض والارتفاع.

والزمن أيضاً من ثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل .

وأية مباراة : نتيجتها في ثلاثة : إما غالب ، أو مغلوب، أو متعادل .

وهكذا في العلاقات : إما مؤيد ، أو معارض ، أو محايد .

والجنس : إما ذكر ، أو انثى ، أو لا هو ذكر ولا انثى ، كالملائكة .

والمواد أيضاً ثلاثة : صلبة، أو سائلة، أو غازية .

والكائنات الحية التي على الأرض : إنسان ، أو حيوان ، أو نبات وتحيا إما أرضية،

بحرية، أو طيوراً في الجو .

✱ ✱ ✱

وهكذا في تطبيق المثل: إلى أى شئ ترمز الثلاثة أكيال دقيق؟

إما ترمز إلى البشرية كلها التي تناسلت من أبناء نوح الثلاثة سام وحام ويافت .

أو في محيط الأسرة : الأب ، والأم ، والأولاد .

أو ألقبت الخميرة في تكوين الإنسان من جسد ونفس وروح .

أو في محيط الكنيسة: الإكليروس، والمؤمنين، والذين يمكن ضمهم .

أو في محيط الشعب : الأطفال ، والشباب ، والشيوخ .

أو في العهد القديم: في الناموس والأنبياء والمزامير (لو ٢٤ : ٤٤) .

أو في المجال المسيحي : العهد القديم، والعهد الجديد، وتقليد الكنيسة . كل ذلك ما يمكن أن تعمل فيه الخميرة، أو تعمل بواسطته.

ملاحظات :

★ ننكر غير ما سبق أن الخميرة ، بالإضافة إلى عملها في سرية، كانت تعمل أيضاً في تدرج . وهذا العنصر ينطبق أيضاً على باقى أمثال النمو، مثل حبة الخردل، والزرع الذى ينمو .

★ كذلك فإن الخميرة كانت تعمل بلا مقاومة . كما قال الرب عن كلمته "لا ترجع إلى فارغة، بل تعمل ما سررت به، وتنجح في ما أرسلتها له" (أش ٥٥ : ١١) .

★ كذلك فإن إنتشار الخميرة في العجيين، يعطينا درساً أننا في خدمة الملكوت ، لا نبعد عن العالم، بل نتخلله ونعمل فيه ، ونؤثر فيه، ونغيره على قدر ما نستطيع . كما تفعل الخميرة ، تدخل إلى العجيين، وتنتشر فيه، وتؤثر فيه، وتغيره إلى نفس طبيعتها .

★ الخميرة طعمها غير مقبول . ولكن عملها ناجح ونافع .

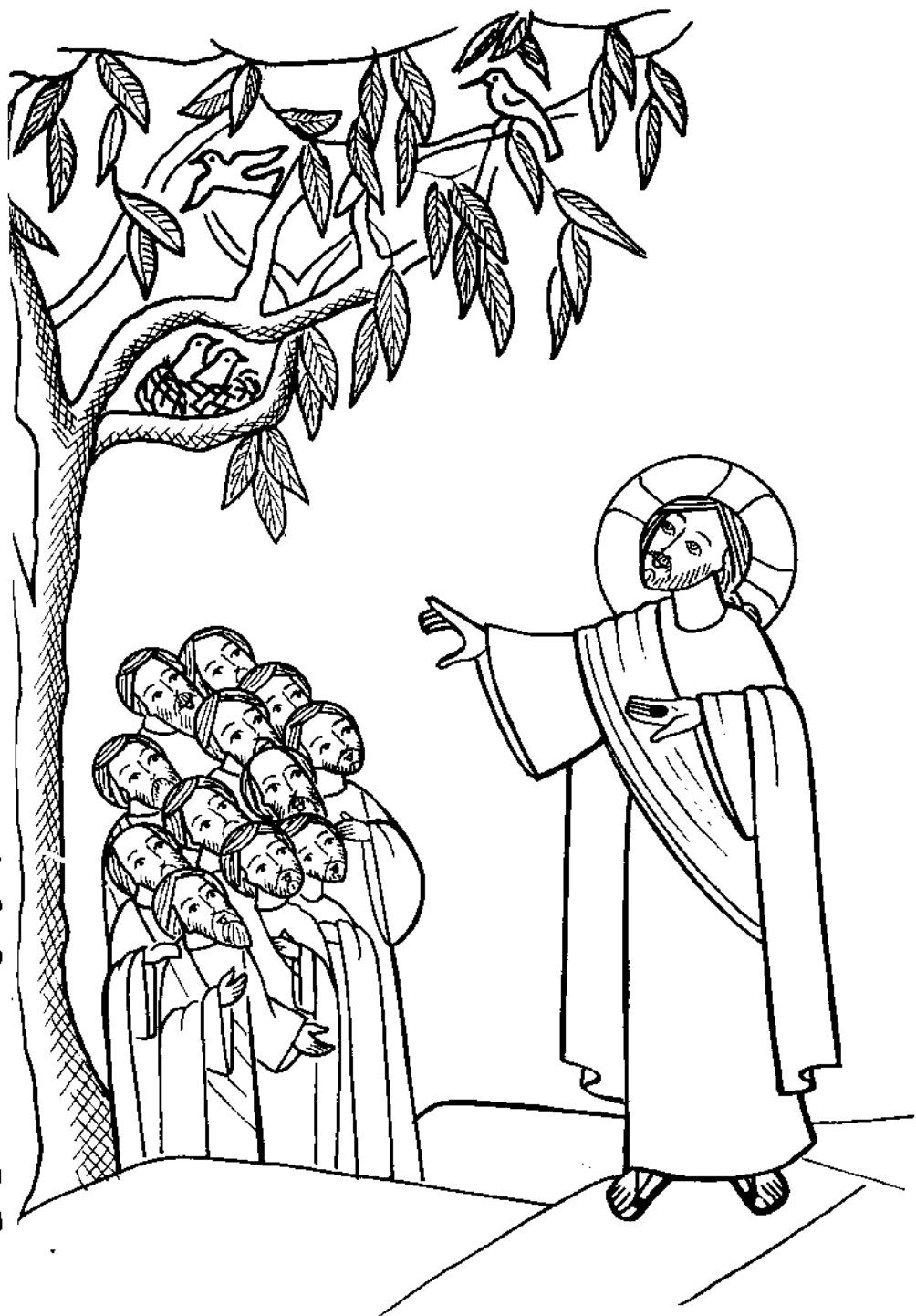
وبالمثل فإن الطريق إلى الله ، من حيث الباب الضيق، وحروب العدو، وضبط النفس في كل شيء، وإنكار الذات، وحمل الصليب .. كل ذلك قد يبدو مرأً، ولكنه نافع لأبديتنا . مثله مثل المر : طعمه غير مقبول . ولكنه حلو في راحته . كان من التقدّمات التى قدمها المجوس لطفل المزود. وقيل عن الكنيسة "المر والميعة والسليخة من ثيابك" (مز ٤٥ : ٨).

★ هناك أشخاص رفضوا عمل الخميرة فيهم ، لأن طعمها غير سائغ لهم:

★ مثل هيرودس الملك الذى قال له يوحنا المعمدان "لا يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك" (مت ١٤ : ٤) . ومثل الشاب الغنى الذى قال له الرب "إن أردت أن تكون كاملاً، اذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء.." فمضى حزيناً (مت ١٩ : ٢١، ٢٢) .

هؤلاء رفضوا أن تعمل فيهم الخميرة، فلم يصبحوا من بنى الملكوت .

أما نحن فلنقبل عمل هذه النعمة ، لينتشر الملكوت فينا وبننا .



٤- مَثَلُ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ

(مت ١٣ : ٣١ : ٣٢)

ورد المثل في عبارة قصيرة ، ولكنه يشمل معاني عميقة .
هكذا ورد في (مت ١٣ : ٣١ ، ٣٢) "يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان
وزرعها في حقله. وهى أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهى أكبر البقول. وتصير
شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتتأوى فى أغصانها".
ورد هذا المثل أيضاً فى (مر ٤ : ٣٠ - ٣٢)، (لو ١٣ : ١٩). أى فى الثلاثة أناجيل التى
كُتبت قبل إنجيل يوحنا .

نوعية حبة الخردل :

ينبغي أن يكون تركيزنا، لا على صغرها، بل على نموها .
عظمة حبة الخردل أنها - على الرغم من صغرها - تنمو حتى تصير شجرة تتأوى
إليها طيور السماء. وبهذا المعنى نفهم قول السيد الرب "لو كان لكم إيمان مثل حبة
خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل" (مت ١٧ : ٢٠). ليس معنى
ذلك أنه لو كان لكم مجرد إيمان ضئيل، إنما الإيمان الصغير الذى ينمو باستمرار
ويكبر...

كما أن هناك تآملاً آخر فى حبة الخردل وهو :

* * *

من تواضع الله أن يشبه ملكوته بأشياء صغيرة .

إنه شبه ملكوته بحبة قمح (مر ٤ : ٢٦ - ٢٨)، مجرد بذرة وشبه ملكوته أيضاً بخميرة
(مت ١٣ : ٣٣). وبحبة خردل (مت ١٣ : ٣١ ، ٣٢). وشبه الملكوت أيضاً بشبكة تلقى فى
البحر (مت ١٣ : ٤٧) .

الأشياء الصغيرة :

حتى معجزات الله ، استخدم فيها أشياء صغيرة .

معجزة إشباع خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال، استخدم فيها مجرد خمس خبزات وسمكتين (لو ٩: ١٣، ١٤). وبهذا القدر البسيط اشبع الجموع وفضل عنهم. كذلك في معجزة منح البصر للمولود أعمى، استخدم طيناً (يو ٩: ٦). وفي شق البحر الأحمر، جعل الوسيلة لذلك مجرد عصا أمسكها موسى (خر ١٤). وفي خلق الإنسان استخدم تراب الأرض.

كلها أشياء بسيطة، ولكنها في يد الله عظيمة القدر .

✱ ✱ ✱

من جهة البشر أيضاً، استخدم أفراداً كانوا قلة في العدد والمواهب .

أختار للكراسة في العالم كله إثني عشر تلميذاً، غالبيتهم كانوا من جهال وضعفاء العالم، ومن المزدري وغير الموجود (١كو ١: ٢٧، ٢٨) . كانوا حبات خردل صغيرة، وصاروا أشجاراً تتأوى إليها طيور السماء !

ولتيسير هؤلاء بالقيامة ، اختار مريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين (مر ١٦: ٩) (يو ٢٠: ١٧، ١٨) .

اختار أيضاً نيقوديموس الذي قابله ليلاً خوفاً من اليهود (يو ٣: ١، ٢) . أختار "أواني خزفية" (٢كو ٤: ٧)، أواني ضعيفة قابلة للكسر .

✱ ✱ ✱

وفي العهد القديم أيضاً اختار صغاراً .

أختار الفتى ارميا الذي قال "لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد" (أر ١: ٦). وقال له "أنظر، قد وكلتلك اليوم على الشعوب وعلى الممالك.." (أر ١: ١٠). واختار صموئيل الطفل، لينقل رسالة خطيرة إلى عالي الكاهن (١صم ٣). ويكون صاحب قنبنة الدهن التي يرسم بها ملوكاً (١صم ١٠) (١صم ١٦). وأختار الرب داود صغير أخوته ليكون مسيحاً للرب وأول ملك حسب مسرة قلبه (١صم ١٦: ١٣).

اختار موسى "الثقيل القم واللسان" (خر ٤: ١٠) ليكون كلیم الله!

هذا الذي قال "ست أنا صاحب كلام منذ أمس، ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبيك" (خر ٤: ١٠) بل "ها أنا أغلف الشفتين" (خر ٦: ٣٠). كان موسى بلاشك في بدء

رسالته، حبة خردل صغيرة ثم نمت . فصار من أعظم الأنبياء، ونقل شريعة الله إلى الناس .

✽ ✽ ✽

استخدم الله جدعون ليصنع خلاصاً ، ودعاه جبار البأس .

هذا الذى قال "ها عشيرتى هى الذلى فى منسى، وأنا الأصغر فى بيت أبى" (قض: ٦: ١٥). ولكن الله وضع نعمته فى حبة الخردل الصغيرة هذه وقال له "إنى أكون معك، وستضرب المديانيين.." (قض: ٦: ١٦) .

✽ ✽ ✽

استخدم الله أيضاً يوسف الصديق أصغر أخوته .

لكى يكون أباً لفرعون ومتسلطاً على كل مصر (تك: ٤٥: ٨). ولكى يكون المنقذ الذى ينفذ شعب مصر وكل البلاد المحيطة من المجاعة، ويصبح سبب بركة لجيله. ويهبه الله موهبة تفسير الأحلام، وحكمة التدبير. ويقول عنه فرعون "هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله" (تك: ٤١: ٣٨) .

✽ ✽ ✽

واستخدم الرب داود الصغير ليكون البطل الذى يقتل شمشون الجبار (اصم: ١٧)، وتهدف له النسوة بالدخول والمثلثات والغناء والرقص (اصم: ١٨: ٦، ٧). وأيضاً لكى يصبح هذا الصغير رجل الصلاة والتساييح والمزامير، يعزف على العود والقيثارة والعشيرة الأوتار، ويهدئ الملك شاول حين يصرعه الشيطان. ثم يقول عنه الرب "فحصت قلب داود، فوجدته حسب قلبى" . وقيل إن قلبه كان كاملاً مع الله" (امل: ١١: ٤) . ويصبح داود أيضاً رمزاً للمسيح .

✽ ✽ ✽

أيضاً أثناسيوس الشمس كان حبة خردل صغيرة فى مجمع نيقية المسكونى .

كان مجرد شماس وسط ٣١٨ من رؤساء الكنائس وممثليها: بطاركة ومطارنة وأساقفة.. ولكن حبة الخردل هذه، كانت حية ونامية. واستطاعت أن تضع قواعد الإيمان المسيحي. وتأتو إليها طيور السماء ...

✽ ✽ ✽

واستخدام الأشياء الصغيرة، ظهر فى ميلاد المسيح .

فقد وُلد فى مزود حقيراً، صار مزاراً مقدساً تسجد أمامه الملوك والأباطرة، والبطاركة

والأساقفة. حبة خردل صغيرة صارت لها قيمتها. وولد المسيح أيضاً من أم يتيمة فقيرة، صارت جميع الأجيال تطوبها (لو: ١٠: ٤٨). وولد أيضاً في قرية بيت لحم التي كانت الصغرى في أرض يهوذا. فأصبحت حبة خردل خرج منها المدير الذي يرعى شعب الله (مت: ٢: ٦).

أيضاً في الرهينة استخدم شاباً واحداً ليصير أباً لجميع الرهبان

ذلك هو الشاب أنطونيوس الذي أنتشر به هذا الطقس الملائكي في كل أنحاء العالم، طقس "الملائكة الأرضيين والبشر السمايين". وصار أنطونيوس قائداً لكل قادة الرهينة، بل مرشداً روحياً للبابا أنطاسيوس الرسولي. ويبعث إليه الإمبراطور قسطنطين رسالة يطلب بركته .

✱ ✱ ✱

أيضاً يوحنا القصير ، كان شاباً صغيراً، مجرد حبة خردل، فاستخدمه الله حتى صار شجرة تتأوى إليها طيور السماء. وقيل عنه "إن الأسقيط كله كان معلقاً بأصبعه". وبالمثل كان تادرس تلميذ باخوميوس حبة خردل صغيرة. أمكن أن يؤسس غالبية أديرة القديس باخوميوس الكبير، وينظم أحوالها ويعين لها أمناء ومدبرين، وهو بعد شاب صغير..

✱ ✱ ✱

أمام كل هذه الأمثلة، نتذكر قول السيد الرب :

"أنظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار" (مت: ١٨: ١٠) .

نعم ، ما يدرينا لعل واحداً منهم يكون حبة خردل تنمو. مثل الطفل الذي أقامه السيد الرب وسط التلاميذ. وقال لهم "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت: ١٨: ٣) . وقيل إن هذا الطفل صار القديس أغناطيوس الأنطاكي، أحد الآباء الرسولين الذي لقبوه (الثيوفورس) أي حامل الإله .

✱ ✱ ✱

هناك مشروعات عظيمة في أيامنا بدأت كحبة خردل ونمت .

★ مدارس الأحد بدأت كمجرد فصل صغير في الكنيسة المرقسية بالأزبكية ثم نمت فصارت مراكز قوية في أسبوط، وفي شبرا، وفي الجيزة، وفي كل أنحاء القطر، وخارجه أيضاً. وصارت شجرة تتأوى إليها طيور السماء .

★ تعليم الفتاة بدأ كحبة خردل في مدرسة أسسها البابا كيرلس الرابع في حارة السقايين،

قبل اهتمام قسم أمين، وهدى هاتم شعراوى. ثم ما لبث أن نُشرت تعظيم المرأة فى كل مكان .

★ بيوت المعتربات بدأت بفكرة بسيطة كحبة خردل نبتت فى ذهن الأب القمص صليب سوريل بالجيزة. أنت فتاة تبكى وتقول إنها قُبِلت طالبة فى الجامعة بالجيزة، ولا تجد مكاناً تقم فيه وهى من أهل الصعيد ..

فكر فى إنشاء بيت للطالبات الجامعيات المعتربات. وكثت لفكرة حبة خردل، ما لبثت أن صارت شجرة تتلوى إليها طيور السماء ..

* * *

إعادة تأسيس الكلية الإكليريكية سنة ١٨٩٢ فى عهد البابا كيرلس الخلمس، كانت مجرد فكرة بسيطة أختير لها بعض طلاب من مدرسة الأقباط الثانوية، وبعض آباء من الرهبان.. كلهم حوالى عشرة . ونمت الفكرة حتى صارت شجرة تتلوى إليها المئات من الطلبة .

وبالمثل فكرة القسم الليلي بالإكليريكية بدأنا بها كخمسة من الطلبة الجامعيين، تخرجنا سنة ١٩٤٩. كنت واحداً منهم. ونمت حبة الخردل هذه حتى أصبح لنا فى القسم الليلي مئات متعددة من الطلبة .

حبيب جرجس نفسه كان حبة خردل، نمت وانتشرت .

مَثَلٌ لِلتَّشْجِيعِ وَاللرَّجَاءِ :

قال السيد المسيح هذا المثل تشجيعاً أيضاً لتلاميذه .

كانوا عدداً قليلاً يأتمنه على نشر للكرافة فى العالم أجمع .. وكانوا ضعفاء، وكان يمكن أن يخافوا فيما بعد من اليهود ، ومن قسوة الدولة الرومانية وأبظرتها وولاتها، ومن الفلسفة المنتشرة وقتذاك بمبادئ غير المسيحية. فكان السيد الرب يقول لهم : لا تخافوا إن الملوك يشبه حبة خردل صغيرة ولكنها سوف تنمو، وتصبح شجرة تتلوى إليها طيور السماء.

إنه تشجيع لهم ، ورجاء يقدمه لهم فى عمل الله فى حبة الخردل هذه. ولبعضاً كان كلامه فى هذا المثل، وفى مثل الخميرة، ومثل حبة القمح هو نبوءة عن مستقبل الكنيسة ونموها . وقد كان ...

تفاصيل المثل :

حبة خردل وهي أصغر البذور .

ملكوت الله سيبدأ صغيراً ، مثل حبة الخردل ، وحبّة القمح ، والخميرة . ومثل التلاميذ الذين قيل عنهم في المزمور "الذين لا قول لهم ولا كلام ، ولا تسمع أصواتهم ، في كل الأرض خرج منطقتهم ، وإلى أقصى المسكونة بلغت كلماتهم" (مز ١٩ : ٣ ، ٤) . هؤلاء هم الصيادون الجهلة .

✱ ✱ ✱

حبة الخردل صغيرة ، ولكن فيها حياة ، واستعداد للنمو .

المهم أنها حية . مثل كلمة الله التي قيل عنها إنها "حية وفعالة" (عب ٤ : ١٢) . صدقوني إن هذه الحبة الصغيرة تحمل في داخلها صورة الشجرة بكل خواصها وصفاتها . مثل الجنين الذي يبدأ في بطن أمه نطفة بسيطة . ولكن هذه النطفة تحمل في داخلها صورة الإنسان حينما يكبر .

✱ ✱ ✱

حبة الخردل فيها الحياة ، وفيها طاقة الحياة ، وطاقة الانتشار .

فيها الحياة الكامنة ، غير الظاهرة ، ولكنها قوية : إذا ما أتحت لها الفرصة يمكن أن تظهر . وتبدو هذه الطاقة في النمو والانتشار . تذكرني بالذرة : صغيرة وضيئلة ، وقد لا تُرى إطلاقاً بالعين المجردة . ولكنها تحوى طاقة جبارة إذا ما أتحت لها أن تتفجر .

✱ ✱ ✱

حبة الخردل هذه أخذها إنسان وزرعها في حقله .

كلمة (إنسان) هنا ترمز إلى السيد المسيح ، الذي وضع نفسه البشرية في حقله أى في كنيسته ، أو وضع هذه الكنيسة في رعاية نعمته العاملة فيها . وكثيراً ما تحدث الكتاب عن المسيح كإنسان ، أو أنه هكذا قال عن نفسه "إنسان له كرم" "إنسان له حقل" "إنسان بذر بذاراً" "إنسان له وكيل" .. إلخ .

عبارة "أخذها إنسان وزرعها" ، تعنى عمل النعمة فينا .

فرق كبير بين حبة خردل قائمة بذاتها ، تبقى كمجرد حبة ، وقد يفسدها السوس . وحبّة خردل أخرى أخذها إنسان وزرعها ، وهياً لها وسائل النمو . هكذا ما أكثر أصحاب المواهب الذين لا يجدون من يتعهدهم ويرعاهم ، ويقدم لهم الإمكانيات والوسائل ، وتقديم

الفرص لهم للنمو. وهنا نقول :

✱ ✱ ✱

حبة الخردل لكي تنمو، قَدِّمَتْ لها ظروف الإنبات .

كما قال القديس بولس الرسول "أنا غرست ، وأبّللوس سقى، والله كان ينمى" (١كو٣: ٦). أستطيع حبة خردل أن تنمو، بدون وسائل الإنبات هذه: تزرع فى أرض جيدة وتتعهدها النعمة بالرى .

هكذا بولس الرسول فعل مع تلميذه تيموثاوس : أخذه وتعهده بالتعليم، وسلّمه التعليم السليم، وصيره أسقفاً لأفسس.. وهكذا فعل أيضاً بأنسيموس الذى كان مجرد عبد وصيّره نافعاً للخدمة (قل ١١، ١٧).

✱ ✱ ✱

المهم فى حبة الخردل أن تستسلم لعمل الزارع فيها .

لا تقاوم - حيث يضعها تبقى فى مكانها، وتستسلم أيضاً لعمل التربة فيها ولعمل الماء. فتحيا حياة التسليم لكي تنمو .

. وهنا نرى اتحاد العمل البشرى مع العمل الإلهى. حقاً إن الله هو الذى ينمى البذرة. ولكنه ينمى ما قد غرس وما قد سقى (١كو٣: ٦).

المهم فى حبة الخردل أن تُزرع وأن تُروى. تدفن فى الأرض التى ترمز لعمل المعمودية "مدفونين معه بالمعمودية" (كو٢: ١٢) وتقبل الماء فيها الذى يرمز إلى الروح القدس (يو٧: ٣٨) .

✱ ✱ ✱

كذلك عامل الزمن مطلوب لنمو حبة الخردل .

نحن لا نلقى حبة فى الأرض ، لتصير شجرة للتو . وإنما تحتاج إلى وقت لكي تنمو، فى هدوء وتدرج . ولكل شئ تحت السموات وقت (جا٣: ١) . وهذا درس لنا فى عدم العجلة، ولا نستعجل الثمر فى خدمتنا ولا فى حياتنا. هوذا المرثل يقول فى المزمور "انتظر الرب. تقوّ وليتشدد قلبك، وانتظر الرب" (مز ٢٧: ٤) .

✱ ✱ ✱

لتكن حبة الخردل - فى نموها - درس فى انتظار الرب .

ننتظر فى إيمان وثقة ، أن البذرة لا بد ستتمو. فى الوقت المحدد لها من قبل الرب حسب طبيعتها، وحسب الظروف المحيطة بها، وحسب النعمة المحيطة بها والعاملة فيها.

كذلك فى حياة كل إنسان: يحتاج إلى وقت لكى يتدرج من حياة الخطية إلى حياة التوبة، إلى حياة القداسة، إلى الكمال. وهذا يعطينا درساً فى الصبر .

✽ ✽ ✽

حبة الخردل هذه نمت وصارت شجرة تتأوى إليها طيور السماء .

هذه الطيور ترمز هنا إلى القديسين المنتمين إلى كنيسة الله.. طيور تنتمي إلى السماء، وتصلد إلى فوق، إلى السماء فوق مستوى الأرض. إنها سابحة وسائحة فى السماء كما السواح فى الأرض.

✽ ✽ ✽

تتأوى فى أغصانها أى صار لها أغصان وفروع .

وهذا مظهر من مظاهر الإنتشار . وكنيسة الرسل صار لها فروع فى أورشليم، وكل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أع: ١: ٨) .

وكنيستنا القبطية صار لها فروع فى أفريقيا وفى الأراضى المقدسة، وفى أمريكا وكندا وأوربا وأستراليا وكل بلاد المهجر. ومدارس الأحد أمتدت وصار لها فروع. وكذلك الكلية الإكليريكية .

✽ ✽ ✽

الطيور تسيح فى السماء ، ولكنها إذا نعت ، تأتي إلى الشجرة لتستريح.

هكذا المؤمنون يجدون راحتهم فى الكنيسة. كذلك فروع الخدمة يستريح على أغصانها المخدمون، مهما ارتفعوا إلى فوق يأتون إلى الشجرة الأم يستريحون على أغصانها ثم يتابعون الطريق .

✽ ✽ ✽

لا تتضايق إن بدأت روحياتك بمستوى ضعيف، فلا بد أنك ستتمو .

ستتمو مادامت كائناً حياً، وقد وضعت ذاتك فى يد النعمة العاملة فيك..

ولكن لا تبق كمجرد حبة خردل ، بعيدة عن الأرض والماء .

٣- مَثَل حَبَّة القمح

(مثل الزرع الذى ينمو)

(مر ٤ : ٢٦-٢٩)

مَثَل حَبَّة القمح :

هناك مثل لم يرد إلا فى إنجيل مرقس (٤ : ٢٦ - ٢٩) وهو مثل حبة القمح، أو الزرع الذى ينمو. وهذا ما سنتحدث عنه الآن :

هكذا قال الرب فى هذا المثل :

" قال : هكذا ملكوت الله: كأن إنساناً يلقى بذراً على الأرض. وينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف. لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر: أولاً نباتاً ثم سنبلًا. ثم قمحاً ملأً فى السنبل" (مر ٤ : ٢٦ - ٢٨) .

والآن نشرح هذا المثل نقطة نقطة :

✱ ✱ ✱

قال : هكذا ملكوت الله :

عبارة الملكوت وردت بثلاثة تعبيرات : ملكوت الله ، وملكوت السموات، وملكوت الأبدى. وقيل عن ملكوت الله :

"ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧ : ٢١) .

ومعناها أن يملك الله على كل ما فى داخل الإنسان: يملك على قلوبكم، وعلى أفكاركم، وعلى أرواحكم، وعلى مشاعركم، وعلى وقتكم. يملك على كل شئ .

✱ ✱ ✱

وفى الواقع أن المسيحية كلها تتلخص فى الملكوت .

كل شئ فيها يدور حول ملكوت الله : سواء الإيمان، أو العبادة، أو ثمار الروح. كلها هدفها أن يملك الله .

فليست المسألة مجرد عقائد نظرية، بقدر ما هي حياة يملك فيها الله على الإنسان المؤمن، وعلى إرادته وعمله .

وملكوت الله يقبله الإنسان بكامل حريته. فإله ليس كرؤساء العالم، يفرضون سلطتهم على الناس. بل هو يملك علينا بكامل حريتنا وإرادتنا .

✱ ✱ ✱

وهو أيضاً ملكوت دائم مستمر ، لا ينتهي .

حتى في بشارة الملاك للعرعاء ، قال عن القديس المولود منها "ولا يكون لملكه إنقضاء" (لوقا : ١٠ : ٢٣). وهذا يذكرنا بما قيل في نبوءة دانيال النبي "وملكوته ما لا ينقرض" (دانيال : ٧ : ١٤) .

القصد من ملكوت الله، أن يجعل الإنسان باراً نقياً .

وأن يجعله شبه الله ، على صورته ومثاله .

✱ ✱ ✱

ومن طبيعة ملكوت الله داخلنا أنه ينمو .

وقد شرح الرب هذا النمو في مثل حبة الخردل ، وفي مثل الخميرة. وفي مثل الوزنات. وفي هذا المثل ، مثل الزرع الذي ينمو، أو مثل حبة القمح .

من جهة الكنيسة - إن طبقنا هذا المثل عليها ، فهي تنمو في العدد وفي نشر الإيمان، كما كانت الكنيسة في العصر الرسولي، وفيما بعد (مرسوم ميلان) سنة ٣١٣م الذي كفل الحرية الدينية .

وإن طبقنا هذا المثل على الفرد ، على حالة قلبه من الداخل: فإنه ينمو في الفضيلة. وينمو في محبة الله، أو تنمو محبة الله فيه. وعموماً تنمو صلته بالله وتتعمق يوماً بعد يوم.

✱ ✱ ✱

إن ملكوت الله ملكوت روحي، وحرّ ، وينمو ...

ونموه نمو تدريجي :

لا يوجد إنسان يصل إلى الكمال دفعة واحدة، بل يتدرج .. كما قيل في هذا المثل "أولاً نباتاً، ثم سنبلأ، ثم قمحاً ملأناً في السنبل" .

كل شئ يأتي في وقته الحسن . من الخطأ عند بعض المرشدين الروحيين ، أنهم يريدون أن ينمو أولادهم بسرعة قد تكون غير طبيعية!
من المفروض في الإنسان أن ينمو بالتدرج من الناحية الروحية، كما ينمو بالتدرج من الناحية الجسدية .

* * *

وملكوت الله هو أيضاً ملكوت سرى :

إنه ملكوت داخل الإنسان في سرّ. لا يعلم به إلا الله وحده . بل حتى الإنسان لا يدرك بالضبط أنه ينمو ، ولا يعرف كيف ينمو..!

أحياناً يسألنا بعض الشبان : كيف نشعر أننا نتمو روحياً ؟

وفى الواقع من الخطورة عليك أن تشعر أنك تنمو ..!

أنظر ماذا يقول هذا المثل "إنسان يلقي بذار على الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً. والبذار يطلع وينمو. وهو لا يعلم كيف!"

هو لا يعلم كيف. لأن ملكوت الله ينمو فيه بعمل الروح القدس. والكتاب يقول إن "ملكوت الله لا يأتي بمراقبة" (لو ١٧ : ٢٠) .

* * *

ويأتي ملكوت الله بتجاوب الإنسان مع عمل النعمة فيه .

أى اشتراك الإنسان مع العمل الإلهي داخل قلبه ...

وهكذا قال القديس بطرس الرسول "لكي تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية (أى شركاؤها في العمل) ، هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة. ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدموا فى إيمانكم فضيلة.." (٢بط ١ : ٤ - ٧). فذكر اشتراك الإنسان مع الله ، مقدماً كل اجتهاد وكل فضيلة . إن المجهود البشرى لازم مع ملكوت الله .

حقاً إن الله هو الذى يلقي البذار فى الأرض . ولكن لا بد من المجهود البشرى .

* * *

البذرة التى يضعها الله فى الإنسان تحمل كل صفات الحياة .

تحمل الحياة فى داخلها، وتحمل عنصر النمو فى داخلها .

البذرة تُلقى فى الأرض ، فتتمو . ولكن كيف تنمو؟ كيف تطلع إلى فوق؟ كيف تزداد يوماً بعد يوم؟ هذا ما لا نعلمه ..

إنه من طبيعة البذرة ذاتها . من موهبة الله لها، موهبة الحياة التي وضعها في البذرة..

✱ ✱ ✱

وأنت كذلك تنمو في حياتك الروحية . ولكن كيف تنمو ؟

بالروح التي وضعها الله فيك ، ووضع صفاتها . وبالعقل الذي وضعه الله فيك، ووضع مواهبه. أنت لا تدري كيف . ولكن عمل الله مستمر فيك. وكما يقول المثل عن الزرع إنه ينمو، والإنسان لا يعرف كيف ؟

طبيعة البذرة أنها تأتي بثمر. ولكن لا بد من اتحاد حريتنا مع المشيئة الإلهية. كما قال بعضهم إن شريعة الله بدأت تعمل، حينما اتحدت السماء مع سينا. أي حينما اتحد الإنسان في شبه جزيرة سينا مع شريعة الله التي من السماء (على جبل الشريعة، حيث أعطى الله للإنسان الوصايا العشر) .

✱ ✱ ✱

يقول الكتاب إن الزرع كان ينمو ليلاً ونهاراً .

أي في النور وفي الظلام ، في الحرارة وفي البرودة .

إننا نشكر الله الذي منح البذرة الروحية التي في داخلنا، أن تنمو حتى في الظلام، حتى في البرودة، إنها تحتمل الطبيعة، سواء في السعة أو في الضيقة. كما يقول الرسول "لذلك أسرّ في الضيقات" "الموت يعمل فينا.. لا نفشل" (٢كو٤: ١٢، ١٦) . وقال القديس يعقوب الرسول "أحسبوه كل فرح يا أخوتي، حينما تقعون في تجارب متنوعة. عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً. وأما الصبر فله عمل تام، لكي تكونوا نامين وكاملين" (يع ١: ٢-٤).

✱ ✱ ✱

البذرة تنمو . يمرّ عليها الليل، كما النهار، وهي تنمو .

طبيعة النمو جزء من حياتها . ولا يؤثر عليها البرد أو الحر. إنها تنمو مهما كانت الأوضاع.

أنت تستريح ، والرب يعمل فيك. وتنام، وعمل الله مستمر فيك. ويمر عليك الليل والنهار، وعمل الله لا يزال فيك .

المهم أنك تنمو وأن الله يعمل فيك. لا تفكر في نفسك: ما هي قامتي الروحية اليوم؟! وماذا سأصير غداً؟! هذا التفكير ليس من صالحك. ليس المهم كيف تنمو؟ إنما المهم أن تنمو. ويقول الكتاب:

"الصديق كالنخلة يزهر، كالأرز في لبنان ينمو" (مز ٩٢: ١٢).

النخلة في كل يوم تزداد نمواً، كما يظهر كل عام أنها تنمو، وهكذا أرز لبنان. وهكذا أشجار الكافور والكاورينا. ونحن لا نعرف كيف؟ نفس الوضع في حياتنا الروحية ... عملنا هو أن نضرم موهبة الله التي فينا .

كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس (٢تى ١: ٦).

✱ ✱ ✱

وهكذا تنمو لكى نأتى بثمر .

أولاً نباتاً ، ثم سنبلأ ، ثم قمحاً ملآن فى السنبل .

نباتاً : أى أن البذرة بدأت تتفتح ، والحياة الداخلية التى فيها، ظهرت خارجاً. فلم تعد

مجرد حياة كامنة داخل البذرة ، بل أخذت تتحول إلى نبات .

ثم سنبلأ : أى أخذت تطلع إلى فوق ، ويتكون فيها الوعاء الذى يدخل فيه القمح .

ثم قمحاً ملآن فى السنبل : أى علامة النضوج وكماله ..

المفروض فى الكنيسة أن تكون بهذا النمو ، وكذلك الفرد ..

لا تبقى حياتنا مجرد بذرة ، وإنما تتفتح ، وتخرج الحياة التى فيها وتظهر .. هكذا إذا

كانت البذرة وهى تلقى فى الأرض، تحاط بكل وسائل الإنماء .

✱ ✱ ✱

لو بقيت البذرة وحدها ، لا تأتى بحياة .

بل ربما تسوس ، أو يكون استعمالها محدوداً. كحبة القمح التى تطحن وتتحول إلى

جزء من خبز وتنتهى. أو تطبخ وتتحول إلى فريك وتنتهى.. ولكن لا تتحول إلى هذا

النمو المذكور فى المثل إلا إذا القيت فى الأرض وزُرعت ، وتفتحت الحياة التى فيها ،

لكى تصير "قمحاً ملآن فى السنبل" .

عليك إذن أن تلقى البذرة فى الأرض لكى تنمو .

حتى مواهبك التى منحك الله إياها، لا بد أن تلقىها وسط الناس لكى تنمو. إن حبة القمح

إذا ألقيت فى الأرض، ستتحول إلى سنبله ملآنه بالقمح. ربما قدح واحد من بذار القمح،

يتحول - إن ألقيته فى الأرض - إلى طن .

✱ ✱ ✱

إذن لا تترك الحياة التى فىك كامنة ، بل استخدمها .

لا تدفن الوزنة في الأرض ، بل تاجر بها واربح اعمل بها .. ليس فقط من جهة المواهب ، بل حتى المال الذي عندك، لا تستيقه مكنوزاً في الأرض لا يأتي بنتيجة. إن وزعته أو وزعت منه على الفقراء، سيفتح لك الرب كوى السماء، ويفيض عليك بركة (ملا ٣: ١٠). ويتحول مالك من مجرد بذرة إلى "قمح ملآن في السنبل" .

الثمر الذى تنتجه البذرة هو علامة نضوجها .

حينما يتغير اللون، لون السنبل، نرى "الحقول قد ابيضت للحصاد" (يو ٤: ٢٥). وحينئذ تصبح السنابل مستعدة للحصاد .. وحينئذ يبدأ الحصاد ، وتصبح أجران الله مملوءة قمحاً.. أى أن الله يقبلها في ملكوته ..



إن عمل الله يستمر معنا ، منذ البداية إلى وقت الحصاد .

هو معنا فى إلقاء البذار على الأرض، وفى منحها الحياة، ومعنا فى منحها النمو. وهذا النمو يتم فى الموعد المحدد له للنضوج . فلا نستعجل هذا النضوج، إنما نصبر وننتظره، كما قال الرب "من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص" (مت ٢٤: ١٣) .

ليس لنا أن نرغم البذرة على النمو سريعاً، إنما ننتظر حسب طبيعتها .

هناك بذار تأتى بثمر سريع، وبذار أخرى تبقى فى الأرض إلى أن يحين وقتها . وطبيعة كل شجرة تختلف عن الأخرى .

وعمل الزارع هو أن يبذر وينتظر . ثم يحصد فى الوقت المناسب ...

٤- مَثَلِ الْوِزْنَاتِ

(مت ٢٥ : ١٤ - ٣٠)

تحدثنا من قبل عن النمو الداخلى فى مثل الخميرة، والنمو الخارجى فى مثل حبة الخردل. وكلاهما بعمل النعمة . وبتكلم الآن عن عمل الجهد البشرى فى النمو، كما يوضحه مثل الوزنات .

قال الرب هذا المثل فى الأسبوع الأخير فى (مت ٢٥ : ١٤ - ٣٠). وهو يشبه مثل الأمانة الذى ورد فى (لو ١٩ : ١٢ - ٢٦) .

* * *

يبدأ المثل بعبارة "كأما إنسان مسافر" .

وعبارة "مسافر" وردت أيضاً فى مثل الكرامين (مت ٢١ : ٣٣).

هذا المسافر هو السيد المسيح له المجد، منذ صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الأب (مر ١٦ : ١٩). وقد صعد لكى يعد لنا مكاناً (يو ١٤ : ٢). وقد ورد فى المثل أن سفره استمر "زماناً طويلاً" . ويعنى بهذا الفترة ما بين الصعود والمجئ الثانى .

وقد سافر ، لأنه لا يريد أن يملك هنا على الأرض مرثياً عن طريق الحواس، إنما يريد أن يملك بالإيمان فى قلوبنا (أف ٣ : ١٧).

* * *

وقبل سفره "دعا عبده ، وسلمهم أمواله" (١٤ع) .

هنا عبارة عبده تعنى كل البشر من خدامه، بما فيهم الصالح والشرير. وسلمهم أمواله. أعطاهم كلهم وزنات. سلم كل إنسان عمله، وما يجب عليه من مسئوليات.. لقد أعطى الكل بلا إستثناء.

الكل أخذ وزنات . لا يوجد أحد لم يأخذ وزنة .

غير أن البعض تاجر وريح. والبعض أهمل وزنته ولم يعمل بها . وإن إدعى البعض أنه لم يأخذ، يكفيته نفسه فهي وزنة .

✱ ✱ ✱

والذين أعطاهم كانوا عينات مختلفة: فيهم العذارى الحكيمات، والعذارى الجاهلات. فيهم القريسي والعشار. فيهم يوحنا الحبيب، ويهوذا الذي "كان الصندوق عنده" (يو ١٢: ٦) فيهم سليمان الحكيم، وأخوه أبشالوم. فيهم السمك الجيد، والسمك الرديء.. الكل أخذ .

✱ ✱ ✱

سافر . ولكن لابد سيأتى ليحاسب عبيده عن وزناتهم (١٩٤).

ولأن سفره قد طال، أهمل البعض وزناتهم. ولم يفكروا فى يوم الحساب. لذلك فإن الكنيسة الأولى كانت - لتذكيرهم - تستعمل عبارة "ماران آنا"، أى "ربنا آت" أو "ربنا سوف يأتى" .. وإن كان مجيئه للكل هو فى يوم القيامة، إلا أن كل واحد، له ساعة معينة يجئ الرب له فيها. وقد لا تكون "بعد زمن طويل" . ويعطى فيها حساباً عن وزنته .

ماهى الوزنات؟

★هى مواهب من الله، ومقدرات ، وفرص أعطيت لكل واحد .

أو هى مسئوليات ، كما قيل "أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين.. لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح" (أف ٤: ١١، ١٢).

★وقد تكون مواهب الروح . كما قيل "أنواع مواهب موجودة.. ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة" (١كو ١٢: ٤، ٧). ومن بين ذلك : المواهب: كلام حكمة، كلام علم، إيمان، مواهب شفاء، عمل قوات، نبوة، تمييز أرواح، ألسنة، ترجمة ألسنة "قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو ١٢: ٨ - ١١) .

★وقد تكون بركات روحية أو مادية ، للخدمة بها: مثل الغنى، العلم، الفهم والذكاء. موهبة صلاة، تعليم، تأثير روحى، قدرة على الإقناع، قدرة على الإقنقاد. وقد تكون الوزنة هى عقولنا، وقوانا .

✱ ✱ ✱

★بل إن أجسادنا وأرواحنا، هى أيضاً وزنات، قال عنها الرسول " فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو ٦: ٢٠) .

★وقد تكون الوزنة سلطة أعطيت لنا لنستخدمها لملكوته الله .

★ إنها وزنات متنوعة ومتعددة "حسبما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رو ١٢: ٣).

المهم أن يكتشف كل واحد وزناته ويستخدمها. كما أنه على الكنيسة أن تكتشف وزنات المخدمين، وترشدهم في كيفية استخدامها .

✱ ✱ ✱

هذه الوزنات أعطيت لنا ، لتنفيذ بها مشيئة الله على الأرض، وليست للفخر والمجد الباطل، ولا لنكتسب بها مديحاً أو غروراً. مثل البعض الذين كانوا يسعون لموهبة الألسنة مدعين أنهم وصلوا للملء !

وأعطيت لنا المواهب لمدة محددة هي مدة هذا العمر الأرضي كما أنها مواهب يمكن أن تزيد بالحكمة وحسن الاستخدام .

✱ ✱ ✱

ويجب أن نعرف جيداً ، أن كل وزناتنا معطاة لنا من الله .

وكما يذكر هذا المثل أن السيد "أعطى واحداً خمس وزنات، وآخر وزنتين، وآخر وزنة" (ع ١٥). إذن كلها عطايا منه. وكما يقول الكتاب "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار" (يع ١: ١٧). وفي هذا المثل قال صاحب الخمس وزنات لسيدة "خمس وزنات أعطيتني" .. وقال صاحب الوزنتين "وزنتين أعطيتني" (٢٠، ٢٢) .

حقاً إن كل الذي لنا ، هو ملك لله ، تسلمناه منه .

بما في ذلك عقولنا وذكاؤنا، وقوتنا وجهدنا، ووقتنا وعمرنا. الكل منه وله. ولا ندعيه لأنفسنا "لكي لا يفخر كل ذي جسد أمامه" (١كو ١: ٢٩) . وهكذا يقول القديس بولس الرسول "أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي" (١كو ١٥: ١٠).

وزنات متنوعة :

وزنات مختلفة في كميتها وفي نوعيتها :خمس، وإثنتين، وواحدة، "حسبما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رو ١٢: ٣).

★ أصحاب الخمس الوزنات ، هم أصحاب المواهب الفائقة للطبيعة، كالذين أخذوا صنع الآيات والمعجزات ومواهب الروح، أو الذين أخذوا سلطاناً كبيراً من الله مثل الآباء الرسل والأنبياء، وكبار القديسين، وأبطال الإيمان ورؤساء الكنائس. أو أخذوا مسئوليات

متعددة مثل القديس بولس الرسول الذى قال "عدا التراكم على كل يوم، الاهتمام بجميع الكنائس" (٢كو١١: ٢٨). أو مثل الذين أخذوا مواهب بشرية متعددة، كالذين لهم Multi talents من العباقرة.

أصحاب الوزنات الخمس هم شخصية قليلة فى العضوية العامة للكنيسة .

✱ ✱ ✱

★ أصحاب الوزن الواحد هم المؤمنون العاديون .

★ أصحاب الوزنتين هم الوضع المتوسط بين أصحاب الخمس ووزنات وأصحاب الوزن الواحد. هؤلاء لا يرتفع قلبهم لأنهم لم يأخذوا خمس ووزنات. ولا يكتبون كالذى لم ينل سوى وزنة واحدة. إنهم فى وضع متوسط من جهة القدرة، ومن جهة نوع العمل أيضاً. من جهة الغنى: ليس عندهم الغنى الهائل، كما كان سليمان الحكيم، وقاده الغنى إلى الرفاهية التى قال فيها "ومهما اشتتهه عيناى، لم أمسكه عنهما" (جا٢: ١٠). ولا هم فى حالة الفقر والعوز مثل لعازر المسكين ، الذى كان يشتهى الفئات الساقط من مائدة الغنى" (لو١٦: ٢١) . بل هم فى وضع اقتصادى متوسط .

✱ ✱ ✱

ومن جهة العقلية : لا هم من أصحاب العقليات الكبيرة كالعلماء والفلاسفة، ولا هم من أصحاب عقلية بسيطة كالعوام، لكنهم فى وضع متوسط فى المواهب البشرية . حتى فى الروحيات ، هم فى الوضع المتوسط . لا هم فى الدرجات الروحية العليا. ولا هم من الناس العاديين. بل هم أبناء للكنيسة ولهم ممارساتهم الروحية وخدماتهم، ومسئولياتهم الكهنوتية أو العلمانية .

✱ ✱ ✱

والمعروف أنه كلما ازدادت وزنات إنسان، تزداد مسؤوليته أيضاً.

وكما يقول الكتاب "كل من أعطى كثيراً، يُطلب منه كثير" (لو١٢: ٤٨) . "والذى يعرف أكثر، يطالب بأكثر".

وحينما مدح السيد الذين تاجروا وربحوا، لم يمدحهم بسبب الكمية، وإنما لأن كل منهم صالح وأمين فقال "تعمأ أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً فى القليل" (٢١ع، ٢٣ع). وقد ذكرنا أن الرب يعطى مواهب متنوعة فى (١كو١٢) .

على أن الله ليس بظالم فى هذا التوزيع، وإنما يُقال فى مثل الوزنات إنه أعطى "كل واحد على قدر طاقته" (١٥ع). وعلى كل:

ليس المهم هو كثرة المواهب، إنما كيفية استخدامها لأجل الرب .
كما أنه في تمثيل أية رواية، ليس المهم نوع الدور الذي يقوم به الممثل، وإنما درجة إتقانه لهذا الدور .

فلا ترتفع قلوبنا إن كانت وزناتنا أكثر، ولا نكتئب إن كانت وزناتنا قليلة .

✱ ✱ ✱

أما كون المواهب متنوعة، فهذا أمر طبيعي ولازم .
لأن هذا التنوع يوجد جواً من التكامل نافعاً للخدمة .

والطبيعة نفسها خلقها الله بهذا التنوع . ولكنه تنوع متناسق .

في خيمة الإجتماع استخدم فيها : الذهب والفضة والنحاس، والخشب والجلد والشعر .
كل من هذه المواد كان له عمله ورسالته. وفي الترحيب بالسيد المسيح عند دخوله
أورشليم، عبر البعض عن فرحتهم وإجلالهم ، بأغصان الزيتون، أو بفرش ملابسهم في
الطريق، أو بهتافهم "أوصنا يا ابن داود" .

✱ ✱ ✱

ومثل هذا الاختلاف في نوعيته، كان حتى بين الرسل والأنبياء .

بولس الرسول أخذ وزنه في عقليته الكبيرة، وبطرس الرسول أخذ وزنه في حماسه
وإندفاعه. إيليا النبي كانت وزنته هي الغيرة المتقدة. وأرميا النبي كانت له وزنه في
الحساسية والدموع. وموسى النبي كانت وزنته هي الوداعة والحلم، بينما أيوب الصديق
كانت وزنته هي الاحتمال. سليمان أعطى من الله الحكمة، ويوسف ودانيال أعطيا تفسير
الأحلام والرؤى. المعمدان وهبه الله إنكار الذات والخدمة القصيرة الزمن العميقة
المفعول. وإبراهيم أبو الآباء وزنته الإيمان والطاعة ...

✱ ✱ ✱

وهكذا اختلفت وزناتهم في الطول والعق ، وكلها لمجد الله .

فهل أنت قد استخدمت وزناتك في بناء الملكوت مثل هؤلاء .

إن المهم ليس نوع الوزنة أو مقدارها، إنما الأمانة في استخدامها .

أيها الصالح والأمين :

مفتاح هذا المثل كله هو الأمانة في الوزنات المعطاة .

وهذا واضح من قول الرب لكل من صاحب الخمس الوزنات وصاحب الوزنتين: نعماً

أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل، فأقيمك على الكثير* (٢١٤ع، ٢٣ع) .
الأمانة في الخدمة هي التي توسع الخدمة .

سواء في القليل أو الكثير . لأنه لعل أحدهم يقول "أنا لم آخذ من الله إلا قليلاً، وزنة واحدة ! لو كان الله قد أعطاني كذا وكذا، مثل فلان وفلان، لعملت .. وعلمت .. نقول له: أنت تظن ذلك. وهذا الكتاب يقول في المثل إن السيد "أعطى كل واحد على حسب قدرته" (١٥ع) . وحتى لو كنت تاجرت وربحت في الوزنة الواحدة التي أعطاك الله إياها، لكنك قد نلت نفس الطوبى التي نالها صاحب الخمس وزنات .

✽ ✽ ✽

وأعلم أن البعض أخذ خمس وزنات أو وزنيتين، وفشل بسبب عدم أمانيته .

يهوداً أخذ خمس وزنات، إذ كان واحداً من الإثني عشر رسولاً، بكل مواهبهم . وتميز بأن الصندوق كان عنده. وكان في العشاء يجلس قريباً من المسيح، ويغمس معه في الصفحة (مر ١٤ : ٢٠) . وهلك ! ولم تتفعه وزناته .

وديماس كان تلميذاً لبولس العظيم. وكان الرسول يذكره أحياناً إلى جوار القديس لوقا الطبيب الحبيب والإنجيلي (كو ٤ : ١٤) وأحياناً يذكره قبله (فل ٢٤) . ولكن هلك ديماس لأنه "أحب العالم الحاضر" (٢تي ٤ : ١٠) وفقد وزناته .

وأصحاب وزنات أخرى، من مساعدي الرسول، هلكوا أيضاً .

هؤلاء قال عنهم القديس بولس "لأن كثيرين من الذين كنت أذكرهم لك مراراً، والآن أذكرهم باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك" (في ٣ : ١٨ ، ١٩) . لعلمهم كانوا من أصحاب الوزنتين كمساعدي الرسول!

✽ ✽ ✽

بالأمانة ممكن أن الوزنة الواحدة تريح، والقليل المعطى لك يصير كثيراً .

الخادم (الصالح والأمين) يكون صالحاً من جهة روحه، من جهة علاقته بالله. وأميناً في خدمته، واستخدامه لوزناته ...

ولكي تكون أميناً، ينبغي أن تعرف الواجب المطلوب منك، وتتممه . وحتى إن كانت لك وزنة واحدة، ستجدها - بأمانتك - تنمو وتكبر. إن أية نار تنفخ فيها سوف تشتعل أكثر .

✽ ✽ ✽

أنظر إلى الوزنة التي أخذتها . وهل أنت تعمل بها أم لا؟ وهل تعمل بها من أجل مجد الله وملكوته ؟

أم تعمل بها من أجل الفخر والمجد الباطل ، والبحث وراء المديح والكرامة! أى من أجل نفسك فقط. كإنسان أعطاه الله غنى، يستخدمه لأجل نفسه ! أو أعطاه الله موهبة عقلية أو فنية، فيستخدمها لأجل نفسه فقط. المهم أن تتاجر بوزنتك وتربح، لملكوت الله. فما معنى عبارة "تتاجر وتربح"؟ وما أهميتها؟

صاحب الوزنة الواحدة :

صاحب الوزنة الواحدة لم يقل الكتاب إنه فقد وزنته أو إساء استخدامها . إنما كل نذبه إنه لم يتاجر بها ويربح .

لأن الروحيات ليس لها الجانب السلبي فقط، بمعنى إننى لا أفقد وزنتى.. بل لها العنصر الإيجابى أى أن أعمل بها خيراً. صاحب الوزنة الواحدة لم يستخدمها فى الشر، وأيضاً لم يعمل بها خيراً. لذلك عاقبه الله. لماذا؟ لأنه لم يتاجر ويربح.

إن لا تقارن نفسك بغيرك. لا تقل غيرى أخذ أكثر منى. إنما عملك هو أن تعرف وزنتك، وتتاجر بها وتربح .

* * *

عبارة (تتاجر بها وتربح) تنطبق على الكل ، وبولس الرسول كمثال :

أنظر كم من الوزنات كانت له ؟ هذا الذى أخطف إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢) . والذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠). والذى تحمل آلاماً أكثر من جميعهم (٢كو١١) والذى كتب ١٤ رسالة .. ومع ذلك يقول "لست أحسب أننى قد أدركت أو صرت كاملاً .. ولكننى أفعل شيئاً واحداً.. أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض" (فى٣: ١٣) أى أنه لا يزال يتاجر ويربح .

وكيف يربح ؟ يقول إنه صار لليهودى كيهودى ليربح اليهود . وصار للذين بلا ناموس كأنه بلا ناموس، ليربح الذين بلا ناموس. بل يقول "صرت للكل كل شئ، لكى أخلص على كل حال قوماً" (١كو٩: ١٩-٢٢) .

* * *

أعطاك الله وزنة. لا بد أن تتاجر بها وتربح. تنفع بها الكنيسة والمجتمع، وتنفع بها نفسك .

أما الذى لا يصنع بوزنته خيراً ، فهو ليس أهلاً للشركة مع الله. لأن الله صانع الخيرات "يجول ويصنع خيراً" (أع ١٠: ٣٨) .

لا بد أن تكون أيضاً صانع خيرات، على قدر ما أعطيت من وزنات. تتاجر وتتعب وتربح. وكل واحد "سينال أجرته بحسب تعبته" (١كو ٣: ٨) . وقد قال الرسول "كونوا راسخين غير متزعزعين، أكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو ١٥: ٥٨) .

✱ ✱ ✱

مكافأنا فى السماء ، ستكون بمقدار ما تاجرنا وتعبنا وربحنا .

والدينونة فى الأبدية لا تكون على الذين حاولوا وفشلوا. بل بالأكثر على الذين لم يحاولوا. ومشكلة صاحب الوزنة الواحدة، أنه لم يحاول. بل أخذها ودفنها وأخفاها (١٨ع) أنت إذن تتاجر ، والله هو الذى يدبر الربح .

أنت تغرس وتسقى . والله هو الذى ينمى" (١كو ٣: ٧) .

لماذا عليك أن تتاجر وتربح بوزنتك ؟ لأنه يقول :

كل شجرة لا تصنع ثمرأ ، تقطع وتلقى فى النار (مت ٣: ١٠).

لا تحاول أن تلتمس لنفسك أذارأ ، كما فعل صاحب الوزنة الواحدة. كل ما فى الطبيعة يعمل عملاً حتى الملائكة، ما عدا الإنسان الذى يهمل ويخفى وراء مبررات!! عالمنا ليس ملعباً نلهو فيه، ولا هو مخدعاً تنام به! بل هو حقل ينبغى أن يمتلئ بالثمار .

✱ ✱ ✱

عيب صاحب الوزنة الواحدة كان فى داخله ، لأنه كسول لا يعمل. صدقونى لو أعطاه الرب خمس وزنات، كان دفنها أيضاً .

وعيه أيضاً فى فكرته السيئة عن الله. يقول للرب : عرفت أنك إنسان قاس . تحصد من حيث لا تزرع" أسلوب غير مؤدب.. يقدم أذارأ وأذاره خطايا . إنه ينسب لنفسه المعرفة، ويدين الله نفسه. وفى قلبه التذمر والانتقاد .

عجيب أن أكثر الناس تذمرأ وانتقادأ ، هم أقلهم عملاً .

المفروض أنك لا تنتظر إلى ما عندك إنه قليل. بل تكون أميناً فى استخدامه ليصير كثيراً. وعموماً ما لا تستخدمه، تكون عرضة أن تفقده .

الباب الخامس

أمثال في مقارنات

مثل الذراع (مت ١٣ : ٣-٩)

(مت ١٣ : ١٨-٢٣)

مثل الحنطة والزوان (مت ١٣ : ٢٤-٣٠)

(مت ١٣ : ٢٧-٤٣)

مثل البيتين (مت ٧ : ٢٤-٢٧)

مثل الغنى ولعازر (لو ١٦ : ١٩-٣١)

مثل الفريسي والعشار (لو ١٨ : ٩-١٤)

مثل العشار العذاري (مت ٢٥ : ١-١٣)

١- مَثَل الزَّارِع

(مت ١٣ : ٣-٩) (مت ١٣ : ١٨-٢٣)

مثل الزارع الذى خرج ليزرع هو مثل مشهور، سجلته كل الإنجيل الثلاثة الأولى المعروفة باسم Synoptic Gospels (ذات النظرة الممتقة) فهو فى (مت ١٣ : ١٢-١٨) (مر ٤ : ١٠-١٢) (لو ٨ : ٩، ١٠) ثم شرحه .. قال فيه الرب :

"خرج الزارع ليزرع . وفيما هو يزرع ، سقط بعض على الطريق فجاعت الطيور وأكلته. وسقط آخر على الأماكن المحجرة، حيث لم تكن له تربة كثيرة. فثبت حالاً.. وإذا لم يكن له أصل جف. وسقط آخر على الشوك، فطلع الشوك وخنقه. وسقط آخر على الأرض الجيدة، فأعطى ثمراً. بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين". وشرح الرب المثل فى (مت ١٣ : ١٨-٢٣) .

فماذا يعنى هذا المثل ، بمقارنته بأمثال الرب الأخرى ؟

هناك أمثلة تشرح عمل النعمة فى الإنسان ونموه، مثل: مثل الخميرة، ومثل حبة الخردل، ومثل حبة القمح (الزرع الذى ينمو). فكلها نمت وأنتشرت بعمل النعمة فيها، وليس بجهد بشرى .

وهناك مثل عن محاربة الشيطان لعمل الله، وهو مثل الحنطة والزوان. فهناك عدو زرع الزوان وسط الحنطة ومضى .

* * *

أما مثل الزارع فيتعلق بطبيعة الإنسان الذى يتلقى عمل الله فيه، ونوعيته، ومدى قبوله .

فى هذا المثل : أنواع من التربة تلقت البذار . أما الزارع فهو نفس الزارع، والبذار هى نفس البذار. وأما الأرض التى وقعت عليها البذار فهى تختلف. فالبذار وقع بعضها على الطريق، والبعض على أرض محجرة، والبعض على أرض فيها شوك، والبعض

على أرض جيدة. وحسب طبيعة الأرض، اختلفت النتيجة.

✱ ✱ ✱

يذكرنا هذا المثل بالكلمة التي قالها الرب للشباب الغنى :

قال له "إن أردت أن تكون كاملاً ، اذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء - فيكون لك كنز في السماء - وتعال اتبعنى" (مت ١٩ : ٢١). أما الشاب، فلما سمع الكلمة "مضى حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مت ١٩ : ٢٢) .

نفس الكلمة سمعها شاب غنى آخر اسمه أنطونيوس، سمعها في الكنيسة من قس عادى أو شماس يقرأ الإنجيل، فلم يمشِ حزينا، بل مضى وباع كل ماله ووزعه على الفقراء، وصار أباً لجميع الرهبان.

المهم إذن هو نوعية القلب الذى يستقبل الكلمة ومدى استجابته لها. الكلمة هي هي ، ولكن المهم في الـ Response (الاستجابة) .

✱ ✱ ✱

السيد فى هذا المثل شرح خبرة خدمته، وما سوف يحدث لتلاميذه فى خدمتهم .

وكانه يقول لهم : أنا سأرسلكم لتكرزوا وتعلموا الناس، وتنادوا لهم بالخلاص وبالملكوت. فلا تظنوا أن كل من يسمع كلامكم، سيقبله ويعمل به! فهناك أنواع كثيرة من السامعين - كما فى هذا المثل : هناك الأرض المحجرة، والأرض المملوءة بالشوك، والأرض الجيدة. وليس الكل سيسمع لكم. ولذلك ختم مثله هذا بعبارة "من له أذنان للسمع فليسمع" (مت ١٣ : ٩). وحتى الذين سيسمعون، على درجات. منهم من يكون ثمره مئة، أو يكون ثمره ستين، أو مجرد ثلاثين ...

✱ ✱ ✱

إنه درس للخدام وللكارزين، حتى لا تصغر نفوسهم أحيانا !

حتى لا تصغر نفوسهم، أو يدركهم اليأس والإحباط، إن لم تأتِ خدمتهم أحيانا بثمر، أو أنت بثمر ضئيل، أو أنت بثمر وسط فى البعض ثم ارتدوا!..!

القديس بولس الرسول فى أول خدمته بأثينا، بعد أن بذل كل جهده فى الشرح والإقناع، سمع هذه العبارة المستهزئة "ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟! " (أع ١٧ : ١٨). وخرج بثمرة كانت بسيطة وهى "ديونسيوس الأريوباغى، وأمرأة اسمها داموس، وآخرون معها" (أع ١٧ : ٣٤) . ومرة أثمرت خدمته تلميذاً اسمه ديماس خدم معه فترة. ثم ارتد ديماس

وترك بولس، إذ أحب العالم الحاضر (٢تى٤ : ١٠) .

✱ ✱ ✱

والآن فلنأخذ تفاصيل هذا المثل موضوعاً لتأملنا .

الزراع :

من هو الزارع الذى خرج ليزرع ؟ إنه المسيح له المجد .

★ هو الذى خرج من عند الآب وأتى إلى العالم (يو١٦ : ٢٨) .

وقد ألقى بذار الإيمان فى أنواع كثيرة من الأرض. بعضها كانت أرضاً جيدة هي تلاميذه القديسون . هؤلاء الذين التصقوا به، وقالوا له "تركنا كل شئ وتبعناك" (مت١٩ : ٢٧) "كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو٦ : ٦٨). وبالنسبة إلى البعض سقطت البذار على الطريق وخطفها الشيطان. والبعض آمنوا وارتدوا: منه من "رجعوا إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه" (يو٦ : ٦٦). ومنهم من قالوا لنيبلاطس "اصلبه اصلبه" (لو٢٣ : ٢١) . نعم ، السيد المسيح هو الزارع الذى ألقى بذاره. وحسب نوعيه الأرض، كان هناك المؤمنون والمقاومون والمرتكبون..

✱ ✱ ✱

★ أيضاً كلمة (الزارع) قد تعنى خدام الرب الذين يحملون كلمته:

منهم الرسل والأنبياء والتلاميذ، والمعلمون والكارزون، والرعاة والكهنة والوعاظ، وكل خدام الكلمة. مثلما قال القديس بولس الرسول "أنا غرست ، وأبلّوس سقى. والله كان ينمى" (١كو٣ : ٦).

هؤلاء كانوا يلقون الكلمة. فهناك من يقبلها ، ومن لا يقبلها .

أيضاً الملائكة كانوا أحياناً يحملون كلمة الله إلى الناس .

والروح القدس يعمل فى الناس ، فهناك من يقبل عمله، ومن لا يقبل. بل يطفئ

الروح ، أو يحزن الروح، أو يقاوم الروح..!

البذار :

هي كلمة الله التى تصل إلى الإنسان : إما فى الكتاب المقدس، أو يسمعا من أحد

الخدام أو المرشدين أو الآباء، أو من أى مصدر، فيشعر إنها رسالة من الله إليه، أو لا

يسمع ، أو لا يقبل .

وقد تكون للبذار هي نعمة الله التي تقتضيه. فيقبلها أن تعمل فيه. مثلما قال القديس بولس الرسول "ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي" "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (١كو١٥ : ١٠). وهناك من يرفض النعمة، كالذي قيل عنه "أزدرى بروح النعمة" (عب ١٠ : ٢٩) . ألم تفرح النعمة على أبواب البعض فلم يفتحوا؟! (نش ٥ : ٢ ، ٣) (رو ٣ : ٢٠) . كم مرة طرقت النعمة قلب بيلاطس، وقلب فرعون، وقلب بلعام؟! .

الأرض :

المهم هو نوع الأرض، ومدى علاقتها بالبذرة : هل تبقى للبذار في الأرض أم تُخطف ؟ وهل تصنع البذار جنراً ؟ ويمتد الجذر في الأرض، ويصنع ساقاً يصعد إلى فوق، ثم يصنع ثمراً ؟ هل الجذر يكون له عمق أم لا يكون؟ أي هل يكون للكلمة تأثير عميق في القلب، أم يكون تأثيرها سطحياً؟

هذا وقد قسّم الرب الأرض إلى أربعة أنواع :

الأرض التي على حافة الطريق ، مدوسة من المارة .

الأرض المحجرة ، التي لها تربة طينية بسيطة ليس لها عمق .

والأرض التي فيها شوك . والأرض الجيدة .

* * *

والعجيب أن الله ألقى بذاره على كل أنواع الأرض !!

حتى الأرض المحجرة لم يحرمها من نعمته ! حتى الأرض المملوءة شوكاً!! بذار

الرب وصلت إلى الكل، حتى إلى الطريق !

لأنه يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تي ٢ : ٤) . ولا يشاء

موت الخاطئ ، بل أن يرجع ويحيا (حز ١٨ : ٢٣) .

إنه يلقى كلمته إلى الخاطئ، مهما كان قلبه قاسياً، كفرعون !

يلقى كلمته إلى بلعام ، وهو يعرف أن بلعام محب للمال .

ألقى كلمته إلى الكهنة والفريسيين والصدوقيين، وإلى الكهنة ورؤساء الشعب .

وأرسل موسى ليلقى كلمته إلى شعب معاند مقاوم (رو ١٠ : ٢١)، وإلى فرعون،

والرب يعرف تملأ ما هي طبيعة فرعون .

وأرسل كلمته على لسان لوط إلى أهل سادوم. فكان كمازح وسط أصهاره (تك ١٩):
(١٤).

✱ ✱ ✱

لا نقل : لم تصل إلى كلمة الله ! لقد وصلت . فما مفعولها فيك ؟

وصلت إليك الكلمة عن طريق الكتاب المقدس الذي تمت طباعته بكل اللغات.
ووصلت إليك عن طريق القراءات في قداست الكنيسة وصلواتها .
ووصلت إليك عن طريق العظات والكثير من الكتب الروحية .
ووصلت إليك عن طريق الأحداث التي تمر بك حاملة رسالة:

مثلما حدث للقديس الأنبا أنطونيوس عند وفاة والده. هذه الوفاة أوصلت إليه رسالة عن
أن العالم زائل، وأن أباه لم تنفعه ثروته ولا سلطانه، بل خرج من العالم بغير إرادته.
فاتعظ أنطونيوس وترك العالم بهواه .

إذن أنت بلا عذر أيها الإنسان، فالبذرة وصلت إليك رسالة .

البذرة بطبيعتها فيها حياة . ولكن إذا لم تستجب لها الأرض، تبقى تلك الحياة بلا
فاعلية ...

✱ ✱ ✱

فما هي الأرض ؟ وما هي التربة ؟ وكيف تتم الفاعلية ؟

الأرض هي العقل ، والقلب ، والإرادة .

وهذه الثلاثة تتم بها الرغبة في التنفيذ. إنما يجب على الذين يوصلون كلمة الله ، أن
يوصلوا كلمة الله ذاتها، وليست كلمة من عندياتهم، كذلك يوصلونها بطريقة ذات تأثير .

✱ ✱ ✱

ومع أن الله هو الذي ينمي ، إلا أنه تلزم شروط وهي :

أن البذرة تكون حية ، والأرض تقبل البذرة . والزارع يكون عارفاً بمواسم الزراعة،
ويهتم بالأرض في ربيها وسماهاها .

نتحدث الآن عن الأنواع الأربع التي ذكرها الرب .

١- بذار سقطت على الطريق :

أى أنها لم تسقط على الأرض المحروثة المشققة التي تقبل البذرة . إنما إلى جوارها
في الأرض المدوسة من الناس .

فخطفها الطير ، أى الشيطان ، فلم تأت الكلمة بفائدة .

ليس لأن الكلمة ضعيفة في ذاتها، إنما لعدم قبول السامع .

سقطت على الطريق، أى خارجاً، لم تدخل إلى القلب، إلى تربة الأرض. فخطفها الشيطان وطار. ذلك لأن الشيطان واقف إلى جوار الحقل يرقب. ف فيما يلقي الزارع البذار، ينتهز الشيطان أية فرصة يخطف فيها هذه البذار، ليمنع دخولها إلى الأرض، إلى القلب .

* * *

يذكرنا هذا النوع بمقاومى السيد المسيح الذين لم يقبلوا كلامه

مثل الكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين، ورؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب.. كل هؤلاء الذين رفضوا أن تدخل كلمة الله إلى قلوبهم. لم يكن لهم الإيمان الذى يقبل الكلمة. وحتى عندما كان الرب يشرح لهم، ما كانوا يفهمون، أو ما كانوا يريدون أن يفهموا. وليس فقط لم يقبلوا الكلمة، بل أيضاً المعجزات وما تدل عليها.

كانت معجزات الرب تحمل رسالة وهي أنه الله الظاهر فى الجسد (أتى ٣: ١٦) .

كانت تحمل إليهم معنى لاهوتياً ، ولكنهم لم يقبلوه . بل قاوموه !!

فالسيد المسيح يمنح بصرأ للمولود أعمى، الأمر الذى لم يحدث قط من قبل (يو ٩: ٣٢). ولكنهم يرفضون أن يدخلوا دلالة المعجزة إلى قلوبهم وإلى أفهامهم. بل يرون صانع المعجزة رجلاً خاطئاً، لأنه أجراها فى يوم السبت!! كانت عبارة السبت هى الريح التى تعصف بالبذرة إلى الطريق، خارج الأرض، فلا تدخلها..

ويحاول المولود أعمى أن يقنعهم. ويكون كلامه بذرة أخرى يرفضون قبولها. فستموه، وأخرجوه خارج المجمع، وأخرجوا البذرة أيضاً معه! قالوا له فى استهزاء : "قى الخطايا وُلدت بجملتك، وأنت تعلمنا!!" (يو ٩: ٣٤) أى تجرؤ أن تعلمنا! وهكذا رفضوا التعليم، وبقيت البذرة على الطريق يخطفها الطير .

أيضاً السيد المسيح يقيم لعازر من الموت فى اليوم الرابع، فيرفضون المعجزة ودلالاتها بنفس السبب: إنها حدثت فى يوم سبت. ومع أن عدداً كبيراً من الناس آمنوا، لأن البذرة وقعت على أرضهم الطيبة. إلا أن رؤساء الكهنة والفريسيين تشاوروا على السيد منذ ذلك اليوم أن يقتلوه (يو ١١: ٥٣). كان الحقد والحسد وسوء الفهم رياحاً تلقى بالبذرة إلى الطريق خارج الأرض !

والرب أيضاً كان يخرج الشياطين . ولكن هؤلاء القادة العميان (مت ٢٣: ٢٤) قالوا له إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين (مت ١٢: ٢٤). فيشرح الرب لهم استحالة

ذلك، لأن كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب.. ولكنهم لم يقبلوا الشرح، ولم يقبلوا دلالة المعجزة. كان العناد والإصرار على محاربتته، من الرياح التي أبعدت البذرة عن أرضهم، فخطفها الطير . لم يسمعوا كلام الرب، بل نفضوه عن آذانهم. وكما قال الشاعر

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي

* * *

ومن أمثلة البذار التي وقعت على الطريق أيضاً :

ما حدث لبولس الرسول وهو يشرح رؤياه وإيمانه أمام الملك أغريباس، أن صرخ الوالى فستوس بصوت عظيم "أنت تهذى يا بولس. الكتب الكثيرة تحوذك إلى الهنيان" (أع ٢٦: ٢٤). وبهذا الإدعاء أبعد كرازة بولس عن قلبه فلم تدخل إليه. وتحولت البذار إلى الطريق فخطفها الطير .

نفس الوضع حدث بالنسبة إلى الإنذار الذي أُنذر به لوط البار أهل ساووم "فكان كمازح في أعين أصهاره" (تك ١٩: ١٤) . وهكذا أبعدوا الكلمة عن آذانهم ، وهلكوا.. بسبب شهوات قلوبهم الفاسدة، الراضية للنصح .

البذار التي وقعت على الطريق ، هي التي لم تدخل الآذان ولا القلوب . وكان لذلك أسباب كثيرة قد صدتها كما قلنا . أسباب داخل القلب منعها عنه: كالجهل، والعناد، والغيرة، والحقد، والحسد، والإصرار على الرفض، وعدم الإيمان، وشهوة القلب، وغير ذلك من دواعي الرفض .

* * *

نوع آخر من البذار ، وقعت على أرض محجرة .

٤- بذار على أرض محجرة :

الأرض المحجرة ، أحياناً يوجد بين تشققاتها ، بعض الطين، عبارة عن تربة طينية خفيفة سطحية، لا عمق لها. هذه تسمح لبعض الشيء لأن تستقبل بذرة تثبت فيها قليلاً. وهذا النبات قال عنه الرب "وإذ لم يكن له أصل جف" (مر ٤: ٦) .

إنه نبات يمثل الإيمان السطحي الذي بلا عمق .

مثلما يوجد بعض الطين فوق سطح منزل، تقع عليه بذرة، وبشيء من المطر أو الندى، تثبت. ولكن بلا عمق . ما تثبت أن تقع عليها الشمس فتجف.

قال الرب عن هذا النوع إنه "الذي يسمع الكلمة، وحالاً يقبلها بفرح. ولكن ليس له

أصل في ذاته، بل هو إلى حين. فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة، فحالا يعثر"
(مت: ١٣، ٢٠، ٢١)

✱ ✱ ✱

هذا النوع سطحي في إيمانه، وسطحي في معرفته وفي مشاعره

يقبل الكلمة بسرعة، ويعثر بسرعة. قد يؤمن بسرعة، ويرتد بسرعة. مثل أولئك الذين كانوا من تلاميذ الرب. ومع ذلك لما تحدث عن تناول من جسده ودمه "رجعوا إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه" (يو: ٦: ٦٦).

قد يُدعى إنسان إلى الكنيسة، فيقبل ذلك بفرح، ويعمل عضواً في الكنيسة.. ولكن بسبب عثرة من أحد الخدام، أو بانتهاز عنيف من أب كاهن، يترك هذا المؤمن الكنيسة ويترك العمل فيها. ويقول لمن ينصحونه بالرجوع: إن كان الخدام هكذا، والكاهن هكذا. فلماذا أبقى فيها؟!

أو إنسانه كانت بعيدة عن الله، ثم تقبل الكلمة بفرح، وتعيش في الكنيسة فترة. لكنها قد تتقدم في إحدى المرات وهي مترينة بزينة لا يقبلها الكاهن منها، فيوبخها بشدة. فلا ترضى بذلك، وتشعر أنها قد جُرحت في لحظة مقدسة، وتترك الكنيسة إلى غير رجعة معترزة بكرامتها!!

✱ ✱ ✱

إنه إيمان غير ثابت، سهل الإهتزاز، سريع الإرتداد.

ليس له عمق في الأرض. فرق بين هذا النبات، وبين شجرة بلوط ضخمة، أو شجرة أرز، تصف بها الريح فلا تهتز، بينما هذا النوع الضعيف الذي تهزه أية عثرة أو أية ضيقة، ذكرني بقول الشاعر:

أد يا نجم ضعيفاً خائراً
أنا طفل في حياة الروح لم
يغتن القلب ولا العقل إعتنى
أنا في الصحراء نبتاً واهناً
كلما مرت به الريح إنثنى

ومثال ذلك أيضاً: إنسان يصلى ويصوم لأجل أمر ما، ويشعر أن صلته وصومه لم تكن لهما استجابة، فيضعف إيمانه بالصوم والصلاة، ويقرر إبطالهما، وكذلك يفعل بالنذور والاستشفاع بالقدسيين. إنه عنصر غير ثابت، ليس له عمق. يلزمه التدريب على قول الرسول "كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب كل حين، عالمين

أن تعبكم ليس باطلاً في الرب" (١كو ١٥ : ٥٨).

* * *

هكذا يجب أن تكون جذورنا ثابتة في الأرض، لا تتأثر بأية متاعب داخلية أو خارجية، شخصية أو عقائدية .

كباتسان يقول إنه مسيحي وأرثوذكسي ، ثم يتعرض بعض الوقت إلى شكوك من طوائف كشهود يهوه أو السبتيين، فيهتز إيمانه أو يرتد .

إيمانه إيمان سطحي ، أو إيمان مؤقت ، كنبات نبت في أرض محجرة ...

نذكر كمثل له في الكتاب : ديماس تلميذ بولس الرسول (٢٢: ٤ : ٩) وآخرين قال عنهم "كنت أذكرهم لكم مراراً. والآن أذكرهم باكياً، وقد صاروا أعداء صليب المسيح" (في ٣ : ١٨). إما لأسباب شخصية أو عقيدية. فديماس "أحب العالم الحاضر". والذين نكرهم القديس بولس باكياً قال عنهم "الذين إلههم بطنهم، ومجدهم في خزيمهم، الذين مفكرين في الأرضيات" (في ٣ : ١٩) .

* * *

لذلك فأصحاب العلاقة الشخصية مع الله ، قد تكون سبب ارتدادهم هو محبة للعالم وشهواته .

مثل هؤلاء الذين ذكرناهم ، ومثل بلعام "الذي أحب أجره الإثم" (٢بط ٢ : ١٥)، ومثل يهوذا الإسخريوطي (يو ١٢ : ٦) . لذلك ينبغي أن يكون الإنسان مبنياً على أسس روحية عميقة. وإلا فإنه يشبه البذار التي تثبت في تربة حجرية .

* * *

ننتقل إلى النوع الثالث الذي سقط وسط الشوك .

٣- بذار وسط شوك :

قال عنه الرب أن "الشوك طلع وخنقه" (مر ٤ : ٧) أما الشوك فقال إنه "هموم الحياة وغناها ولذاتها" (لو ٨ : ١٤). مع أنه من الذين "يسمعون الكلمة" (مت ١٣ : ٢٢) في بادئ الأمر . لذلك فإنه ينبت أولاً ثم يختنق .

المشغوليات والاهتمامات الدنيوية تضغط عليه، فتتمسيه العمل الصالح، أو تضع ما بدأ به ، أو تفقده أمانته من نحو الله .

مثلاً كاد يهلك سليمان بسبب الملاذ الكثيرة التي أحاطت به (جا ٢)، ونسأله أيضاً

أبعدنه عن الله و"أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" (امل ١١: ٤). غير أن الله أخرجه من بين الشوك، كما وعد من قبل أن "يؤديه بقضيب الناس، وبضربيات بنى آدم، ولكن لا ينزع رحمته منه" (٢صم ٧: ١٤، ١٥).

✱ ✱ ✱

أو أن خطية محبوبة داخل قلب الإنسان يمكن أن تخنق الكلمة داخله، وتفقده عمل النعمة فيه، وليس من الضروري أن تكون هذه الخطية شهوة جسدية. ربما تكون مثلاً شهوة مناصب، أو شهوة الشهرة، أو محبة جمع المال وتخزينه. كما قال ذلك الغنى الغيبي: "أهدم مخازني، وأبنى أعظم منها. وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي وأقول لنفسى: يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لمسنين عديدة. أستريحى وكلى واشربى وافرحى" (لو ١٢: ١٨، ١٩).

✱ ✱ ✱

وهكذا المشغوليات لا تعطيه وقتاً للتفكير فى روحياته، فتذبل وتختنق .

★ أو كإنسان فى البحث عن وظيفة، أو للنجاح فى انتخابات، أو لنشر فكره الخاطى، أو لتحدى سلطة أو رئاسة، أو لمحبة الظهور، أو ما أشبه، يضئع كل طاقته ووقته وكل ما كان عنده من شعور دينى. فيختنق كل ذلك داخله، وينتهى..

★ إن السيد الرب قد حذر مرثا من هذا الاهتمام الذى يمتص الروحيات. فقال لها "أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد.." (لو ١٠: ٤١، ٤٢).

✱ ✱ ✱

★ أو قد يترك البعض كل وسائل النعمة. ويصبح كل تفكيره وسعيه فى أمور العالم. وليس أمامه سوى : ماذا سأكون؟ وكيف أصل؟ ومتى أصل؟ وما هى العوائق؟ وكيف أذلها؟ وقد تكون تلك العوائق هى وصايا الله ! أو هى الإيمان !!

وهكذا تختنق كل صلته بالله وبهالك !!

حقاً إن "محبة العالم هى عداوة لله" (يع ٤: ٤) و"إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الأب" (١يو ٢: ١٥). وتكون محبة العالم هى الشوك الذى يخنق كل زرع حى...

ومحبة العالم - كما قال الرسول - تشمل شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة" وهذا العالم يبيد وشهوته معه" (١يو ٢: ١٦، ١٧).

✱ ✱ ✱

عجيب أن الشوك أقوى من النباتات، ويستطيع أن يخنقه !

فقد تكون العثرات أقوى من الروحيات . لذلك أمرنا الكتاب أن نبعد عنها. وقيل لنا إن "المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥ : ٣٣). وقد حذرنا المزمور الأول من هذه المعاشرات الرديئة. فقيل لنا "طوبى للإنسان الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز ١ : ١) .

إن أشهى وأقوى الأطعمة ، يمكن لقطرة سم أن تفسدها .
يمكن أن يتوب الإنسان ويتناول ويقضى يوماً روحياً جميلاً. ثم تصدمه عثرة قوية، فتضيع التأثير الروحي العميق الذى تمتع به!

✱ ✱ ✱

لذلك علينا بكل قوتنا أن نهرب من الشوك، وننقى حقولنا منه.

فلا يستطيع إنسان أن يعبد ربين أو يكرم سيدين (مت ٦ : ٢٤) أو أن يجمع بين محبة الله ومحبة العالم! فإما الله ، وإما العالم، لأنه لا شركة بين النور والظلمة (١كو٢ : ١٤).
والعالم هو الشوك..

✱ ✱ ✱

ننتقل إلى النوع الرابع ، وهو الأرض الجيدة :

٤ - الأرض الجيدة :

يقول الرب إن البذار التى وقعت على الأرض الجيدة أعطت ثمراً البعض أعطى مئة، والبعض ستين والبعض ثلاثين (مت ١٣ : ٨) .

فما هى الأرض الجيدة ؟

هى الأرض المستعدة لقبول البذار ، التى ترثل مع المزمور : "مستعد قلبى يا الله، مستعد قلبى" (مز ٥٧ : ٧). ترحب بكلمة الله وتفرح بها كمن وجد غنائم كثيرة (مز ١١٩).
هى الأرض الخالية من الشوك. وإن لاحظت شوكاً يزحف إليها، تستأصله بسرعة.
فلا يكون مجال لأن يخلق الشوك زرعها.

وهى الأرض ذات التربة العميقة التى تستطيع فيها الجذور أن تتعمق. وهكذا فإن كلمة الله يكون لها عمق فى داخلها. بل تستطيع جذورها أن تمتد وتقوى وتحمل أشجارها قوية لا تعصف بها ريح.

هذه الأرض تكون لها استجابة لعمل النعمة فيها. تكون لها شركة مع الروح القدس. ولا تكون فيها عوائق تعطل عمل النعمة.

✱ ✱ ✱

ومع ذلك ، فحتى هذه الأرض الجيدة على درجات في إثمارها.

ليست كلها تعطى مئة، بل منها ما يعطى ستين، وما يعطى ثلاثين .

كل منها حسب ظروفه، وحسب استعداداته، وحسب نوع الموهبة أو مقدار النعمة المعطاة له. وأيضاً حسب نوعية الحروب التي يتعرض لها، ومدى شدتها وطول مدتها .

عجيب هو الرب في محبته وحنانه ، إذ وصف الأرض التي تعطى ثلاثين فقط، بأنها أرض جيدة .

✽ ✽ ✽

على أنه يحسن بنا أن نتأمل في نوعيات هذه الأرض الجيدة :

★ربما الذى يثمر ثلاثين فقط هو المبتدئ فى حياة الإيمان. والذى يثمر ستين هو النامى فى حياة النعمة، السائر فى الطريق. أما الذى يثمر مئة فهو الذى وصل إلى الكمال.

★ربما الذى يثمر ثلاثين هو المؤمن العادى، والذى يثمر ستين هو المؤمن الخادم. والذى يثمر مائة هو الكارز الواسع العمل فى كرازته مثل القديس بولس الرسول. أو هو المؤمن الذى فى موضع قيادى كبير فى الخدمة، يدير خدمات عديدة لها ثمار كثيرة .

★وقد يكون تنوع الخدمات من مئة إلى ستين إلى ثلاثين، هو بحسب الوزنات المعطاة لكل مؤمن (مت ٢٥). أو حسب المسؤوليات، التى يعهد بها الله وتنوعها فى الخطورة (أف ٤ : ١١).

نشكر الله أن الجميع من الأراضى الجيدة .

✽ ✽ ✽

والأرض الجيدة هى أيضاً تتميز بميزات جوهريّة .

فهى ترمز إلى المؤمن الحقيقى، الذى يحب الله من كل قلبه (مت ٦ : ٥)، ويبعد عن محبة العالميات، ويسلك حسب الروح وليس حسب الجسد (رو ٨ : ١) ، ويتصف بالإيمان ، وبالغيرة، ويكون مثمراً فى إيمانه بثمار الروح (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣). ويسعى نحو الكمال (فى ٣ : ١٢ ، ١٣) .

ولنكتف بهذا، لأن صفات الأرض الجيدة، من الصعب أن تتسع لها هذه الصفحات .

٤- مَثَلُ الْحِنطَةِ وَالزَّوَانِ

(مت ١٣ : ٢٤ - ٣٠) (مت ١٣ : ٢٧ - ٤٣)

ورد هذا المثل في الإنجيل هكذا "قم لهم مثلاً آخر قاتلاً: يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله. وفيما الناس نيام، جاء عدوه وزرع زواناً في وسط للحنطة ومضى. فلما طلع النبات وصنع ثمرأ، حينئذ ظهر الزوان أيضاً. فجاء عبيد رب البيت وقالوا له: يا سيد، أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك، فمن أين له الزوان؟! فقال إنسان عدو فعل هذا. فقال له العبيد: أتريد أن نجمع للزوان؟ فقال لا. لئلا تعلقوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعوه. دعوها ينميان كلاهما معاً إلى يوم الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين: أجمعوا أولاً الزوان وأحزموه حزمأ ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخازني" (مت ١٣).

* * *

في الحقيقة هناك أمثلة كثيرة قالها الرب عن الزرع :

فقال مثل "خرج الزارع ليزرع..". عن نوع الأرض التي تقع البذار فيها: هل هي أرض جيدة؟ أم أرض محجرة؟ أم أرض فيها شوك؟ أم أرض ليس لها عمق؟ (مت ١٣ : ٣-٩). وفي (مر ٤ : ٢٦ - ٢٩) ضرب مثلاً عن نمو الزرع "أولاً نباتاً، ثم سنبلأ، ثم قمحاً ملأ في السنبل". وفي هذا المثل يتحدث عن الزرع الجيد، والمشاكل التي يفرسها عدو الخير ...

* * *

إن الله يا أخوتي هو أول زارع زرع في الأرض .

وأول زرع له هو الجنة التي وضع آدم فيها. و آدم نفسه كان زرعاً جيداً حينما خلقه الله، قبل أن يلقي الشيطان فيه زواناً .

والحقل في هذا المثل يرمز إلى العالم أو إلى الكنيسة .

الله دائماً يزرع زرعاً جيداً، وأول زرع له في الكنيسة كان الآباء الرسل، وجميع تلاميذه القديسين، والكنيسة الأولى التي كانت مملوءة من الإيمان وعمل الروح القدس، وكان الزرع نامياً بقوة ، فانتشر الإيمان في العالم كله ...

ثم دخل الزوان وسط الحنطة، وظهر أولاً في يهوذا .

✱ ✱ ✱

إن الزرع الجيد هو الأصل ، والشر دخيل على العالم .

الله لا يزرع إلا الزرع الجيد . وهكذا يروى سفر التكوين عن قصة الخليفة : "ورأى

الله كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً" (تك ١ : ٣١) .

فما هي إذن قصة الزوان؟ وكيف بدأ ؟

الزوان :

بدأ الزوان في البشرية، حينما ألقى الشيطان في أبوينا الأولين فكرة رديئة. قال لهما: لن تموتا. بل الله عالم أنكما يوم تأكلان من الشجرة، تصيران مثل الله.. (تك ٣ : ٤ ، ٥). وهكذا دخلت الخطية إلى العالم، وتوارثنا الخطية، وبالخطية الموت .

رأينا أيضاً كيف دخل الزوان في قلب قايين، فقتل أخاه (تك ٤). وكيف أنتشر الزوان بين أولاد الله حين رأوا بنات الناس أنهن حسنات (تك ٦ : ٢) .

على أنى أريد أن أقول إن الزوان إن كان قد بدأ على الأرض في الجنة، فقد بدأ قبل ذلك في السماء .

✱ ✱ ✱

بدأ الزوان في السماء بسقوط الشيطان .

كان الله قد خلقه كاروباً "ملآن حكمة وكامل الجمال" (حز ٢٨ : ١٤ ، ١٢). فكيف دخل الزوان إليه؟ كان ذلك حين قال في قلبه "أصعد إلى السموات. أرفع كرسيّ فوق كواكب الله.. أصير مثل العلى" (أش ١٤ : ١٤، ١٣).. وهكذا كانت الكبرياء أول زوان عرفته الخليفة ...

ولما سقط الشيطان ، أسقط معه كثيراً من القوات السماوية، فانتشر الزوان. هناك طغمتان من الملائكة، لم يذكر الكتاب دخول الزوان في إحداهما. طغمة السارافيم التي تمثل التسبيح قائلة لله "قدوس قدوس قدوس.. (أش ٦ : ٣) . وأيضاً طغمة الكراسي

(العروش) التي تمثل الطول الإلهي ...

هذا هو بدء تاريخ الزوان ، منذ بدأ في السماء وعلى الأرض.

✱ ✱ ✱

والزوان عشب يشبه الحنطة تماماً، بحيث يصعب التفريق بينهما في بادئ الأمر، ولكنه عشب ضار. ولعل هذا يذكرنا بقول الرسول إن "الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر" (٢كو ١١: ١٤، ١٥). لذلك ينخدع البعض بالزوان ، فيظنونه حنطة . أو فيما هم يخلعونه من الأرض، يخلعون الحنطة معه، بسبب التشابه .

✱ ✱ ✱

المشكلة هي وجود الزوان وسط الحنطة ، أي داخل الكنيسة !

كما كان يهوذا وسط الرسل الإثني عشر، لا يفرقه أحد عن بطرس ويعقوب ويوحنا ! بل كان الصندوق معه .

كذلك نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة (أع ٦: ٥). أكان أحد يستطيع أن يفرقه عن باقي زملائه الشمامسة المملوئين من الروح القدس والحكمة؟! (أع ٦: ٣) . ولكنه فيما بعد صار من الهرطقة. وعن انحرافات العقائدية، قال السيد الرب في سفر الرؤيا لملاك كنيسة برغاموس "هكذا عندك أنت أيضاً قوم متمسكون بتعاليم النيقولاويين الذي أبغضه" (رؤ ٢: ١٥) (رؤ ٢: ٦) .

✱ ✱ ✱

الزوان يبدأ بشكل الحنطة ، ولا يفترق عنها إلا وقت النضوج.

فتظهر الحنطة بسنابل مملوءة بالقمح، ولا يكون الزوان كذلك. لذلك قال الرب : اتركوهما ينميان معاً إلى يوم الحصاد، أي إلى نهاية العالم كما شرح (مت ١٣: ٣٩) . والزوان الذي داخل الكنيسة ، قال عنه الرسول "أخوة كذبة" (٢كو ١١: ٢٦). وتحدث الكتاب أيضاً عن "أنبياء كذبة" . وقال الرب لملاك كنيسة أفسس "جريت القائلين إنهم رسل وليسوا رسلاً، فوجدتهم كاذبين" (رؤ ٢: ٢) .

✱ ✱ ✱

لاشك أن الأخوة الكذبة يظهرون كأنهم أعضاء حقيقيون في الكنيسة.

وتقاسى الكنيسة منهم. قال القديس بولس عن بعضهم "هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، يغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح" (٢كو ١١: ١٣) . وفي كتاب بستان الرهبان قصص كثيرة عن ظهور شياطين بهيئة ملائكة! وعن رؤى

كاذبة وأحلام مضللة. كلها زوان بلقيه الشيطان.

والأخوة الكذبة قد يظهرون وعليهم مسحة من القداسة "يأتون بثياب الحملان وهم ذئاب خائفة" (مت ٧: ١٥) . وقد تبدو عليهم غيرة مقدسة لأجل الحق ، كما كان يظهر الفريسيون مدققين في تنفيذ الشريعة وحريصين على حفظ السبت!! يجلسون على كرسى موسى مفسرين الشريعة، ولعله يطيلون صلواتهم (مت ٢٣: ١) .

✱ ✱ ✱

إن كان الزوان هكذا ، فما هي الحنطة إذن ؟

الحنطة :

الحنطة هي الزرع الإلهي . هي القمح ، ومنها الخبز الذي هو لازم للحياة .

ترمز إلى السيد الرب الذي قال "أنا هو خبز الحياة" (يو ٦: ٤٨) .

في اللغة العربية نسميه (العيش)، ومنه كلمة يعيش .

وقد شبه السيد نفسه بحبة الحنطة ، فقال عن موته وفدائه للناس: "الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت، فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت، تأتي بثمر كثير" (يو ١٢: ٢٤) .

وفي الإصحاح الثاني من سفر اللاويين كانت مقدمة الدقيق ترمز إلى تجسد السيد المسيح، سواء إن قدمت فريكاً (وهو حبات من الحنطة) ، أو دقيقاً وهو حنطة ولكن "مسحوق لأجل أماننا" (أش ٥٣: ٥) .

✱ ✱ ✱

حبة الحنطة بيضاء من الداخل تمثل النقاوة الداخلية .

ونبات الحنطة يتغير شكله من الخارج كلما ينمو وينضج. ففي بدايته يكون نباتاً أخضر، ثم يصفر كالذهب وبييض بنضوجه. كما قال الرب "ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول: إنها أبيضت للحصاد" (يو ٤: ٣٥) . ولعل هذا التغيير في اللون يذكرنا بقول الرسول "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رو ١٢: ٢) .

★ أيضاً حينما تمتلئ السنابل قمحاً، فإنها تتحنى، رمزاً إلى تواضع الشخص الروحي كلما يمتلئ من النعمة وحمل الفضيلة .

★ ولكي تصير الحنطة خبزاً وطعاماً لتغذية الناس، فإنها تُطحن وتُسحق وتغربل وتتخل، رمزاً للآلام التي يتحملها المؤمن في عمله الروحي .

★ لا ننسى أيضاً أن الحنطة تزرع في الشتاء ، وتحتل برده ومطره، إلى أن تتضج في أوائل الربيع، رمزاً أيضاً لتحمل الألم في الطريق إلى النمو .
في وسط هذه الحنطة زرع العدو زواناً، والناس نيام .

والناس نيام :

قال الرب في مثله "وفيما الناس نيام، جاء العدو وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى" (مت ١٣: ٢٥) .

فعل العدو ذلك ، في الخفاء ، في الظلمة، أثناء نوم الناس. وهذا يرينا أن أعمال الشر تعمل دائماً خفية في الظلام . وهكذا قيل عن الأشرار إنهم "أحبوا الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو ٣: ١٩) ليست لهم جرأة على العمل في النور والصحو. أما الرب في زرعه للحنطة ، فإنه زرعا علانية وفي النهار .

الشيطان زرع الزوان والناس نيام، أي في غفلة منهم. وهذا بلا شك درس لنا ، لكي تكون باستمرار في سهر وصحو .

يذكرنا هذا بما ورد في قصة الميلاد عن الرعاة الذين ظهر لهم الملائكة. إن هؤلاء الرعاة كانوا "يحرصون حراسات الليل على رعيتهم" (لو ٢: ٨) حرصاً عليها من عدو يفترسها. وفي ذلك قال الشاعر :

ومن رعى غنماً في أرض مأسدة

وطبعاً (برعاها) في جوفه!! إذن لا يد من السهر .

لذلك ما أجمل أن نقرأ في سفر النشيد "تخت سليمان حوله ستون جباراً من جبابرة إسرائيل. كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل" (نش ٣: ٧، ٨).

ونسمع عن نحميا في بناء سور أورشليم، إنه رتب حراسات ليل" (نح ٤: ٢٢، ٢٣) .
هنا حراس ليل، لئلا يأتي العدو "والناس نيام" .

✱ ✱ ✱

ما أسهل أن يحاربك عدو الخير، وأنت في غفلة ، أو في سهو، لأنه اعتاد أن يعمل "والناس نيام" ، فيزرع وسطهم زواناً.

لذلك اهتم دائماً بالسهر الروحي . نقول هذا للفرد وللكنيسة .

لقد جربنا كيف أن بعض المناطق العشوائية التي لم نلتفت إليها، كان يأتي "إنسان عدو" ويعيش فيها "والناس نيام". لذلك وجدنا من الضرورة رعايتها، حتى بدون وجود كنيسة فيها، إلى أن توجد .

عدو زرع ومضى :

العدو الذى زرع الزوان هو الشيطان، وله أعوان .

لهذا فإن القديس أثناسيوس فى جهاده ضد الأريوسية قال "إن عدونا ليس هو أريوس والأريوسيين، إنما هو الشيطان". ذلك لأنه العدو الذى يحرك أريوس واتباعه. وقد وصفه القديس بطرس الرسول أيضاً بأنه عدو . وذلك بقوله "اصحوا واسهروا، لأن ابليس خصمكم (عدوكم) يجول كأسد يزأر، ملتصقاً من يبتلعه هو" (ابطه: ٥: ٨). وعبارة "اصحوا واسهروا" تذكرنا بأن هذا العدو يعمل "والناس نيام" ...

✱ ✱ ✱

أما قول الكتاب إنه زرع الزوان ومضى، فليس معناها أنه انتهى من عمله. بل أنه مضى ليعمل شراً آخر، فى مكان آخر .

أو إنه مضى ليأتى بعد حين. وهكذا قيل فى آخر التجربة على الجبل "ولما أكمل ابليس كل تجربة، فارقه إلى حين" (لوقا: ٤: ١٣) .

الشيطان دائم العمل، لا يهدأ . جعبته مملوءة زواناً، يحمله من مكان إلى آخر، ومن شخص إلى آخر. يلقي زوانه باستمرار وسط الحنطة. ويمضى لكى لا يظهر واضحاً. قد لا نراه وهو يعمل، ولكن نرى نتائج عمله.. مثل ميكروب لا نراه وهو يدخل الجسم، ولكننا ندرك مقدار الضرر الذى يحدثه .

✱ ✱ ✱

إنه يزرع زواناً ، يشبه شكل الحنطة ، فيلتبس الأمر علينا .

كمعاملة تأخذ شكل الحزم وهى قسوة، أو معاملة تأخذ شكل الحب وهى شهوة. إنها كدئاب تلبس ثياب الحملان. تبدو كحنطة وهى زوان!! يحتاج الإنسان فى التعامل معها إلى حكمة وتمييز وافرار ...

✱ ✱ ✱

الشيطان - وهو عدو - قد يتكلم من فم صديق !

مثلاً فعل مع القديس بطرس الرسول . وذلك حينما أظهر الرب لتلاميذه "أنه ينبغي أن

يذهب إلى أورشليم، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم" فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره قائلاً : حاشاك يارب . لا يكون لك هذا" (مت ١٦: ٢١، ٢٢) . وكأنه يمنعه عن طريق الصليب والقداء وخلص البشرية!! وهذه فكرة شيطانية قالها ولا يفهم معناها. لذلك قال له الرب "اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى. لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس" (مت ١٦: ٢٣) .

محبة بطرس التى هى حنطة، ألقى الشيطان فيها زواناً، بفكرة تأخذ مظهر الحب والحرص على حياة المعلم، بينما هى زوان يحمل منعه عن عمل الفداء والخلص ! عجيب هو الشيطان، جري ولا يخجل . يلقي زواناً حتى فى محبة رسول عظيم كبطرس!

الشكوى من الزوان :

أتى خدام زارع الحنطة يشكون إليه من وجود الزوان، ويقترحون نزعها من الأرض (مت ١٣: ٢٧، ٢٨) .

وفى الواقع أن الشكوى من الزوان، شكوى تكررت عبر الأزمان :

هوذا إرميا النبى يقول "أبرّ أنت يارب من أن أخاصمك، ولكنى أكلمك من جهة أحكامك: لماذا تتجج طريق الأشرار؟ اطمأن كل الغادين غداً" (أر ١٢: ١) . لماذا الزوان فى الأرض؟ ولماذا يوجد إلى جوار الحنطة؟ ولماذا ينجح وينمو؟! ويكمل أرميا كلامه فيقول "أصلوا ، نموا، واثمروا ثمراً، أنت (يارب) قريب من فهم ، وبعيد عن كلامهم" (أر ١٢: ٢) .

تماماً كما قال الرب عنهم "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، وقلبه مبتعد عنى بعيداً" (مت ١٥: ٨) (أش ٢٩: ١٣) . هم من الخارج يظهرون كأنهم حنطة، بينما هم زوان ..!

إبشالوم بن داود، كان يبدو من الخارج حنطة! إنه ابن ملك ونبى، وكان جميلاً وجذاباً للناس. وفى حقيقته كان زواناً، خان أباه، وحاربه بجيش ليقضى عليه ويحكم بدلاً منه. إنه زوان وسط الحنطة، وسط أولاد داود ...

غيرة خاطئة :

في غيرة صادقة ، قال عبيد زارع الحنطة : أتريد أن تذهب ونجمع الزوان؟ أى ننزعه من الأرض (مت ١٣ : ٨) . فقال لهم لا، لئلا تغلوا الحنطة مع الزوان وانتم تجمعونه! هؤلاء الخدام يذكروننا بقول القديس بولس الرسول "أشهد أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة" (رو ١٠ : ٢) .

حقاً، إن بعض الخدام فيما يخلعون الزوان، خلعوا الحنطة معه

* * *

والبعض فيما يخلعون الزوان، أو ما يظنونه زواناً، صاروا هم زواناً!

البعض فى غيرتهم (للإصلاح!)، يتهمون غيرهم ، وقد يدينون ويشهرون ويملأون الدنيا صباحاً، قائلين : الزوان الزوان، هلمّ نتحد لنخلع الزوان معاً! وفى كل هذا ربما يعثرون الأبرياء والبسطاء. وهم أنفسهم يفقدون نقاوة قلوبهم، وقد تمتلئ مشاعرهم بالكبرياء والحقده.. وفى كل هذا يشبهون الزوان تماماً! أليست هذه هى أوصافه؟! ويكونون فى خطر من جهة أديبتهم ..

* * *

واجبكم أيها الأخوة : ليس هو أن تخلعوا الزوان، إنما أن تنموا كحنطة .

وفى يوم الحصاد العظيم ، عندما يرسل الرب حصاديه من الملائكة، يجد سنابلكم مملوءة قمحاً، فيأخذها وتمتلئ أهداؤه حنطة .

حقاً ما أكثر الذين يتحمسون لنزع الزوان أكثر من الرب نفسه!

وما أكثر القديسين الذين أخطأوا فى غيرتهم المقدسة لنزع الزوان!

نضرب مثلاً لذلك القديس يوحنا الحبيب وأخاه يعقوب بن زبدي، اللذين من شدة حماسها فى ذلك الوقت، كان الرب يلقبهما بوانرجس أى ابني الرعد. حدث لما أغلقت إحدى قرى السامريين أبوابها فى وجهه إذ كان متجهاً إلى أورشليم، أن تحمس يعقوب ويوحنا وقالوا له "أتريد يارب أن تنزل ناراً من السماء فتقضيهم كما فعل إيليا أيضاً؟" (لو ٩ : ٥٤). وكانت هذه غيرة خاطئة منهما لنزع الزوان فالتفت الرب وانتهرهما قائلاً "ستما تعلمان من أى روح أنتما! لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص" (لو ٩ : ٥٥، ٥٦).

* * *

يشوع بن نون أيضاً أخطأ في غيرته في (الدفاع) عن موسى النبي .

حدث عندما حل الروح القدس على السبعين شيخاً مساعدى موسى وتنبأوا، أن بقى رجلان فى المحلة هما ألداد وميداد، فحلّ عليهما الروح فتنبأ . فتحمس يشوع وقال لموسى النبي : هل أردعهما يا سيدى؟ فأجابه موسى النبي قائلاً: "هل تغار أنت لى؟! يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء، إذا جعل الرب روحه عليهم" (عد ١١ : ٢٦ - ٢٩). يشوع - لحدائقه - ظن هذين الرجلين زواناً وسط الجماعة - ينافسان معلمه! وما كانا كذلك - وأراد ردعهما وأخطأ ...

ربما بعض التلاميذ كانوا يتمنون التخلص من شاول الطرسوسى لاضطهاده الكنيسة، وجره رجالاً ونساء إلى السجن (أع ٩ : ١ ، ٢)

أما الرب فما كان يراه زواناً ينبغى خلعه، إذ كان يفعل كل ذلك بجهل فى عدم إيمان (اتى ١ : ١٣). بل كان يراه يصلح أن يكون إبناء مختاراً يحمل اسمه (أع ٩ : ١٥). وهكذا اختاره فيما بعد ليكون رسولاً للأمم، وليشهد له فى أورشليم وفى رومية أيضاً (أع ٢٣ : ١١). ومنحه اسم بولس، وجعله أكبر سنبلة فى المسيحية تحمل قمحاً...

* * *

إن القديس يعقوب الرسول يقدم لنا مثلاً للغيرة الخاطئة فيقول:

إن كان لكم غيرة مرة وتحزب فى قلوبكم، فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق، بل هى أرضية نفسانية شيطانية. لأنه حيث الغيرة والتحزب، هناك التشويش وكل أمر ردى. أما الحكمة التى من فوق، فهى أولاً طاهرة ، ثم مسالمة مترفقة، مدعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالححة.. وثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام" (يع ٣ : ١٤ - ١٨) .

هنا فى موضوع الزوان والغيرة لخلعه ، يواجها سؤال هام :

لماذا يسمح الرب بوجود الزوان، ووجود الشر والأشرار ؟

أولاً: بالنسبة إلى البشر، بسبب منحهم حرية الإرادة. لقد منحهم الله هذه الحرية، إذ خلقهم على صورته. لكنهم أساءوا استخدامها!

ثانياً: بالنسبة إلى الشيطان، بسبب مبدأ تكافؤ الفرص. لكى لا يحتج بأنه لو كانت له فرصة، لكان يفعل ويفعل.. وهكذا كمثال سمح له الرب أن يجرب أيوب الصديق (أى ١ ، ٢).

ثالثاً : بترك الزوان فى الأرض، ظهرت فضائل الأبرار: فضائلهم فى مقاومة الخطية والصمود ضد الشيطان. وفضيلتهم فى الصبر وانتظار الرب، وفى الإيمان بعمل الرب وتدخله .

كذلك اعطاء الأبرار فرصة لنوال الأكاليل عن استحقاق . لأنه لا يكفل إلا الذى انتصر . ولا ينتصر إلا الذى يحارب ، وله عدو .

رابعاً: مع وجود الشر، ووجود الزوان، توجد أيضاً نعمة الله العاملة فى أحبائه، والتى بها قال القديس بولس الرسول "استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى" (فى ٤: ١٣).

والاضطهادات التى تحملها الأبرار من الأشرار كانت سبب بركة لهم. وفى هذا قال القديس يعقوب الرسول "احسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة..". (يع ١: ٢) .

لهذا سمح الرب بوجود الزوان فى وسط الحنطة. وقال لخدامه: "أتركوهما ينميان كلاهما معاً إلى يوم الحصاد" (مت ١٣: ٣٠) .

ينميان معاً :

لعل البعض يسأل : أيهما ينمو فى العالم الخير أم الشر ؟ والجواب أنهما كليهما ينميان معاً .

الخير فى العالم يزيد، سواء من الناحية الروحية أو العالمية .
من الناحية الروحية : التكريس يزيد ، خدمة مدارس الأحد والشباب تزيد. القداسات تزيد مع حضورها. العمل المسكونى يزيد ومعه مؤتمرات الخدمة، ومؤتمرات الوحدة الكنسية. والمؤلفات الدينية تزيد، والمساعدات الإجتماعية تزيد فى المساعدات التى تقدم للدول الفقيرة أو المنكوبة بالسيول وبالزلازل، مع عمل الصليب الأحمر والهلال الأحمر وجمعيات الاسعاف ...

والشر أيضاً يزيد فى العالم ...

من جهة استخدام العلم فى كوارث الحروب، وفى التصرف فى الخليقة والنسل، كمشاكل الهندسة الوراثية والاستنساخ وما أشبهه . والشر أيضاً يزيد فى ظهور كثير من البدع والهرطقات ، وانتشار الإتحلال الخلقى والفكرى، والإلحاد وكثرة الشكوك فى

الأمر الدينية، والأمراض البشعة كالإيدز، وأيضاً انتشار الإرهاب والتطرف والجريمة
بشتى أنواعها.. إلخ .

وسبّط الشر والخير يزيدان وينميان إلى يوم الحصاد، مع استخدام العلم بتزايده في
الخير وفي الشر كليهما .. إلى يوم الحصاد .

يوم الحصاد :

هو - كما قال الرب - نهاية العالم الحاضر. وفيه ينتهي الشر بأن يلقي الشيطان في
بحيرة النار والكيريت (رؤ ٢٠: ١٠) في العذاب الأبدى المعد له وللأشرار وكل جنوده
(مت ٢٥: ٤١، ٤٦). ولا تكون خطية فيما بعد ولا موت فيما بعد .

الملائكة يحزمون الأشرار حزماً ويلقونهم في النار (مت ١٣) .

حزمة للملحين ، وحزمة للفاستين ، وحزمة للمضطهدين، وحزمة لكل نوع من أنواع
الأشرار .

أما الأبرار فيضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم (مت ١٣: ٤٣)

في أورشليم السمائية ، مسكن الله مع الناس (رؤ ٢١) يتمتعون بما لم تره عين، ولم
تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر (١كو ٢: ٩) .

٣- مَثَلُ الْبَيْتَيْنِ

(مت ٧ : ٢٤ - ٢٨)

قال السيد الرب في آخر عظته على الجبل :

"كل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسساً على الصخر".

"وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها، يُشبهه برجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيماً".

أنواع من الأذان :

يذكرنا هذا المثل بأنواع من الأذان تواجه كلمة الرب .

أ - أذان لا تسمع . مغلقة أمام كلمة الرب . لا تحب أن تسمع.

ب- أذان أخرى تسمع ولا تتأثر أو لا تقتنع . أو تتأثر تأثيراً سلبياً . مثل الشاب الغنى

الذى سمع وصية من الرب "قمضى حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مت ١٩ : ٢٢).

ج - نوع ثالث : يتأثر ولا يعمل. يكتفون بالإعجاب بالكلمة. كأولئك الذين بهتوا من

تعليم الرب (مت ٧ : ٢٨). ولا نضمن من منهم قد تبعوه!

د - نوع رابع : يسمع فيتأثر ويعمل، كالذين تبعوا الرب وصاروا تلاميذ له، لمجرد

كلمة إتبعنى (مت ٩ : ٩) أو هلم ورائى (مت ٤ : ٢٩ ، ٢٠) .

هـ - نوع خامس : يتأثر ويعمل، ولكن لا يستمر. كالزرع الذى نما قليلاً ثم خفقه

الشوك. كالذين تبعوا الرب ثم أرتدوا ورجعوا إلى الوراء (يو ٦ : ٦٦) .

و - نوع سادس : يسمع ويعمل، ويعلم آخرين أيضاً. وعنه قال الرب : "وأما من

عمل وعلم ، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات" (مت ٥ : ١٩) .

هناك أنواع أخرى ، تسمع فتأخذ موقفاً سلبياً أو مضاداً .

مثل الكتبة والفريسيين : الذين كانوا يسمعون الرب، فيشكون أو يعثرون، وينتقون ويجادلون، ويتهمونه بإتهامات كثيرة..

ومثل قيافا رئيس الكهنة الذي لما سمع من الرب إجابة عن سؤاله، مزق ثيابه وقال "قد جذب . ما حاجتنا بعد إلى شهود؟!" (مت ٢٦ : ٦٥) .

بولس الرسول أيضاً : كثيرون سمعوا منه ، فهزأوا به أو قاموه .

تكلم هذا القديس في أثينا، فقال قوم من الفلاسفة "تري ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟" (أع ١٧ : ١٨) . ولما أتى بذكر القيامة من الأموات، أسهزأ به البعض قائلين

"سنسمع منك عن هذا أيضاً!!" (أع ١٧ : ٣٢) . ولما تكلم أمام الملك أغريباس، صاح فسوس الوالى بصوت عظيم "أنت تهذى يا بولس . الكتب الكثيرة تحوذك إلى الهذيان!!"

(أع ٢٦ : ٢٤) .. كانوا كلهم أصحاب آذان لا تسمع، أو من النوع الذي يسمع ويستهزئ . والبعض حاولوا قتله . فصاح جمهور اليهود لما سمعوه صارخين إنه ينبغي ألا يعيش بعد"

(أع ٢٥ : ٢٤) . ولهذا يصلى الأب الكاهن فى أوشية الإنجيل قائلاً :

"فلنستحق أن نسمع ونعمل بتأجيلك المقدسة، بطلبات قديسيك"

"نسمع ونعمل" . لأن السماع وحده لا يخلصنا، إن لم نعمل به . فالسيد الرب قد قال "الكلام الذى أكلمكم به، هو روح وحياة" (يو ٦ : ٦٣) . أى تدركون الروح الذى فيه، روح

الوصية، وتحولون ما تسمعونه إلى حياة فيكم، يوصلكم إلى الحياة الأبدية . وهكذا قال القديس بطرس الرسول للرب "إلى من نذهب؟! كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو ٦ : ٦٨) .

السمع مسئولية :

يأمرنا الرب أن نعمل بما نسمعه ، ونحوه إلى حياة .

لأن سماع الكلمة هو مسئولية . فالسمع يقود إلى المعرفة والذى يعرف أكثر يُطلب بأكثر ... كل من أعطى كثيراً، يطلب منه كثير . ومن يودعونه كثيراً يُطالبونه بأكثر"

(لو ١٢ : ٤٨) .

ولعل البعض هنا يتساءل : مادام الأمر هكذا ، فمن الخير لى أن لا أعرف، حتى لا أطلب بأكثر!! مادامت المعرفة مسئولية . ويجيب القديس أوغسطينوس عن هذا الأمر

فيقول "هناك فرق كبير بين الجهل، ورفض المعرفة . فالذى يرفض المعرفة، يُدان على

رفضه.. "إن ينبغي أن نسعى إلى المعرفة، ونعمل بها .

فالمعرفة وحدها لا تكفى ولا تخلص، بدون عمل ...

حتى لو إفتنينا المعرفة من أعظم المعلمين ، ولم نعمل بها !

فالشياطين أيضاً تعرف، بل تؤمن وتتشعر (يع: ٢: ١٩). والإيمان بدون أعمال ميت. لا

يقدر أن يخلص (يع: ٢: ١٤، ١٧، ٢٠) . مجرد معرفة الدين والإيمان والوصية، ليست

ضماناً لأبدیتنا، بل هى مسئولية. لأننا مع ذلك لو أخطأنا، لا تكون خطيتنا وقتذاك خطية

جهل، بل عن معرفة" .. كما أن العلم وحده قد ينفخ" (١كو ٨: ١) .

✱ ✱ ✱

إن السماع - بتوسط العقل - يعطى علماً ومعرفة .

ولكن العمل - بتوسط النعمة - يعطى خبرة وحياة .

ولهذا يلزمنا أن ندرّب أنفسنا على أن نعمل بما نعرفه من تعليم الرب ووصاياه.

والتدريب يحول المعرفة إلى حياة .

قدمت لنا سير القديسين قصة راهب مبتدئ ذهب إلى أب شيخ يسأله المشورة فى

حياته الرهبانية . فقدم له الشيخ بعض الوصايا التى يسير بها فى حياته ، وطلب إليه أن

يدوم الحضور إليه ليتلمذ أكثر. ولكن مرّ شهران وثلاثة ولم يحضر إليه الراهب. فلما

التقى به الشيخ فى البرية، سأله قائلاً "لماذا لم تأت يا ابنى، لتسمع مزيداً من المشورة؟"

فأجابه الراهب: "إن النصائح التى سمعتها منك يا أبى، مازلت أدرب نفسى عليها. ولم

أتقنها بعد، حتى أخذ المزيد.." . فعرف الشيخ أنه راهب عمال . فباركه وأطلقه بسلام .

إنه مثال عملى، يذكرنا أننا لا نكتفى بالسماع، بل نعمل بما نسمع

لهذا كله ذكر الرب مثل البيتين للجماهير التى سمعت كلامه .

مثل البيتين :

إنه مثل عن بيتين قد يبدو شكلهما من الخارج واحداً. ولكن الرب فى هذا المثل ، لم

يهتم بشكل البيت الخارجى، ولا بمقدار علوه. إنما الأهمية الكبرى التى ركز الكلام عليها،

هى الأساس الذى يبنى البيت عليه: هل هو صخر أم رمل؟

فما المقصود بالبيت فى هذا المثل ؟

البيت هو حياة الإنسان الروحية : شخصيته وصفاته وتكوينه . بل هو حياته كلها،

نفساً وجسداً وعقلاً وروحاً، التي يتوقف عليها مصيره الأبدى. فما هو الأساس الذي يبني عليه هذه الحياة .

والناس في هذا البناء نوعان : ما بين عاقل وجاهل .

وليس المقصود بالجاهل هنا عديم الثقافة والمعرفة، وإنما المقصود عديم الحكمة في التصرف. ولذلك تترجم كلمة (جاهل) في بعض الترجمات الإنجليزية لهذا المثل بعبارة (Foolish) أى غبى أو أحمق، لا يسلك بحكمة.. تماماً كما ورد في مثل العذارى؟ (مت ٢٥: ١-١٣). عبارة : حكيمة، وجاهلات .

فالعاقل أو الحكيم ، بنى بيته على الصخر. والجاهل أو الغبى ، بنى بيته على الرمل. فما معنى الصخر ؟ وما معنى الرمل؟ في هذا المثل .

الصخر :

الصخرة التي بنى عليها حياتنا الروحية هي الله نفسه .
وما أكثر الأمثلة في الكتاب على ذلك .

فالرب قد وصف في سفر أشعياء النبي بأنه صخر الدهور. فقال "توكلوا على الرب.. لأن الرب صخر الدهور" (اش ٢٦: ٤).. والذي يتوكل عليه، يحفظه سالماً...

وبه فرحت حنة أم صموئيل، لما إنكلت عليه فمنحها ابناً، فقالت:

"ليس قدوس مثل الرب . لأنه ليس غيرك. وليس صخرة مثل إلهنا" (١صم ٢: ٢).

ونفس الكلام قاله داود النبي في نشيده "من هو إله غير الرب؟! ومن هو صخرة غير إلهنا، الذي يعززي بالقوة، ويصير طريقى كاملاً" (٢صم ٢٢: ٣١ - ٣٣) . ويقول أيضاً

في نفس النشيد "الرب صخرتى وحصنى ومنقذى.. به أحتمى" (٢صم ٢٢: ٢، ٣) .

ويرتل هذا النبي العظيم في مزاميره ويقول :

(مز ١٨: ٢، ٤٦) "الرب صخرتى وحصنى ومنقذى. إلهى صخرتى به أحتمى".

(مز ١٩: ١٤) "لنكن أقوال فمى وفكر قلبى مرضية أمامك ، يارب صخرتى وولوى" .

(مز ٢٨: ١) "إليك يارب أصرخ يا صخرتى..".

(مز ٦٢: ١، ٢) "إنما لله انتظرت نفسى ... إنما هو صخرتى وخلصى..".

(مز ٧١: ٣) "كن لى صخرة ملجأ أدخله دائماً. أمرت بخلصى، لأنك صخرتى

وحصنى..". أنظر أيضاً (مز ٨٩: ٢٦) (مز ٩٤: ٢٢) (مز ٩٥: ١).

أمثلة أخرى تدل على أن الرب هو الصخرة :

(تث ٣٢: ٣) "أعطوا عظمة لإلهنا . هو الصخر" .

(١كو ١٠: ٤) "كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم. والصخرة كانت المسيح" .

والدليل على أن الأساس الصخر هو المسيح: قول القديس بولس الرسول "فإنه لا

يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وُضع، الذى هو يسوع المسيح" (١كو ٣: ١١)

* * *

ما معنى أن المسيح يكون الأساس الصخرى لحياتك ؟

★ تؤسس بيتك الروحي على السيد المسيح بمعنى إيمانك به. وهذا يشمل الإيمان

بلاهوته، والإيمان بخلاصه العجيب، وفدائه لك.

فمن جهة لاهوته : لما ذكر القديس بطرس أن يسوع هو المسيح ابن الله، قال الرب

"على هذه الصخرة أبني كنيستى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت ١٦: ١٦، ١٨) .

أساس حياتك الروحية هو دم المسيح الذى يظهره من كل خطية (أيو ١: ٧). وهو

الذى أحببك وغسلك من خطاياك بدمه (رؤ ١: ٥) .

الأساس الذى تبنى عليه بيتك الروحي، هو أن تثبت فى المسيح، وهو يثبت فيك، كما

يثبت الفصن فى الكرمة . وبهذا تأتى بثمر كثير (يو ١٥: ٥) . وتثبت فى المسيح يعنى أن

تثبت فى محبته (يو ١٥: ٩) . هذا هو الأساس الصخرى، لأنك بدونه لا تقدر أن تعمل

شيئاً (يو ١٥: ٥) .

* * *

الأساس الذى تبنى عليه حياتك الروحية ، هو أن تدعو المسيح لحياتك، كما قال

بولس الرسول "..للكى أحيا - لا أنا - بل المسيح يحيا فى" (غل ٢: ٢٠)، وقوله أيضاً لى

الحياة هى المسيح.." (فى ١: ٢١) .

* * *

الصخرة الحقيقية التى تبنى عليها روحياتك هى التلمذة الحقيقية للمسيح فى طاعة

كاملة له. فهو القائل "إن حفظتم وصاياى، تثبتون فى محبتى" (يو ١٥: ١٠) . وبهذا تحيا

فى القداسة التى توحذك معه فى المشيئة وفى العمل.

الأساس الروحي الذى تبنى عليه روحياتك، أن تعتمد على الرب فى كل شئ، "وعلى

فهمك لا تعتمد" (أم ٣: ٥) . تثق بالله كل الثقة، وتعتمد عليه فى كل تدابيرك. وتؤمن أن

"اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصديق ويتمتع" (أم ١٨: ١٠) .

فالرب تبدأ حياتك به، وتستمر به، وتختتم حياتك به .

هو الأساس الصخر الذى تبني عليه حياتك .

وكل أساس غير المسيح هو رمل ...

* * *

ولعلك تسأل : بماذا يتميز الصخر كأساس ؟

الصخر يتميز بالصلابة والقوة والمتانة. وبالضمان والأمن فى تحمل الأساس للمبنى.

فالبيت الذى يبني عليه، لا يسقط .

ويتميز أيضاً بالعمق ، كما ذكر القديس لوقا الإنجيلي فى حديث الرب عن هذين

البيتين . "يشبه إنساناً بنى بيتاً، وحفر وعمق، ووضع الأساس على الصخر" (لو ٦ : ٤٨) .

وهكذا يفعل من يبني بيته الروحي على ما ذكره السيد المسيح من قيم ومثل، وضحتها

الرب فى العظة على الجبل قبل نكر مثل البيتين .

الرمل :

الذى يبني على الرمل هو إنسان جاهل يبني بيتاً بغير أساس. وفى ذلك ورد عنه فى

إنجيل معلمنا القديس لوقا إنه "بنى بيته على الأرض من دون أساس" (لو ٦ : ٤٩). فأصبح

بلا مقاومة .

فالرمل تربة مفتتة متحركة ، تتأثر وتتغير، وتنجرف وتحرف.

لا عمق لها ولا ثبات. وليست مثل الصخر الثابت فى مكانه..

إنها لا تستطيع أن تحمل البناء الروحي، كما يحمله "صخر الدهور" .

يذكرنى بذلك الزرع الذى قال الرب عنه إنه "إذ لم يكن له أصل جف" (مت ١٣ : ٦) .

* * *

بماذا نشبه من يبني على الرمل الذى بلا صلابة ولا عمق؟

مثل الذى يبني حياته على براه الذاتى، بدون عمل الله معه. أو يبني روحياته على

التدين الخارجى، أو العبادة المظهرية بدون مشاعر القلب الحقيقية! أو الذى يمارس

(فضائل) ليس لها جذور فى أعماقه، بل هى ممارسات بلا روح! أو الذى يعمل أعمالاً

حسنة على أساس من حب المديح والكرامة، أو فى رياء ليراه الناس!

أو الذى فى جهاده يعتمد على وسائل عالمية، أو على ذراع بشرى! أو الذى يثق بنفسه

أكثر من حقيقته، ويرتئى فوق ما ينبغى له أن يرتئى (رو ١٢ : ٣) .

كل هذا يعرض بنيانه الروحي للإنهيار وللسقوط في أي وقت. وكيف ذلك؟

الأمطار والأنهار والرياح :

قد تمرّ على البيتين فترة هدوء، ولكن الجو الهادئ لا يستمر. وفي ذلك يقول الرب
"نزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح. وصدمت كلاً من البيتين" (مت: ٢٥، ٢٧)

حلت ساعة الاختبار لتكشف صلاحية كل من البيتين :

المطر من فوق ، والأنهار أو السيول من تحت، والرياح من الجانب. أي جاء الإختبار
من كل جانب .

قد تكون هذه التي صدمت البناء الروحي: تجارب أو ضيقات، أو إغراءات أو
عثرات، أو عنف أو اضطهاد، أو حروب من الشيطان أو من الجسد أو العالم..
كل هذه صدمت البناء الروحي ...

فماذا كانت النتيجة بالنسبة إلى كل من البيتين ؟

البيت المبني على الصخر ثبت، كالجنادل الستة التي تعترض نهر النيل.. أو قل
كالشهداء والمعترفين وسط كل العذابات التي أصابتهم من المضطهدين، أو كالسواح
والمتوحدين في كل ما تعرضوا له من حروب الشياطين . أو كأبطال الإيمان الذين
صمدوا أمام كل شكوك وأفكار الهرطقة والمبتدعين.

كل أولئك انتصروا لأن إيمانهم كان مبنياً على الصخر ..

بعكس البيت المبني على الرمل الذي سقط وكان سقوطه عظيماً .

✱ ✱ ✱

إن الإختبار الأول للبيتين سيكون بالتجارب وهنا في العالم. أما الإختبار الثاني فسيكون
ساعة الموت، وهل ستكون ساعة خوف أم إطمئنان. والإختبار سيكون يوم الدينونة
العظيم. ليتنا من الآن نفحص أساس حياتنا وروحياتنا، ونتأكد أنه أساس من الصخر ...

٤- مثل الغنى ولعازر

(لو ١٦ : ١٩ - ٣١)

مقدمة

١ - تساعل بعض علماء الكتاب هل هو مثل أم قصة حقيقية.

وقالوا في ذلك أن السيد المسيح لم يتعود في أمثاله أن يذكر أسماء أشخاص.. وفي هذا المثل ذكر اسم لعازر المسكين، وأبينا إبراهيم، وموسى النبي.. ولا مانع أن يكون لعازر شخصاً عاش في تلك الفترة وراه السيد المسيح ...

ونحن نفضل أن تكون هذه القصة مثلاً، لأنه لو كان لعازر شخصاً رآه المسيح، ما كان قد تركه هكذا في بؤسه، وهو الذى ذكر قصة السامرى الصالح وكيف أشفق على جريح ملقى فى الطريق، ولم يتركه هكذا، بل أعتنى به (لو ١٠ : ٣٤) .

٢ - نقطة أخرى . وهى لماذا ذكر الرب هذا المثل؟ وما مناسبته ...

★ فى الواقع إنه كان قبل ذكره (فى نفس الإصحاح) قد ذكر مثل وكيل الظلم. وقال فى آخره "أصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم.. إن لم تكونوا أمناء فى مال الظلم، فمن يأتىكم على الحق لا يقدر خادم أن يخدم سيدين.. لا تقدرون أن أن تخدموا الله والمال" (لو ١٦ : ٩ - ١٣). بعد ذلك "كان الفريسيون أيضاً يسمعون هذا كله - وهم محبون للمال - فاستهزأوا به" (لو ١٦ : ١٤) .

فذكر الرب هذا المثل موبخاً الفريسيين المحبين للمال .

★ وأيضاً ليقارن بين غنى لعازر الذى لم يفكر فى مستقبله بعد الموت، ووكيل الظلم الذى عمل لمستقبله .

★ أيضاً كان فى (لو ١٥) قد ذكر أمثلة للتائبين المقبولين وبحث الرب عن الضالين، فكان من المناسب فى (لو ١٦) أن يذكر مثلاً عن عاقبة الذين ماتوا فى خطيتهم بدون

توبة، لكي يقيم توازناً بين الحالتين .

※ ※ ※

٣- هذا المثل أيضاً هو درس في الإهتمام بالفقراء والمساكين

★ وقد تكلم الرب عن خطورة هذا الأمر في حديثه عما يحدث في مجيئه الثاني، وفرزه للأبرار عن يمينه، وللأشرار عن يساره. وقوله للذين على يساره "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار المعدة لإبليس وملائكته. لأنى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى. كنت غريباً فلم تأوونى. عرياناً فلم تكسونى..". فلما سأله "متى رأيناك؟! أجابهم "الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوا بأحد هؤلاء الأصغار، فبى لم تفعلوا، فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي" (مت ٢٥ : ٤١ - ٤٦) .

※ ※ ※

وغنى لعازر لم يضع فى ذهنه الآيات التى وردت فى العهد القديم عن الإهتمام بالمساكين، فلم يصنع له أصدقاء من مال الظلم:

فقد ورد فى (أم ٢١ : ١٣) "من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب". كما ورد فى (أم ٣ : ٢٧) "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله" وقيل أيضاً "من يرحم الفقير، يقرض الرب. وعن معروفه يجازيه" (أم ١٩ : ١٧). أى يعطى قرصاً للرب، يوفيه له هنا أو فى العالم الآخر أو فى كليهما.

※ ※ ※

٤ - ونحن نذكر هذا المثل فى الصوم الكبير، لإرتباط الصوم بالصدقة، كما فى قراءات الصوم وبعض تراتيله .

ولا ننسى الترتيلة المشهورة التى نقولها فى الصوم الكبير

"طوبى للرحمسا على المساكين
فإن الرحمة تحل عليهم"

ولا ننسى أيضاً ما ورد فى رسالة يعقوب الرسول "الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هى هذه: افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يع ١ : ٢٧) .

والآن فلندخل فى تفاصيل مثل (الغنى ولعازر المسكين) :

عنى وفقير

★ المثل يقدم لنا شخصين : أحدهما غنى فى قمة الغنى، يلبس الأرجوان والحريز،

ويعيش متنعماً. والفقير يعيش فى عمق الفقر حتى دُعى بالمسكين . ويبدو أنه كان أحد المتسولين، وقد طُرح عند باب الغنى. وكان يشتهى الفتات الساقط من مائدته. وبالإضافة إلى جوعه وفقره، كان مضروباً بالقروح. وكانت للكلاب تلتى وتلصق فروجه (لو ١٦: ١٩-٢١).

* * *

★ وهنا لعل البعض يسأل : لماذا هذا التمييز فى القى والفقر؟ ولماذا سمح الله به؟ سمح الله لاختبار. ماذا يكون شعور الغنى فى غناه؟ هل يقوده الغنى إلى الخطية أو إلى الترف والبرد عن الله، أو إلى العظمة والكبرياء، أم يقوده الغنى إلى العطف على المساكين وإلى فعل الخير بما يملك من مال . كذلك ما شعور الفقير فى فقره؟ هل يسخط ويتنمر؟ هل يلجأ إلى طرق غير شرعية لتغطية حاجته بالكذب والتحليل؟

* * *

وعلى الرغم مما يقمه هذا المثل عن مصير غنى لعازر، نقول:
★ ليس كل الأغنياء خطاة، فقد يوجد منهم أبرار وقديسون . وليس كل الفقراء أبراراً مثل لعازر للمسكين، فمنهم أيضاً خطاة.
يذكر لنا الكتاب أن إبراهيم أبا الآباء كان غنياً جداً (تك ١٣: ٦). ومع ذلك كان باراً ومضيفاً للغرباء (تك ١٨: ٦-٨).

وكان أيوب الصديق أغنى كل بنى المشرق (أى ١: ٣). ومع ذلك شهد له الرب أنه ليس مثله فى الأرض. رجل كامل مستقيم.. يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى ١: ٨) .
ويوسف الرامى الذى كَفَنَ جسد المسيح كان رجلاً غنياً، وفى نفس الوقت كان تلميذاً للرب يسوع (مت ٢٧: ٥٧) (مر ١٥: ٤٣) .

وفى القرن التاسع عشر نسمع عن إبراهيم الجوهري ، أحد عظماء الأقباط. وكان غنياً جداً محسناً جداً، ومهتماً بتعمير الكنائس والأديرة .

* * *

★ والغنى فى قصة لعازر المسكين، لم يذهب إلى الجحيم بسبب غناه! كلا. وإنما على الرغم من تنعمه ورفاهيته ، كان أنانياً محباً لذاته. ينفق الكثير على نفسه. وقلبه خالٍ من الرحمة لا يعطف على المسكين. وعاش لحاضره فقط، ولم يهتم لأبديته ولم يستعد لها، على الأقل بعمل الرحمة !

وكانت أمامه فرصة أن يكسب الملكوت بالشفقة على المسكين (مت ٢٥ : ٣٤ - ٣٩).
ولكنه لم يفعل .

* * *

★ على الرغم من أن حالة لعازر المسكين تذيب أى قلب مشفق، وتثير الشفقة، بسبب
جوعه وقروحه، وكونه بلا مأوى .

★ كما كان هذا المسكين قريباً منه ، على يابه (لو ١٦ : ٢٠). ولعل الغنى كان يمر
عليه كل يوم ولا يأبه أو يعيره أى التفات! يذكرنا بما قيل فى قصة السامرى الصالح، أن
الكاهن واللاوى كليهما مرّا على الجريح المطروح بين حى وميت، "وجازا مقابله" (لو ١٠ :
٣٠ - ٣٢) .

★ كذلك فإن ذلك المسكين ما كان يطلب من ذلك الغنى شيئاً كثيراً أو يرهقه بعبء
رائد، بل كان يشتهي مجرد "الفتات الساقط من مائدته" (لو ١٦ : ٢١) .

* * *

من جائب آخر لم يذهب لعازر إلى حضن ابراهيم، بسبب فقره!

بل بسبب فضائل أخرى. فهو كان فتوحاً ، يكفيه الفتات الساقط. وكان محتملاً لحالته.
ولم يقل الكتاب عنه إنه قد تدمر بسبب حالته! أو حسد الغنى، أو أدانه ولو فى فكره! حتى
عندما ذهب إلى حضن أبينا ابراهيم، بقى صامتاً. لم يتكلم، بل تكلم ابراهيم نيابة عنه -
وهو لم يشمت فى حالة الغنى بعد الموت .

* * *

ذكر الكتاب اسم المسكين، ولم يذكر اسم الغنى .

كان اسمه لعازر، ومعناه "الله هو عونى" . وربما ذكر الرب له هذا الإسم، لأنه لم يكن
له عون من البشر، ولم يعتمد على ذراع بشر، بل كان عونه من عند الرب (مز ١١٨ : ٧)
(مز ١٢١ : ٢) . وقد منحه الرب المعونة التى احتمل بها البؤس الذى عاش فيه...

أما الغنى فلم يذكر له اسم ربما لأنه لا يستحق ذلك !

* * *

المهم أن نذكر هنا : أن غنى ذلك الغنى لم يكن دليلاً على رضى الله عليه، ولا فقر
المسكين كان دليلاً على عدم رضى الله!

إن الغنى أو الفقر ليس دليلاً على رضى الله أو عدم رضاه.. على أن كليهما عاشا
هكذا على الأرض. ثم جاء الموت، فاختلفت حالة كل منهما تماماً...

موت كليهما

★ مات الغنى . وغناه لم يمنع عنه الموت . وكذلك مات المسكين .

واختلف الإثنين فى موتهما . وفى ما بعد الموت !

مات الغنى ودُفن (لو ١٦ : ٢٢) . ولعل العظمة العالمية قد أحاطت بموته . ولعله قد دُفن فى مقبرة فاخرة ثليق بغناه . ولعل كثيرين قد رثوه وأبتوه ، وتكلموا فى مدحه وأن موته خسارة للمجتمع!

أما المسكين ، فلم يقل الكتاب أنه دُفن - مثل ذلك المسكين الذى تلحس الكلاب قروحه ، لا يهتم أحد بموته ولا بدفنه! ربما ألقوا جثته فى مكان مهمل . ولم يكن له قبر .

✱ ✱ ✱

★ وهذا الذى لم يهتم أحد بدفنه ، اهتمت به الملائكة .

وقال عنه الرب فى المثل "مات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم" (لو ١٦ :

٢٢) . فالملائكة تحمل أرواح الأبرار ، وليس الكل .. أما الأشرار ، فغالباً تأتى الشياطين وتسحب أرواحهم معها إلى الهاوية . فهؤلاء الأشرار كانوا من أتباع الشياطين: تبعوهم فى حياتهم ، ويتبعونهم أيضاً بعد الموت ...

وحضن ابراهيم يعنى كورة الأحياء وعشرة القديسين .

✱ ✱ ✱

★ كل من الغنى ولعازر وجد نفسه حياً بعد الموت .

فالموت ليس نهاية كاملة للحياة . بل الموت هو مجرد انتقال إلى حياة تبدأ ولا تنتهى ... وحياتنا على الأرض هى مجرد فترة مؤقتة ، نستعد فيها للحياة الأخرى التى لا تنتهى .

وسعيد وحكيم من يستعد لها ...

لذلك فالكنيسة تذكرك فى كل ليلة بالإستعداد للموت والدينونة:

وبخاصة فى صلاة النوم وصلاة نصف الليل ...

فيقول المصلى "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعد من أجل

كثرة ذنوبى .." "لكن توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة . لأن التراب فى القبر لا

يسبّح . ليس فى الموتى من يذكر ، ولا فى الجحيم من يشكر" .. ونقول فى نصف الليل

"فهمى يا نفسى ذلك اليوم الرهيب واستيقظى" .

✱ ✱ ✱

الغنى وجد نفسه فى الجحيم، ونسى أنه كان مجرد وكيل على ماله . إبتئنه الله عليه
ليستخدمه فى الخير ...

نعم يا أخوتى ، ليمت العصور فقط هى نصيب الله فى كل أموالنا. بل أننا سنعطى
حساباً عن كل ما نملكه، وكيف استخدمناه. وكيف نكر الرب عبارة (وكيل) فى كثير من
أمثاله وأحاديثه ..

ليت الغنى الذى عاصر لعازر صنع صداقة مع ذلك المسكين، بمال الظلم.. إذن لكان
يذكره وهو فى حضن إبراهيم ...

ما بعد الموت

الغنى اهتم بجسده فى حياته فى تنعمه ، واهتمت أسرته بجسده بعد الموت بدفنه. أما
بروحه فما كان أحد يهتم، لذلك ذهب إلى الجحيم. أما لعازر فعلى العكس، ما كان هناك
اهتمام بجسده. ويبدو أنه لم تكن له أسرة ولا أصدقاء. لم يكن غير الكلاب التى تلحس
قروحه. أما روحه فقد حظيت بعطف الملائكة وعطف أبينا إبراهيم.

✱ ✱ ✱

قبل صلب المسيح، كانت كل الأرواح تذهب إلى الهاوية. ولكن كان هناك فارق بين
الأبرار والأشرار .

كان الأبرار راقدين على رجاء، وقد تحقق هذا الرجاء بالفداء، إذ نقلهم الرب إلى
الفرديوس بعد صلبه. إذ نزل إلى أقسام الأرض السفلى وأصعدهم منها" (أف: ٤: ٦) وأدخل
معهم اللص اليمين (لو: ٢٣: ٤٣)

أما الغنى فكانت روحه فى طبقة أسفل من الطبقة التى يوجد فيها الأبرار . لذلك رفع
عينيه من الجحيم، ورأى أبانا إبراهيم ولعازر فى حضنه (لو: ١٦: ٢٣) .

✱ ✱ ✱

أما الهوة العظيمة التى أثبتت بين الأبرار والأشرار، فبالإضافة إلى معناها الحرفى،
يبدو أنها "هوة اليأس" إذ لا رجاء لهم .

لذلك يقول الرسول من جهة الذين رقدوا "لا تحزنوا كالباقيين الذين لا رجاء لهم"
(١٣: ٤) الذين مصيرهم كغنى لعازر ..

الغنى فى حياته الأرضية كان يمتلك كل تنعمات الجسد، ولكنه إذ لم يمتلك الشفقة
والحنان، فقد كل شئ .

وإذا بالغنى ولعازر - بعد الموت - تبادلًا كل الأوضاع .

لعازر قبل الموت كان مطروحاً عند باب الغنى . فإذا بالغنى بعد الموت لم يصل إلى المستوى الذى يطرح فيه عند باب لعازر!! بل كان ينظر من أسفل، ويرفع عينيه ليراه .
★لعازر قبل الموت كان يشتهي الفئات الساقط من مائدة الغنى. فإذا بالغنى بعد الموت يشتهي أن يبيل لعازر طرف أصبعه (وليس أصبعه كله) لكي يترد لسانه من اللهب (لو ١٦ : ٢٤) .

★لعازر كان يتعذب والآن يتتعم. والغنى كان مرفهاً والآن يتعذب.

★لعازر كان يتسول . والآن الغنى هو الذى يتسول ولو قطرة ماء. وأيضاً يتسول عطف أبينا ابراهيم .

★لعازر فى الحياة الأرضية، كان يرى سعادة الغنى وهو محروم. أما الآن فالغنى يرى سعادة لعازر وهو محروم، بل معذب.

★الآن الغنى أصبح هو المسكين . وليس المسكين لعازر !

حال الإثنين قد تغير إلى العكس، لإيجاد توازن بين الحياة على الأرض والحياة فى السماء .

تأملات فى القصة

١ - الحياة الروحية ليست مجرد سلبيات : لا تقتل، لا تزنى، لا تسرق.. بل لها إيجابيات . كما قيل عن أيوب الصديق "كامل ومستقيم، ويحيد عن الشر" (أى ٢ : ٣). وكما قال الكتاب :

"من يعرف أن يعمل حسناً، ولا يفعل، فتلك خطية له" (يع ٤ : ١٧) .

١- أو: شكلة غنى لعازر، ليس إنه فعل شراً، بل أنه لم يفعل خيراً

٢ - الله منحنا الخيرات ، لكي نسعد بها غيرنا، وليس لمجرد تمتعنا .

٣- الروح فى السماء تتسع معرفتها، وتعرف ما على الأرض.

فأبونا ابراهيم عرف أن هذا لعازر، وأن الآخر هو الغنى ...

كما عرف أنه قد أتى بعده موسى والأنبياء لهداية الناس .

٤ - الأصوات أيضاً كانت تصل من طبقة إلى طبقة فى مكان الإنتظار .

٥ - كل تعب على الأرض من أجل الرب له مكافأته. وقد قال الرسول "كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبهِ" (١كو٣: ٨). ومع أن لعازر تعب بغير إرادته، إلا أنه كوفئ! يكفى أنه احتمل في صبر، ولم يتذمر على وضعه، ولم يجدف ...

٦ - ليس الغنى فقط نستخدمه في الخير، بل أيضاً كل المواهب والقدرات . منحك الله ذكاء، استخدمه للخير. منحك سلطة، استخدمها لأجل سعادة الآخر. منحك صحة، منحك وقتاً، استخدم الكل للخير. قل لله في كل إمكانياتك "كل ما لي، فهو لك" .

٧ - طلب الغنى من أبينا إبراهيم ثلاث طلبات ولم تتحقق :
الطلبية الأولى يا أبى إبراهيم ارحمنى. والثانية "أرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء..". والثالثة أرسله إلى أخوتي (لو١٦: ٢٤، ٢٧).

جاءت الطلبتان الأولى والثالثة متأخرتين بعد فوات الوقت .
لو كان لا يزال في العالم قبل موته، لتشفيع فيه إبراهيم .
أما الآن فإنه يذكرنا بالعداوى الجاهلات اللاتي أتين بعد أن أغلق الباب (مت٢٥: ١٠، ١١). بعد الموت لا تقبل شفاعاة: لا من إبراهيم ولا من لعازر. فلا تقف أمام الإنسان سوى أعماله .

هذا يذكرنا بأنه لا توجد توبة بعد الموت ...
بيننا وبينكم هوة عظيمة .. لا تستطيعون أن تجتازوا إلينا (لو١٦: ٢٦) .
أما أخوة الغنى فقال عنهم أبونا إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء:
ومن جهة حال الغنى ، قال له أبو الآباء "تذكر يا بنى، أنك قد استوفيت خيراتك على الأرض". ولم تهتم بخير السماء !

تذكر يا بنى

تذكر أن حياة الإنسان على الأرض، هي التي تحدد مصيره بعد الموت، وتحدد درجة مصيره. لأن نجماً يفوق نجماً في الرفعة (١كو١٥: ٤١) وفي العقوبة هناك حالات أكثر احتمالاً من غيرها (مت١١: ٢٢، ٢٤) .

تذكر يا ابني ، وثق أنك ستذكر شئت أو لم تشأ !!
فأول جحيم سيجتازه الإنسان بعد الموت هو الذاكرة .

حينما يتذكر كل خطاياہ وسقطاته ونجاساته وضعفاته، الكل معاً! ومهما حاول أن يمحوها فلا يستطيع. الكل أمامه بالصوت والصورة، منذ ولادته حتى موته. لا يختفى منه شئ. وتضغط عليه ذكرى نجاساته فيصرخ "ذنبى أعظم من أن يُحتمل" (تك: ٤: ١٣) .

الذاكرة بعد الموت سريعة، وشاملة، وغير إرادية، ودائمة .
ومؤلمة ، كجحيم قبل أن يدخل الجحيم. كما قال الشاعر :

كجحيم ذلك الماضى ، كشیطانٍ مريع

قائم ضدى فى صحوى وأيضاً فى هجوعى
فيتذكر بعد الموت خطاياہ التى كان يتلذذ بها، فأولاً لا يجدها . وثانياً لا يتلذذ بها، بل يتعذب بتذكرها !...!

ويصرخ أين أهرب من هذا الجحيم الذى فى داخلى، فى ذاكرتى؟! حيث أتذكر كل ما يعذبنى. ولا أستطيع الامتناع عن تذكره .

حقاً إن كل ما نعمله. وما نفكر فيه، يُحفر وينطبع فى ذاكرتنا. وإن نسيه الخطاة على الأرض ، فلن ينسوه بعد الموت . ومهما تعذبوا به، يقولون "نحن بعدل جوزينا" (لو: ٢٣: ٤١) .

وهكذا كان القنى المعاصر للعازر فى عذاب :

عذاب من تعب نفسه ، ومن تعب ما يتذكره .

عذاب فى المقارنة بين حياته فى العالم وحياته الآن .

عذاب فى المقارنة بينه وبين لعازر المسكين .

عذاب من جهة أخوته الذين فى العالم .

عذاب من جهة إحساسه بغضب الله عليه .

عذاب من جهة عدم استجابة أبينا ابراهيم لطلب من طلباته .

عذاب لأنه بدأ يحصد ثمار ما قد زرعه .

عذاب إذ ليس له رجاء، إذ يرى عذابه لا ينتهى.

هـ - مَثَلُ الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَارِ

(لوقا ١٨ : ٩ - ١٤)

إثنان صعدا إلى الهيكل ليصليا . أحدهما فريسى والآخر عشار .
حكم للناس على كل منهما ، عكس حكم الله تماماً .

★ كان الفريسى من طبقة محترمة من الناس، يدعونهم قائلين: سيدي سيدي (مت ٢٣: ٧). وكانوا منصفين جداً في تنفيذ الشريعة، يضيّقون على أنفسهم في الصوم وفي حفظ العيبت وفي دفع العشور. حتى أن بولس الرسول قال عن نفسه "إني حسب مذهب ديانتنا الأضيق، عشت فريسياً" (أع ٢٦: ٥).

★ كان معلماً للشريعة "يجلس على كرسي موسى" (مت ٢٣: ٢). وفي نظر الناس، كان إنساناً مشهوراً، وكانت له "صورة التقوى" (٢تى ٣: ٥). وكان يعرف عن نفسه أنه موضع احترام للناس، وأنه إنسان ملتزم. وقد صعد إلى الهيكل بهذا الشعور ...

✽ ✽ ✽

★ أما العشار ، فكان على العكس من طبقة يحتقرها الناس :

إذ كان العشارون مشهورين بالظلم والنهب والقسوة. حتى أن السيد المسيح حينما دخل بيت زكا العشار، تذر اليهود لأنه دخل لبييت عند رجل خاطئ (لوقا ١٩: ٧). وقد صعد العشار إلى الهيكل بهذه الروح من المذلة، ووقف بها منسحقاً أمام الله ...

✽ ✽ ✽

★ الفريسى صلى صلاة طويلة ، ولم يتبرر بها !..

والعشار صلى جملة واحدة "ارحمني يارب فاتى خاطئ". وخرج مبرراً .

الإثنان صليا . ولعل صلاة العشار وحدها هي التي حُسبت صلاة ...

لم يكن المقياس أمام الله هو طول الصلاة أو قصرها . إنما ما كانت تتصف به الصلاة من إتضاع وانسحاق قلب. وهذا ما تميزت به صلاة العشار. المهم في الصلاة عمقها وروحانياتها. وهذا ما يستطيع أن يحكم به الله فاحص القلوب ...

✽ ✽ ✽

كم من صلاة قصيرة ، كانت - فى عمقها - لها فاعليتها الكبرى .

هكذا كانت أيضاً صلاة اللص اليمين على الصليب "انكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" (لوقا: ٢٣: ٤٢). وبهذه الكلمات القليلة ، نال الوعد بأن يكون مع الرب فى الفردوس. لأنها كلمات صادرة من القلب، وفيها إيمان وإنسحاق قلب...

وبالمثل ما قيل عن صلاة السائح الروسى "يارب يسوع المسيح ارحمنى" ..

✱ ✱ ✱

ونحن نصلى قائلين "يارب ارحم" آلاف المرات. ولكن هل واحدة منها، فيها روح

وعمق عبارة "ارحمنى" التى قالها ذلك العشار؟!

قد نقول "يارب ارحم" ونحن لا نشعر بضعفنا، ولا نشعر باحتياجنا إلى الرحمة، ودون أن نتذكر خطايانا ونطلب الرحمة لمغفرتها.. وكل ذلك بغير تضرع، وبغير توسل، وبغير إنسحاق! طلب الرحمة واضح على ألسنتنا، ولكنه ليس عميقاً فى قلوبنا.. كما كان فى قلب العشار، وفى قلب اللص اليمين .

صلاة الفريسي :

★ لقد وقف أمام الله مفتخراً ، لا متضرعاً !

وحاول إخفاء افتخاره، وراء عبارة "أشكرك يارب..".

فليس المهم فى أن يقول الإنسان "يارب" ، إنما أن يقولها بقلب منسحق أمام الله.. فهذا الفريسي يذكرنى بقول الرب "ليس كل من يقول لى "يارب يارب، يدخل ملكوت السموات" (مت: ٧: ٢١). ويذكرنى بالأكثر بقوله - تبارك اسمه - "كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب، أليس باسمك تنبأنا؟ وباسمك أخرجنا شياطين؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم!" (مت: ٧: ٢٢، ٢٣).

أولئك أيضاً - مثل الفريسي - كانوا يقولون "يارب" ويفتخرون!

✱ ✱ ✱

فإن وقفت تقول يارب ، أذكر بأى روح تقولها ؟

★ قال الفريسي : اشكرك يارب إني لست مثل سائر الناس ..

وهكذا جعل نفسه فى مستوى أعلى، متميز عن سائر الناس، متميز فى أنه لا يرتكب خطاياهم. فقال لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة.. وهنا وقع نظره على

العشار، فقال "ولا مثل هذا العشار..". فأدان الغائبين عنه "سائر الناس"، كما أَدان العشار الحاضر أمامه .

✱ ✱ ✱

لقد أَدان العشار بدلاً من أن يدينه الله، بل أَدان العشار الذى برره الله (لو ١٨: ١٤) والذى كان أفضل منه أمام الله .

الله صاحب كل السلطان لم يَدن العشار فى هذا المثل. ولكن الفريسي هو الذى أَدانته، وبغير سلطان ، بينما كان العشار فى عمق روحانيته .

وصدق قول الآباء "من ينسى خطاياهم، يقع فى إِدانة خطايا أخيه".

لو تذكر الفريسي خطاياهم، نطلب عنها المغفرة، لكنه لم يتذكر سوى خطايا الناس الظالمين الخاطفين الزناة، وهذا العشار .

✱ ✱ ✱

وكأنه كان يبدو أمام نفسه بلا خطية!

كان باراً فى عيني نفسه ... كان فى نظر نفسه من الأصحاء الذين لا يحتاجون إلى طبيب، ولا من الخطاه الذين يحتاجون إلى توبة (مت ٩: ١٢، ١٣).

وهكذا أيضاً لم يطلب فى صلاته أى طلب من الله، وكأنه لا ينقصه شئ يطلبه..!

إنه يذكرنى بذلك الأخ البلموسى الذى كتب كتاباً ضد الأجيبة، وأنتقد عبارة (يارب ارحم). وقال : لماذا نطلب من الرب الرحمة؟! لقد رحمنا وانتهى الأمر!! لقد طهرنا وبررنا وجددنا ومجددنا، وما عدنا بعد فى احتياج إلى تطهير وتجديد !!

✱ ✱ ✱

الفريسي فى كبريائه أَدان غيره ولم يشفق !

ولو كان متضعاً لتذكر قول القديس بولس الرسول "أذكروا المقيدون كأنكم مقيدون معهم. واذكروا المذلين كأنكم أيضاً فى الجسد" (عب ١٣: ٣). ولكن الفريسي ذكر الخاطفين الظالمين الزناة، فى كبرياء قلب. وكان الأجدر إن ذكرهم ، أن يطلب لهم معونة من الله وتوبة .

القديس يوحنا القصير كان إذا رأى خاطئاً، يبكى فيسأله عن سبب بكائه، فيقول: هذا يدل على أن الشيطان يعمل وقد أسقط أخى هذا الذى يتوب، وما أَداننى إن أسقطنى هل أتوب أنا أم لا .

✱ ✱ ✱

★ العجيب أن الفريسي كان له مظهر الصلاة، ومظهر التواجد في الهيكل. ولكن قلبه لا مع الله ولا مع الناس.. تماماً مثلما ندخل إلى الكنيسة فنجدها مملأً بالناس. ولكنهم ليسوا كلهم مع الله، وليسوا كلهم يصلون ..!

★ وهكذا وقف في صلته بدين غيره! ما أخطر أن يخطئ الإنسان وهو يصلى !

✱ ✱ ✱

ما أخطر أن صلاة الإنسان تصير خطية!! وهكذا كانت صلاة الفريسي: وقف كإنسان بار أمام الله! لم يطلب المغفرة عن خطية واحدة ارتكبها! بل قارن نفسه بغيره، فوجد نفسه أفضل من الكل.

★ وبمن قارن نفسه؟ بالناس الظالمين الخاطفين الزناة !!

حقاً عندما نقارن بهذا المستوى الشرير نجد أنفسنا أبراراً!

ولو أنه قارن نفسه بالمتضعين المنسحقين ، لوجد نفسه في الموازين إلى فوق. ولكن لأنه نظر إلى من هم أقل منه، لذلك افتخر. مثل طالب رسب في مادتين، فيقارن نفسه بمن رسب في أربع مواد وأعاد العام، ويرى أنه أفضل. وعلى رأى المثل "الأعور وسط العميان سلطان". ليت الفريسي نظر إلى من هم أعلى منه وقارن نفسه بالأبرار القديسين، إذن ما كان يتحدث بهذا الأسلوب .

✱ ✱ ✱

إنه يقول مفتخراً "أصوم يومين في الأسبوع". لئنه تذكر دانيال النبي ، الذي لما صام ثلاثة أسابيع أيام، قال "لم أكل طعاماً شهياً، ولم يدخل فمي لحم ولا خمر" (دا: ١٠: ٢، ٣). هذا الذي رفض أطايب الملك، وأكل بدلاً منها القطناني (طعاماً نباتياً) .

إن الذي يقارن نفسه بالمستويات الساقطة، كالظالمين والخطافين الزناة ، قد يرتفع قلبه. أما الذي يتذكر مستويات القديسين ، يشعر أنه لم يعمل شيئاً فيتضع ...

لئنا بهذه المناسبة نتذكر قول الرب "كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (مت: ٥: ٤٨) . حينئذ لا نفتخر لمجرد أننا صمنا يومين في الأسبوع، أو عشنا كل ما نقتنيه .

✱ ✱ ✱

كذلك لا نقيس روحياتنا بسليبات الظالمين الخاطفين الزناة، إنما نقيسها بإيجابيات القديسين في روحياتهم ، بالدرجات العليا التي وصلوا إليها في جهدهم .

كذلك لما قال الفريسي "أعشر كل ما أقتنيه" ليقته تذكر قول الكتاب "منك الجميع. ومن يدك أعطيناك" (أى ٢٩: ١٤).

هذه العشور التى أعطاهما هى جزء من كل ماله الذى أخذه عطية من يد الله. فلماذا الافتخار إذن .

✱ ✱ ✱

★وبلا خجل، بدأ يتحدث عن نفسه، ويحصى أمام الله فضائله!

أنا أصوم مرتين فى الأسبوع، وأنا أعشر كل ما أقتنيه. ونسى أنه "كالقبور المبيضة من الخارج، وداخلها عظام ننتة" (مت ٢٣: ٢٧). نسى أنه يعشر النعناع والشبث والكمون، وقد ترك أنقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان (مت ٢٣: ٢٣). نسى أنه من القادة العميان الذين أغلقوا ملكوت السموات قدام الناس. فلا هم دخلوا، ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت ٢٣: ١٣).

✱ ✱ ✱

★نسى خطاياها فلم يذكرها. وفضائله لم ينسبها إلى عمل الله فيه!

لم يقل أنا بنعمتك لست مثل الظالمين الخاطفين الزناة. ولم يقل إننى بفضل معونتك لى أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه. لم يتكلم بأسلوب القديس بولس الرسول "لا أنا، بل نعمة الله التى معى" "ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة" (١كو ١٥: ١٠). لكنه اكتفى بأن ينسب إلى نفسه الفضائل التى تحدث عنها سلباً أمام الله. وافتخر باطلاً أمام الله، الذى قدامه كل بر الإنسان مثل خرقة الطامث (جز ٣٦: ١٧)، الذى ليست السموات طاهرة قدامه" (أى ١٥: ١٥) وإلى ملائكته ينسب حماقة (أى ٤: ١٨).

✱ ✱ ✱

خلاصة أخطاء الفريسي :

- ١ - الافتخار ، وعدم نسبة أعماله إلى نعمة الله .
- ٢ - إدانة الآخرين بصفة عامة، والعشار بصفة خاصة .
- ٣ - مقارنة نفسه بمستويات خاطئة ، أوصلته إلى البر الذاتى .
- ٤ - لم يطلب شيئاً لنفسه ، وكأنه غير محتاج لشيء .

العشّار :

كانت له فضائل كثيرة ، نذكر منها :

١ - انسحاق القلب . ويظهر هذا من أنه وقف بعيداً ، ولم يجروا أن يرفع عينيه إلى السماء.. فعل هذا مع كونه وقتذاك أقرب الحاضرين إلى الله في خشوعه. وقد قال للكتاب "الذبيحة لله هي قلب منسحق: للقلب المتخشع والمتواضع لا يرنله الله" (مز ٥١ : ١٧).

ووقوفه من بعيد ، كأنه يقول : لست مستحقاً أن أحشر نفسي في زمرة القديسين، ولست مستحقاً أن أتواجد في المواضع المقمنة. وكأنني أقول مع داود للنبي: أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك (مز ٥ : ٧) .

* * *

١ - ثم يرفع نظره إلى فوق ، وكأنه يقول : من أنا الذي يجروا أن يرفع نظره إلى السماء في قدسيها، بينما أشعر بنجاستي؟

٢ - في انسحاقه أخذ المتكأ الأخير حسب وصية الرب . فقربّه إليه، ولم يدعه يقف بعيداً ، بل جعله يخرج مبرراً .

وطبعاً وقوفه بعيداً يدل على شعوره بعدم الاستحقاق إلى الدخول إلى بيت الرب .

* * *

٣ - وقف وكأنه في خورس التائبين . وقرع صدره بصلاته التي صارت نموذجاً لكل تائب "ارحمنى يارب فإني خاطئ" .

٤ - كان متذكراً لخطاياهم ومعترفاً بها أمام الله . وهذا يذكرنا بقول القديس ليطونيوس "إن نسينا خطايانا ، يذكرها لنا الله . وإن ذكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله" .

* * *

وفي اعترافه بخطاياهم لم يقم أي عذر يعتذر به . وكأنه يقول لله: أنا مدان أمامك بلا عذر .

٥ - أظهر ندمه في أنه قرع على صدره . وهذا تعبير على أنه عارف بما اقترفه ، وهو خجلان بسبب ذلك ، مظهراً ندمه.

٦- مثل العشارِ عذاري

قال السيد الرب "يشبه ملكوت السموات عشر عذاري أخذن مصابيحهن، وخرجن للقاء العريس. خمس منهن حكيمات، وخمس جاهلات" (مت ٢٥: ١، ٢). فالإلى أى شئ يرمز هذا؟

رقم خمسة :

فى الواقع إن رقم خمسة يرمز إلى الإنسان (إلى البشر) .

وهكذا ترمز الخمس عذاري الحكيمات إلى كل البشر الحكماء. وترمز الخمس عذاري الجاهلات إلى كل البشر الجهلاء .

وقد ذكر القديس أوغسطينوس إن رقم خمسة يرمز إلى الإنسان لأن الإنسان يتميز بأن له خمس حواس. كما أن له خمسة أصابع فى كل واحدة من يديه، وفى كل قدم من قدميه.

✱ ✱ ✱

ونلاحظ ورود هذا الرقم كثيراً فيما يتعلق بالبشر .

فى أشهر معجزة لإشباع الجموع، أشبعهم الرب بخمسة أرغفة وسمكتين. وكان الأكلون خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال (مت ١٤: ١٧، ٢١). وكمثال لنجاسة الإنسان قيل عن المرأة إنه كان لها فى الخطية خمسة أزواج (يو ٤: ١٨).

ولكى يقارن السيد الرب فى ثقل الخطية بين سمعان الفريسي والمرأة الخاطئة الباكية، قال له : "إنسان كان له مدينان على الواحد خمسمائة دينار، وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما جميعاً" (لو ٧: ٤١، ٤٢) .

✱ ✱ ✱

وفى حديث الرب عن المواهب والمسئوليات ، ذكر أن أكثر الذين أخذوا كان صاحب الخمس وزنات، الذى ربح خمس وزنات آخر (مت ٢٥: ١٧، ٢٠) . والقديس بولس الرسول عن الفهم فى موهبة الألسنة: "أشكر إلهي أنى أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم. ولكن فى الكنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان" (١كو ١٤: ١٨، ١٩).

✱ ✱ ✱

وداود فى محاربة جليات ، ليبرهن على أقصى ما يعمله من مجهود كإنسان أخذ معه فى كنفه كراع "خمس حجارة ملساء" (اصم ١٧: ٤٠) .

حِكِمَاتُ وَجَاهَلَاتُ :

النفوس الحكيمة هي الحكيمة في تصرفها، وفي النظر إلى مستقبلها .

كما مدح الرب وكيل الظلم (لو ١٦ : ٨) لأنه تصرف بحكمة ونظر إلى مستقبله .
وهنا العذارى الحكيمات "أخذن زيتاً في آنيتهن مع مصابيحهن" (مت ٢٥ : ٤) . فكان
عندهن استعداد لاستقبال العريس بمصابيح مضيئة، أى استقبال الرب عند مجيئه الثانى
بنفوس مستنيرة، كما أمر هو من قبل وقال "لكن أحقاؤكم منطقة، وسرّجكم موقدة، وأنتم
مثل أناس ينتظرون سيدهم.." (لو ١٢ : ٣٥، ٣٦) .

أما الجاهلات ، فلم يكن عندهن مثل هذا الاستعداد .
* * *

وكلمة الجهل لا تعنى الأمية أو عدم الثقافة، بل كثيراً ما تطلق على الخطاة وحتى
على الملحدين ...

كما قيل فى المزمور "قال الجاهل فى قلبه ليس إله" (مز ١٤ : ١٩) . وقد يكون من
الفلاسفة الملحدين . ومع ذلك فهو جاهل، لأنه لا يعرف الله.. وكذلك قال أيوب الصديق
لزوجته، حينما تكلمت بكلام تجديف: تتكلمين كلاماً كجدى الجاهلات" (أى ٢ : ١٠) .
* * *

والقدّيس بولس الرسول نصح أهل أفسس قائلاً "أنظروا كيف تسلكون بتدقيق، لا
كجهلاء بل كحكماء" (أف ٥ : ١٥) . وهكذا وصف بالجهل من لا يسلك فى حياته بتدقيق .
وقال سليمان الحكيم "الحكيم عيناه فى رأسه . أما الجاهل فيسلك فى الظلام" (جا ٢ : ١٤) .
وقد قال السيد الرب "من يسمع كلامى ولا يعمل به، يشبه برجل جاهل بنى بيته على
الزمل" (مت ٧ : ٢٦) .

إذن العذارى الجاهلات كن حقاوات لا يفكرن فى مستقبلهن الأبدى .

لذلك حسن قيل عنهن فى ترجمة King James بالإنجليزية :

And Five were foolish . وحقاً أكبر حماقة أن الإنسان لا يستعد لمستقبله الأبدى ...

* * *

هؤلاء العذارى العشر، كان بينهن أوجه تشابه وأوجه اختلاف

أما عن أوجه التشابه : فنذكر من بينها أنهن كلهن خرجن معاً لاستقبال العريس . تماماً
كما نقول إن العالم كله ينتظر مجئ الرب متى يأتى .. هكذا كانت كل العذارى (على الأقل
من الخارج) . وكل منهن كانت تحمل مصباحها معها .

* * *

وقيل عنهن جميعاً "ولما أبطأ العريس نعنن كلهن ونمن".

ولعله يقصد بالنوم فى هذا المثل: الموت. فنتيجة لتأخر مجئ الرب ماتت أجيال عديدة من الأبرار والأشرار. ولكن الجميع قاموا معاً فى القيامة العامة. كما قيل "يسمع جميع من فى القبور صوته. فيقوم الذين فعلوا الصالحات.. ويقوم الذين فعلوا السيئات" (يو: ٥: ٢٩).

✱ ✱ ✱

ولكن متى يقومون؟ يقول المثل:

وفى نصف الليل، صار صراخ: هوذا العريس قد أقبل.

يظن البعض أن موعد مجئ الرب فى مجيئه الثانى للدينونة، سيكون فى نصف الليل! وهذا خطأ واضح، لأن نصف الليل فى شرق الدنيا غيره فى غربها. ونصف الليل فى المناطق القطبية غير ذلك فى منطقة خط الأستواء. والوقت يختلف من قطر إلى آخر أحياناً... إنما المقصود بنصف الليل، أى فى الوقت الذى يكون فيه الناس نياماً، أى غير متوقعين هذا المجئ...!

✱ ✱ ✱

على أن التشابه بين العشر عذارى، كان تشابهاً من الخارج.

كان تشابهاً ظاهرياً. أما من الداخل، فكان يوجد اختلاف.

أول خلاف أن بعضهن كن حكيما، والبعض الآخر كن جاهلات.

ونتيجة لاختلافهن فى الحكمة والجهل، "أخذت الحكيمات معهن زيتاً فى أنبيتهن مع مصابيحهن" "أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن، ولم يأخذن معهن زيتاً" (مت ٢٥: ٣، ٤). وهذا يدل على اختلاف ثالث بينهن: وهو أن الحكيمات فكرن فى المستقبل باستعداد له. أما الجاهلات فلم يكن لهن هذا التفكير فى المستقبل، ولا هذا الاستعداد له...

✱ ✱ ✱

الجاهلات لم يختبرن مصابيحهن قبل النوم، للتأكد من وجود زيت كافٍ فيها. تماماً كما يستعد السائق الحكيم قبل السفر بعربته، فيختبر العربته: هل فيها البنزين الكافى، وهل هى مشحمة، والفرامل مضبوطة؟

الحكيما كان عندهن الحرص والاهتمام والاستعداد والتفكير فيما سوف يقابلن به العريس. أما الجاهلات فكان تفكيرهن فى الحاضر فقط، وليس فى ما قد يحدث فى منتصف الليل.

✱ ✱ ✱

أهتمام الحكيمات بالمستقبل، يذكرنا بمدح السيد لوكيل الظلم.

ونأخذ وجه الشبه من ناحية واحدة فقط، وهي اهتمامه بما سوف يحدث له في المستقبل، واستعداده لذلك حينما تؤخذ منه الوكالة (لو ١٦: ٣، ٤). نأخذ الشبه بين المثلين، والقياس مع الفارق .

وقد ضرب الرب لنا هذا المثل، لنستعد لمجيئ الرب، ونكون حكماء. كما فعلت العذارى الحكيمات "وكما فعل ذلك الوكيل الحكيم (لو ١٦: ٨) .

فلنا إن التشابه بين العذارى الحكيمات والجاهلات كان من الخارج فقط. من حيث أنهن كلهن عذارى، وكلهن ينتظرن العريس.

إنه يشبه - فى الشكل الخارجى - تشابه الورد الطبيعى والورد الصناعى!

الشكل الخارجى قد يكون واحداً من حيث اللون والمظهر. أما عن الجوهر فالورد الطبيعى فيه حياة، وله رائحة، ونعومة وليونة، بينما لا يوجد شئ من هذا كله فى الورد الصناعى. إذن لا نحكم حسب الظاهر ...

✱ ✱ ✱

كما أن التشابه بينهما كان تشابهاً مؤقتاً .

فى البداية وليس فى النهاية. تشابها إلى وقت مجئ العريس، وحينئذ تتكشف حالة كل مجموعة على حقيقتها. أو لنقل إنه يبدو التشابه بينهن فى هذا العالم فقط، وليس فى وقت القيامة. كما كان يبدو التشابه بين الحنطة والزوان، ولكن فقط إلى يوم الحصاد (مت ١٣: ٤٠-٤٢). نقطة أخرى نتأملها، وهى عبارة (عذارى) .

عَذَارَى :

أظن أن هذا المثل لا يرمز فقط إلى البشر عموماً ...

بقدر ما يرمز إلى نوعية الخدام الموجودين فى الكنيسة .

ويمكننا أن ندرك هذا من معنى كلمة (عذارى) . والمعروف أن العذراء هى الأنثى غير المتزوجة أى غير المرتبطة برجل، بل هى متفرغة لله وعمله.

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول: "إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم فى ما للرب.. أما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها" (١كو ٧: ٣٤).

إذن هؤلاء العذارى كن من بين المهتمات فى ما للرب .

✱ ✱ ✱

ولأسف وُجد فى هذا النوع بعض الجاهلات، ضيعن أنفسهن!

مع أن لهن مظهر التدين من الخارج، مؤمنات، ويحملن مصابيحهن، وينتظرن العريس مثل الحكيمات تماماً. ويقلن "ربنا ربنا" (مت ٢٥ : ١١)!

أى أن الكل كان عندهن إيمان . ولكنه عند الجاهلات كان إيماناً نظرياً أو ظاهرياً وكان عند الحكيمات إيماناً حياً عاملاً مثمراً منيراً.

والذى يجعلنا نميل إلى هذا التفسير أن الرب فى نفس الإصحاح أو فى نفس المناسبة التى حكى فيها مثل العذارى، ذكر أيضاً مثل العبيد أصحاب الوزنات الذين سلمهم الرب وزنات ليتاجرُوا بها ويربحوا (مت ٢٥ : ١٤ - ٣٠) .

وفى نفس الأسبوع ذكر أيضاً مثل الكرامين الأردباء الذى "لما سمعه رؤساء الكهنة والفريسيون، عرفوا أنه تكلم عليهم" (مت ٢١ : ٤٥) .

الزيت :

كان الفرق الرئيسى بين هاتين المجموعتين من العذارى الإحتفاظ بالزيت لإضاءة المصابيح. فما هو الزيت هنا وما رموزه؟

الزيت فى الكتاب المقدس يرمز إلى فاعلية الروح القدس .

فقد أمر الرب موسى فى الإصحاح الثلاثين أن يصنع المسحة المقدسة من زيت الزيتون من أفخر الأطياب، فيكون دهناً مقدساً للمسحة، تمسح به خيمة الإجتماع، وكل مذابحها وأنيبتها. فتصبح قدس أقداس للرب، كل ما مسها يكون مقدساً (خر ٢٣ : ٢٣-٢٩) وهكذا كان.

وأمره بأن يمسح بهذا الزيت المقدس هرون وبنيه، فيقدسهم للرب ليكهنوا له (خر ٣٠ : ٣٠). وتصير مسحتهم لهم كهنوتاً أبدياً (خر ٤٠ : ١٥) .

* * *

فهل هؤلاء العذارى الجاهلات كانت تنقصهن هذه المسحة المقدسة التى تكرسهن لخدمة الرب؟ فتضى بها مصابيحهن ...

إن شاؤك الملك لما مسح بهذا الزيت المقدس، "أعطاه الرب قلباً آخر". "وحلّ عليه روح الله فتنبأ" (اصم ١٠ : ٩، ١٠) وصار مسيحاً للرب (اصم ٢٤ : ٦). وداود الفتى الصغير - لما مسح بهذا الزيت المقدس - حلّ روح الرب عليه من ذلك اليوم فصاعداً (اصم ١٦ : ١٣).

بل إن يعقوب أبا الآباء، لما صب زيتاً على الحجر الذى كان تحت رأسه كرّس المكان بيتاً للرب و قدّسه ودعاه بيت إيل (تك ٢٨: ١٨، ١٩، ٢٢) .

فهل العذارى الجاهلات: كان نقص الزيت عندهن، يعنى نقص عمل الروح فيهن؟ وبالتالي نقص الدعوة الإلهية .

✱ ✱ ✱

هوذا الرسول يقول "كيف يكرزون إن لم يرسلوا؟!" (رو ١٠: ١٥) .

إن القديس يوحنا الرسول يحدثنا عن أهمية المسحة فى العهد الجديد فيقول "وأما أنتم فلکم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ" "وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد. بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ، وهى حق" (١ يو ٢: ٢٠، ٢٧) .

أفعل زيت مصابيح العذارى، يذكرنا بزيت الميرون الذى يقصدنا؟

وبه نصبح هياكل لله، والروح القدس يسكن فينا" (١كو ٣: ١٦) .. وبهذا الروح ننال إستتارة من الرب. كما قال الرسول "الذين أستتبروا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس" (عب ٦: ٤) ..

حقاً إن الروح القدس هو نور لنا. لذلك يحذرنا الكتاب قائلاً "لا تطفئوا الروح" (١ تس ٥ : ١٩) .

فهل حدث مثل هذا الإطفاء للعذارى الجاهلات ؟

✱ ✱ ✱

إننا نبدأ حياتنا مع الله بأن نولد من الماء والروح فى المعمودية (يو ٣: ٥) . ثم ننال الروح القدس وسكناه فينا بالمسحة المقدسة فى سر الميرون. هذه النعمة التى نالها المؤمنون فى بداية العصر الرسولى بواسطة أيدى الرسل (أع ٨: ١٧) (أع ١٩: ٦) .

فهل مجرد نوال الروح القدس يكفى ؟

بل يقول الكتاب "امتثلوا بالروح" (أف ٥: ١٨) . هذا هو الذى كان ينقص العذارى

الجاهلات . على الأقل لم يضرموها الروح فيهم

✱ ✱ ✱

هذا الذى نصح به بولس الرسول تلميذه تيموثاوس قائلاً له : "أذكرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التى فىك بوضع يدي" (٢تى ١: ٦) .

لا يكفى أن تكون مع مصابيحنا أوانٍ ، بل يجب أن نملأها زيتاً، ونضرم الروح الذى فيها. ولكن كيف ؟

بأن نحيا بالروح، ونسلك بالروح (روا: ٨: ١) وتكون لنا شركة مع الروح القدس (٢كو ١٣: ١٤)، ونفال الإستتارة من الروح. لأن هذه الإستتارة مصدرها الزيت، كما كانت السرج في خيمة الإجتماع في العهد القديم يجب أن تكون موقدة باستمرار، كما أمر الرب الشعب "أن يقدموا زيت زيتون مرضوض نقياً للضوء لإصعاد السرج دائماً" (خر ٢٧: ٢٠) وقد أمر الرب في الإستعداد لمجيئه قائلاً "لكن أحقاؤكم ممنطقة، وسرجكم موقدة. وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع..". (لوقا: ١٢: ٣٥، ٣٦) .

وكيف كانت السرج تضيء، في ذلك العصر قبل الكهرباء ؟

تضيء زيت يصل إلى فتيلة مشتعلة، فيدوم إشتعالها بدوام وصول الزيت إليها. فإذا أنتهى الزيت، انطفأت . وهكذا حال الإنسان مع الروح القدس .

ونفس الوضع بالنسبة إلى الشموع المصنوعة من الزيت، تضيء طالما زيتها فيها. كالقديس ينير بالروح القدس العامل فيه.. فالروح القدس هو مصدر النور بالنسبة إلى فتيلة السراج، ونور الشمعة .. كرمز. والمهم هو أن يحافظ الإنسان على مصدر الزيت الذى يضيء مصباحه حتى لا ينطفئ .

مصايبنا تنطفئ :

مأساة العذارى الجاهلات هي قولهن "إن مصايبنا تنطفئ" (مت ٢٥: ٨) .

معنى هذا أنه ليس لهن روح الله عاملاً فيهن. جاء الرب فى وقت لم تكن فيه لهن شركة مع الروح القدس . لذلك لم تكن لهن صلاحية للدخول إلى العرس. لم تكن لهن الإستتارة الداخلية التى تؤهلن لذلك .

✱ ✱ ✱

العجيب أنهم طلبن من الحكيمات أن يعطين لهن من زيتهن !

ولم يكن هذا ممكناً. فالزيت يعبر عن عمل الروح فى القلب. وهذا بلا شك هو أمر شخصى، لا يمكن فيه للإنسان أن يمنحه. أى أن يمنح حالته الشخصية لآخر. لا يستطيع أن يمنحه علاقته بالله أو شركته مع الروح القدس !

كل شخص مصباحه يضيء بالزيت الذى فيه، وليس بزيت غيره!

بر الإنسان مسألة شخصية، لا تُعار لغيره، كما قيل فى سفر حزقيال النبى "بر الإنسان

عليه يكون. وشر الشرير عليه يكون" (حز ١٨: ٢٠).

✱ ✱ ✱

بر داود لم يكف لإنقاذ أبشالوم. فهلك أبشالوم على الرغم من كونه إبناً لداود! وصلاح
 ابينا ابراهيم لم ينفع الغنى الذي عاصر لعازر المسكين. بل إن ذلك الغنى طلب قطرة ماء
 يبلل بها لسانه من عذاب اللهب، ولم يجد عند لعازر ولا عند ابراهيم (لو ١٦: ٢٤، ٢٦).
 وصلاح أليشع النبي لم ينفع تلميذه جيحزى، حينما أخذ عكاز أليشع ليضعها على ابن
 الشونمية الميت لكى يحيها. بل بركة عكاز أليشع مصدرها أليشع نفسه، ولا تتوافر هذه
 البركة فى يد جيحزى (٢مل ٤: ٢٩ - ٣١).

الروح القدس الساكن فى أليشع، لم يمكن أعارته لجيحزى .
 * * *

إن بر أبينا نوح لم ينتقل إلى حفيده كنعان، بل استمر كنعان فى لعنته أجيالاً وأجيالاً،
 حتى لقاء السيد الرب مع المرأة الكنعانية (تك ٩: ٢٥) (مت ٥: ٢٢، ٢٦).. لهذا لم تستطع
 العذارى الحكيمات أن يعطين من زيتهن للجاهلات .. اللاتى كانت لهن مصابيح، ولكن
 بلا زيت ...

* * *

حقاً ، ما فائدة المصابيح ، إن لم يكن فيها زيت .

ماذا ينفع الإنسان إن كان له اسم مسيحى، وليس له إيمان بالمسيح! بماذا ينفعه الإسم.
 أو إن كان له إيمان، ولكنه إيمان شكلى نظرى، ليست له شركة مع الروح القدس ومع
 العمل الروحى!

ماذا ينتفع خادم فى منتهى النشاط والحركة، ولكن بدون روح! وكأنه مصباح بدون
 زيت! هكذا كانت العذارى الجاهلات .

المصباح هو شخصية الإنسان، والزيت هو الروح العامل فيه. أما أنيتهن التى يكتنز
 فيها الزيت، فهى القلب والفكر والإرادة ...

* * *

وقد عاشت الحكيمات طول عمرهن يكتزن زيتاً فى أنيتهن. وعندما نعسن ونمن،
 كانت أنيتهن مملوءة زيتاً، لأنه كان لهن هذا الاستعداد قبل نوم الموت. أما الجاهلات
 فكانت أنيتهن فارغة من الزيت ... وللأسف لم يكتشفن ذلك إلا بعد فوات الفرصة .

لم يفحصن أنيتهن جيداً قبل النوم، حسب نصيحة الكنيسة لنا فى صلاة النوم وصلوات
 نصف الليل التى نقول فيها : توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة. لأن التراب فى
 القبر لا يسبح. ليس فى الموتى من يذكر، ولا فى الجحيم من يشكر!

* * *

حقاً لا يمكن ابتياع الزيت بعد الموت. وبتاع الزيت الوحيد هو الله، الذي يكون قد أغلق الباب وانتهى زمن البيع .

إن الكنيسة علمتك دوام الإستعداد، وأن تتذر نفسك قائلاً :

"لو كان العمر ثابتاً، وهذا العالم موبداً، لكانت لك يا نفسى حجة واضحة. لكن إذا انكشفت أفعالك الرديئة وشوروك القبيحة أمام الديان العادل، فأى جواب تجيبين وأنت على سرير الخطايا منطرحة، وفى إخضاع الجسد متهاونة؟!".

✱ ✱ ✱

ومع ذلك، فالعذارى الجاهلات لم يستمعن إلى الإنذارات، ولم يذهبن لبيعتن زيتاً. وظلن هكذا إلى وقت مجئ المسيح الثانى. يقول الكتاب:

وصار صراخ: هوذا العريس قد أقبل" (مت ٢٥ : ٦) .

هذا الصراخ ، هو صوت الملائكة بأبواق معلنة مجئ الرب.. لأن الكتاب يقول "لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة، ويوق الله، سوف ينزل من السماء" (١ تس ٤ : ١٦) "فى لحظة، فى طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيبوق فيقام الأموات.." (١ كو ١٥ : ٥٢) .

يجئ الرب "والمستعدات يدخلن معه فى فرح ، ويفلق الباب" (مت ٢٥ : ١٠) .

✱ ✱ ✱

كانت المأساة الأولى للعذارى الجاهلات أنهن وجدن مصابيحهن تنطفئ. أما المأساة الثانية، فكانت أن باب الرب قد أغلق دونهن .

وأغلق الباب :

مجئ الرب سيكون "فى اليوم الذى لا تتوقعه، وفى الساعة التى لا تعرفها" (لو ١٥ : ٢٦). "فى نصف الليل" ، فى الظلام، وأنت نائم لا تدرك. تسمع صوتاً يقول لكل العذارى "هوذا العريس قد أقبل فأخرجن للقائه". فيخرج الجميع، ولكن ليس بمشاعر واحدة. القلوب المستعدة تقابله بفرح أما غير المستعدين فتقول "للجبال غطينا، وللتلل أسقطى علينا" (لو ٢٣ : ٣٠) (رؤ ٦ : ١٦). من خوف الملاقاة. حينئذ لا توجد فرص بعد، ويفلق الباب.

✱ ✱ ✱

أغلق باب التوبة، وباب الرجاء، واغلفت كل فرص الأستعداد.

لا توبة بعد الموت، ولا زيت يُباع وقتذاك. وباب الملكوت يُخلق على من فيه. لا الذين فى الداخل يخرجون منه، ولا الذين فى الخارج يستطيعون أن يدخلوا. وكما كان من قبل

"الله يفتح ولا أحد يغلق" الآن - بعد القيامة - هو "يغلق ولا أحد يفتح" (رؤ ٣: ٧) .

✱ ✱ ✱

وأسفاه على الفرص الضائعة لقد كان الباب مفتوحاً قبل الموت!

كان الباب مفتوحاً أمام داود الذى أخطأ وتاب. وكان مفتوحاً أيضاً أمام أغسطينوس ، وموسى الأسود، وشاول مضطهد الكنيسة، وأريانوس والى أنصنا. كلهم أخطأوا وتابوا ودخلوا من الباب المفتوح، كما دخلت بيلاجية ومريم القبطية وكثيرات. أما بعد غلق الباب فلا توجد فرصة للاستعداد ولا لابتياح الزيت!

✱ ✱ ✱

فاستعد الآن يا أخى، فالباب لا يزال مفتوحاً .

اختبر أنيتك كل يوم، وكن على الدوام مستعداً. هوذا القديس بولس الرسول يقول "جربوا أنفسكم: هل أنتم فى الإيمان؟ امتحنوا أنفسكم" (٢كو ١٣: ٥) .

لا تفعل كالعذارى الجاهلات ، اللاتى ذهبن فى حيرة وفى يأس يبتعن زيتاً، بينما الباب قد أغلق . وأصبحن يقرعن بلارجاء فيجيبهن الرب :

إنى لا أعرفكن :

كانت هذه هى المأساة الثالثة والأخيرة والمرعبة: أن يقول لهن الرب "إنى لا أعرفكن". لا أعرفكن كبعض من خاصتى، ومن خرافى. لا أعرفكن كأبناء النور وأبناء الملكوت! لا أعرفكن . لأن من ينكرنى قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات (مت ٣٠: ٣٣) . أنا لا أعرف أصحاب المصاييح غير المضيئة. لا أعرف الذين لم تكن له شركة مع الروح القدس. هكذا قال نفس العبارة للذين قالوا له "يارب يارب، أليس باسمك تتبأنأ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟! " (مت ٧: ٢١ - ٢٣). أما هر فأجابهم "إنى لا أعرفكم قط" .

"لا أعرفكم" تعنى أنكم لا تستحقون معرفتى لكم .

عبارة صعبة ومخيفة ، إذ يقول الكتاب لأمثال هؤلاء "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب ١٠: ٣١) . طبعاً مخيف لغير المستعدين .

لذلك ، حاول أن تملأ أنيتك زيتاً من الآن ، قبل أن يُغلق الباب.

الكتاب الساس

مختبر القريب

السَّامِرِيُّ الصَّالِحُ

(لـ ١٠ : ٢٥ - ٣٧)

مَثَل السَّامِرِيِّ الصَّالِحِ

(لو ١٠ : ٢٥ - ٣٧)

إنه مثل مشهور جداً ، لدرجة أنه بلغ من تأثيره على الناس تأسيس كثير من الجمعيات الخيرية والهيئات الإجتماعية أطلقت على نفسها اسم "السامري الصالح" كنموذج لعمل الخير مع الكل .

مناسبة المثل

أحد الناموسيين سأل السيد المسيح "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟" وهو سؤال وجهه إلى السيد كثير من الناس: قال ذلك أحد الرؤساء (لو ١٨ : ١٨) وأيضاً الشاب الغنى سأل نفس السؤال (مت ١٩ : ١٦). وسأله هذا الناموسى . نفس السؤال . والناموسيون جماعة يقرأون الناموس ويحفظونه، وهم على دراية بشرعية الله وكتابه المقدس .

فأجاب الرب على سؤال ذلك الفريسي بسؤال آخر وهو : ما هو مكتوب فى الناموس. كيف تقرأ؟ وهو سؤال اعتاده الناموسيون والكتبة أيضاً. فأجاب الناموسى بالوصية العظمى فى الناموس: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك" (مت ٦ : ٥) "وتحب قريبك كنفسك" (لا ١٩ : ١٨). ولم تكن محبة الله موضع سؤال. فسأل من جهة محبة القريب:

✱ ✱ ✱

من هو قريبى ؟ (لو ١٠ : ٢٩) .

لأن اليهود ما كانوا يعاملون السامريين (يو ٤ : ٩)، وكذلك كانوا يكرهون الأمم. إذن من يكون قريبه؟ هل هو الإنسان اليهودى فقط؟

ولكى يشرح الرب معنى القريب، ذكر مثل السامري الصالح (لو ١٠ : ٣٠ - ٣٦) .

✱ ✱ ✱

والمنطقة التي حدث فيها المثل ، هي ما بين اورشليم وأريحا .

وهي منطقة جبلية وعرة . والطريق بين المدينتين طريق موحش فيه الكثير من الكهوف التي كان يسكنها اللصوص . لذلك أصبح خطراً على السالكين فيه، وبخاصة التجار الذين قد يهجم عليهم اللصوص لسلب أموالهم. ولذلك لقب ذلك الطريق بالطريق الدموي . وكان هو مسرح المثل .

على أن مثل السامري الصالح يمكن أن يُفسر بطريقتين :
بالطريقة الرمزية ، وبالطريقة الواقعية ، كما سنرى .

التفسير الرمزي للمثل

★ **المسافر** : هو إنسان مسافر في طريق الحياة من الميلاد حتى الوفاة .

★ **نازل من اورشليم إلى أريحا** :

أى هابط من المستوى الروحي الذي لأورشليم المدينة المقدسة، مدينة الملك العظيم (مت ٥ : ٣٩)، مدينة العبادة والذبيحة والهيكل.. إلى أريحا التي هُدمت أسوارها، وتكلم ضدها يشوع بن نون (يش ٦ : ٢٦) .

هذا النزول له خطورته روحياً، لأنه يعرض المسافر للصوص:

✱ ✱ ✱

★ **وقوع المسافر بين لصوص ، فعروه وجرحوه** :

يرمز للصوص إلى الشيطان وأعدائه. فالشيطان هو أول لصّ سرق منا الفردوس، أخرجنا منه وسلبنا السعادة التي عاش فيها الإنسان الأول .

★ **أما عبارة عروه**. فمعناه عروه من ثوب البر. فالبر ترمز إليه الثياب البيضاء التي كان يلبسها الإنسان الأول، والتي وعد بها الرب الغالبيين، إذ قال "من يغلب ، فذلك سيلبس ثياباً بيضاء" (رؤ ٣ : ٥).

★ **الإنسان الأول عراه الشيطان من بساطته وبراعته وقداسته الأولى**. وهكذا عرف آدم وحواء أنهما عريانان (تك ٣ : ٧). وهكذا قال الرب لراعي كنيسة لاودكية الخاطيء إنه شقى وبائس وفقير وعريان (رؤ ٣ : ١٧) .

✱ ✱ ✱

★ **هذا المسافر لم يكتف للصوص بسلبه، بل أيضاً عروه وجرحوه، أى سببوا له آلاماً**

فى الجسد والنفس والروح، وأتعبوا ضميره ومشاعره. كما أن عبارة (جرحوه) تدل على قسوة عدو الخير فى محاربهه للإنسان والعمل على إهلاكه. وتصل هذه القسوة إلى عبارة: **★وتركوه بين حى وميت : أى لم يكتفوا فقط بإسقاطه، إنما تركوه على حافة الهلاك.** كما يقول المزمور "كثيرون يقولون لى: ليس له خلاص بإلهه" (مز ٣: ٢). وهكذا قيل عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوياء" (أم ٧: ٢٦) ...

✱ ✱ ✱

حقاً إن النازل من أورشلیم إلى أريحا، لا يدري فى أى مكان يكمن له اللص. وعن هذا قال المرثل فى المزمور "فى الطريق التى أسلك، أخفوا لى فخاً. تأملت عن يمين وأبصرت، فلم يكن من يعرفنى. ضاع المهرب منى، وليس من يسأل عن نفسى..". (مز ١٤٢: ٣، ٤) .

هذا الإنسان عاجز عن خلاص نفسه، ويحتاج إلى معونة من فوق .

فألصوص - سارقوا الأرواح - يعملون فى خفية وفى قسوة، وبأنواع وطرق شتى. وأحياناً بطريقة تبدو للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" (أم ١٤: ١٢)(أم ١٦: ٢٥). لا بد إذن من تدخل الله. وهنا ظهر الكاهن واللاوى.

الكاهن واللاوى :

فى أيام السيد المسيح لم يكن الكهنة واللاويون على مستوى المسئولية الرعوية، بل هم الذين هاجموا المسيح نفسه وحكموا عليه باستحقاق الموت. وهم الذين قال الرب عنهم فى مثل الكرامين الأرياء إن ملكوت الله ينزع منهم، ويُعطى لأمة تصنع ثماره (مت ٢١: ٤٣، ٤٥). وقد ذكرهم السيد فى هذا المثل ليُشعر الناموسى الذى سأله ، أنه يتبع أناساً بعيدين عن الله.

الكاهن واللاوى نظرا المسافر الجريح، وجزا مقابله . أى تركاه كما هو، وسارا فى طريقهما، دون أن يأبها به !

وهذا يعنى - من الناحية الرمزية - أنه لا معونة بشرية قُدمت لهذا المسافر الجريح حتى من المسئولين الرسميين المفروض فيهم أن يهتموا به!

✱ ✱ ✱

★ السامرى : من الناحية الرمزية ، يمثل السيد المسيح فى هذا المثل:

أتى حينما فشل الحل البشرى، وعجز الخاطئ الجريح عن خلاص نفسه. وقال للرب - كما فى المزمور - "أنت هو رجائى وحظى فى أرض الأحياء" (مز ١٤٢: ٥). وكما كان السامرى مرفوضاً من اليهود، كان السيد المسيح هو "الحجر الذى رفضه البنائون" (مز ١١٨: ٢).

✱ ✱ ✱

★ السامرى هو الذى خلّص الجريح، كما خلّص المسيح العالم.

وكيف ؟ لما رآه "تحنن" (لو ١٦: ٣٣). هذا الحنو هو الذى كان سبباً فى كل عمله. بالحنو ضد جراحه. وما كان الخمر والزيت، وركوبه على الدابة، والفندق والديناران إلا نتائج لمشاعر القلب التى أظهرها من نحوه..

✱ ✱ ✱

وهكذا نجد عبارة "تحنن" تسبق كثيراً من أعمال سيدنا المسيح ومعجزاته.

تحنن على الابن الضال وقبله إليه (لو ١٥: ٢٠). وتحنن على أرملة نايين وأقام ابنها (لو ٧: ١٣). "ولما رأى الجموع تحنن عليهم، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها" (مت ٩: ٣٦). "ولما أبصر جمعاً كثيراً، تحنن عليهم وشفى مرضاهم" (مت ١٤: ١٤). وهكذا كان الحنان عند الرب، هو نقطة البدء ...

وبالمثل حدث مع السامرى الصالح : لما رأى الجريح الملقى على الطريق تحنن وتقدم، وضمد جراحاته .

وهكذا فعل مع أورشليم الخاطئة، التى كانت "مدوسة بدمها" (حز ١٦: ٦). فقال لها "حممك بماء، وغسلت عنك دماءك، ومسحتك بزيت" (حز ١٦: ٩). داوى المسيح جراحنا.

✱ ✱ ✱

وصب على جراحه زيتاً وخمراً . الزيت يرمز إلى الروح القدس، والخمر يرمز إلى دمه الكريم فى سر الإفخارستيا. وماذا بعد؟

★ وأركبه على دابته، أى على الإيمان الذى يستطيع أن يوصله

★ وأتى به إلى فندق، أى إلى الكنيسة التى يعيش فيها ويستريح.

★ واعتنى به ، أى سلمه إلى عمل الرعاية .

★ وأعطى دينارين لصاحب الفندق .

لعلهما شريعة العهد القديم وشريعة العهد الجديد، كوسيلة للعناية

أو لعلهما الإنجيل وأسرار الكنيسة المقدسة، أى التعليم والأسرار.

أو هما النعمة والجهاد ، وبهما يشفى الجريح .

ووعده بالمجئ ثانياً (لوقا ١٦ : ٣٥) : أى فى مجيئه الثانى سيكافئ الكنيسة على عملها

فى رعاية هذا الجريح. ويأخذه أيضاً إليه ...

التفسير الواقعى للمثل

المسافر :

إنسان مسافر فى طريق وعر ، نازل من أورشليم المبنية على الجبال، إلى أريحا،
وسط منحدرات المرتفعات وكهوف اللصوص. وكان وحده فوقع فى أيدي اللصوص،

فسلبوه وجرحوه، وتركوه بين حىّ وميت Half - dead .

✱ ✱ ✱

مَرَّ عَلَيْهِ كَاهِنٌ وَلاوى :

الكاهن من صميم عمله الروحى العناية بأمثال هذه الحالات. ولعله كان قادماً من
الهيكل، فى حالة روحية، حيث العبادة والتقدمات. ولعل الجريح استبشر إذ رآه، وتوقع
منه خيراً. ولكنه "جاز مقابله" (لوقا ١٦ : ٣١)، على الرغم من أنه كان فى حالة يرثى لها
ويحتاج بلاشك إلى إنقاذ عاجل ... ومع ذلك لم يأبه الكاهن به ..

✱ ✱ ✱

هذا الكاهن الذى من قمه تطلب الشريعة (ملا ٢ : ٧). كان يعرف أن الشريعة تأمره

بالرأفة حتى على الحيوانات ...

إذ يقول الكتاب "إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردًا، تردده إليه. وإن رأيت حمار
مبغضك واقعاً تحت حملته، وعدلت عن حله، فلا بد أن تحل معه" (خر ٢٣ : ٤، ٥).

فكم بالأولى كان يجب على الكاهن أن يعمل عمل رحمة مع أخيه هذا اليهودى الجريح
والملقى على الطريق؟! أليس هذا لوناً من التدين الأجوف أن يقدم الذبائح فى بيت الرب،
ويهمل أخاه! بينما يقول الرب "أريد رحمة لا ذبيحة" (هو ٦ : ٦). وهو لا فتم رحمة، ولا
تأثر روحياً بما كان قد قدمه من ذبائح!

✱ ✱ ✱

واللاوى الذى هو مساعد الكاهن فى خدمة بيت الرب، وهو أحد الذين اختارهم بدل
كل بكر فاتح رحم (عدا : ١٥، ١٦) ..

هذا اللاوى أيضاً نظر إلى الجريح ، وجاز مقابله على الرغم من الوصية ، ومن
المسئولية الرسمية، ومن المشاعر الإنسانية!!

ما كان في قلب الكاهن، ولا في قلب اللاوى ، مشاعر شفقة أو حنان، ولا حتى أداء
الواجب كرجال دين عليهم مسئولية نحو الغرباء والضعفاء...! وهما مكرسان للخدمة ...

✱ ✱ ✱

ولعل الرب دفع هذا الغريب الجريح في طريقيهما لاختبار أمانتهما

فليس المهم هو العمل الرسمي فقط، بل بالأكثر ما يعرض لنا في الطريق .

إذ قد يعتذر هذان بأنهما أسرعاً في الطريق، إذ كانت وراءهما مسئولية أخرى..
وحتى لو كان الأمر كذلك، فالواجب الذي عرض أمامهما كان أهم. وربما فكر الكاهن أنه
عندما يصل إلى غايته، سيكلف من يأتي لإنقاذ هذا الجريح! وهذا خطأ يحمل خطراً، لأن
كل دقيقة تمرّ على ذلك المسكين - الذى هو بين حيّ وميت - كانت تقربه من الموت، إن
ترك بدون إعانة .

✱ ✱ ✱

حقاً ، إن كثيراً من أعمال الخير يلزمها السرعة، إذ قد يكون التباطؤ فيها له خطره
ونتيجة المؤلمة .

كما أن التفكير في التحويل على الغير، لا يدل على حرارة في القلب من الداخل.. أو
ربما فكر الكاهن واللاوى أن الطريق خطر، وقد يعود اللصوص مرة أخرى، فتكون
العواقب سيئة عليهما. لذلك فضلاً سلامة نفسيهما. وفي هذا أنانية لا يصح أن يتصف بها
رجل دين مفروض فيه أن يبذل نفسه عن الآخرين .

✱ ✱ ✱

أو ربما فكراً أن حالة ذلك الجريح ميئوس منها، فلا داعى لأن يتعبا لأجله. واليأس
من إنقاذ الآخرين هو عيب آخر في الخدمة.

وكان الواجب عليهما أن يبذلا كل ما في طاقتهما أن يفعلاه، ويصليا أن يكمل الرب ما
ينقص من جهدهما، وينقذ الرجل . وأيضاً كان عليهما أن يتذكرا قول الكتاب "لا تمنع
الخير عن أهله، حين يكون في طاقة يدك أن تفعله" (أم ٣: ٢٧). ولاشك أنه كان في طاقة
كل منهما أن يفعل خيراً نحو رجل جريح متألم ...

✱ ✱ ✱

الكاهن واللاوى يعرفان الشريعة ، ولكنها معرفة بغير تطبيق!

ليس من المستبعد أن يكون ذلك للكاهن قد ألقى دروساً أو عظمت عن محبة القريب.
ولكنه لما واجه التطبيق العملي لم يفعل شيئاً!

ولكنه يمثل الموظف الرسمي، وليس القلب الحنون. وحتى كموظف، هو قد أهمل واجبه الوظيفي، حيث يظن أنه لا رقيب عليه أثناء سيره في ذلك الطريق، أو لا محاسب يحاسبه.

* * *

والسيد المسيح - في هذا المثل - أراد أن يلفت نظر الناموسي الذي يسأله إلى وضعهم كمعلمي الناموس : في أنهم 'يجلسون على كرسي موسى' (مت ٢٣ : ٢). ومع ذلك 'يقولون ولا يفعلون' (مت ٢٣ : ٣).

بقى أن نتحدث عن دور ذلك السامري الصالح .

وبدأة نقول : من هم السامريون ؟ وما قصتهم ؟

السَامِرِيُّونَ

كانوا لا يؤمنون إلا بأسفار موسى فقط، وينكرون بقى الأسفار، لكرهيتهم لرحبعام بن سليمان (١مل ١٢)، وكل بيت داود أبيه. بما في ذلك مزلمير داود، وحكمة سليمان وأمثاله وباقى كتبه. وكان اليهود يكرهونهم ولا يتعاملون معهم (يو ٤ : ٩)، ويعتبرونهم جنساً غريباً، كالأمم .

* * *

★ وقد عمل الرب على اجتذابهم ، وتقديم فكرة حسنة عنهم أمام لليهود كما في قصة

السامري في هذا المثل ...

★ فلما أغلقت إحدى مدن السامرة أبوابها في وجهه ولم تقبله لأن وجهه كان متجهاً إلى أورشليم. وغضب تلميذاه يعقوب ويوحنا وقالوا له "أتريد يارب أن تنزل نار من السماء فتقذيرهم كما فعل إيليا أيضاً؟" حينئذ "التفت الرب وانتهرهما وقال "لستم تعلمان من أى روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص" (لو ٩ : ٥٣-٥٦).

* * *

★ كما امتدح الرب ذلك السامري الذي كان أبرص فشفاه الرب ضمن عشرة برص

آخرين قد شفاهم، وجاء ذلك السامري ليشكره فمدحه الرب وقال "أليس العشرة قد طهرت، فأين التسعة؟! ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله غير هذا الغريب الجنس؟! ثم قال له :

قم وامض. إيمانك خلصك" (لو ١٧: ١١ - ١٩) .

إن الرب يلاحظ النقط البيضاء الموجودة حتى عند أسوأ الناس، ويطوبها .
وهكذا فعل مع هذا السامري الذي كان أبرص. ومع أن عقيبته لم تكن سليمة تماماً،
إلا أن الرب امتدح شيئاً من الإيمان كان فيه.

✱ ✱ ✱

وبالمثل تصرف مع المرأة السامرية التي كانت سيرتها رديئة. وأعجب بأنها تحب أن
تشرب من الماء الحي، وأنها تسأل عن مكان السجود، وتعرف قصة بنو يعقوب. وتعرف
"أن المسيا الذي يُقال له المسيح سيأتي ، ويخبرهم بكل شيء" (يو ٤: ١٥ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥).
فشجعها حتى اعترفت وقال لها "حسناً قلت.. هذا قلت بالصدق" (يو ٤: ١٧ ، ١٨).
وكان حديثه مع هذه السامرية الخطوة الأولى لدخوله إلى السامرة، وإيمان كثير من
السامريين على يديه، وقولهم "نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص
العالم" (يو ٤: ٣٩ - ٤٢).

✱ ✱ ✱

وهذا السامري الصالح ، امتدح الرب شففته ، واهتمامه بعمل الخير، وليس ضعف
عقيدته. إنها نقطة بيضاء جميلة فيه .
مثال ذلك مدح الرب لوكيل الظلم لأنه بحكمة صنع، واهتم بمستقبله، على الرغم من
ظلمه وعدم أمانته في وكالته .

إنه درس لنا، أن نبحث عما في الناس من نقط بيضاء، ونمتدحها.

✱ ✱ ✱

وقد اهتم الرب بالسامريين المتبوعين من المجتمع اليهودي، وكذلك بأمثالهم من
المحتقرين كالعشارين والخطاة، واجتذبتهم إليه، إلى التوبة .

بهذا الحنان تصرف مع زكا العشار، ودخل بيته، وقال عنه "إنه أيضاً ابن إبراهيم"
وبتوبته قال "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لو ١٩: ٩). وأيضاً جذب إليه متى العشار ،
وجعله رسولاً (مت ٩: ٩). وحضر وليمة في بيته، حضرها عشارون وخطاة (مت ٩:
١٠). وإتكا معهم ...

وبهذا أعطانا السيد المسيح مثلاً أن نكسب الناس، كما قيل :

"رابع النفوس حكيم" (أم ١١: ٣٠) .

✱ ✱ ✱

نعود الآن إلى (السامري الصالح) . ونأمل الخير الذي فيه .

السامري الصالح

كان هذا الغريب الجنس ينفذ وصايا الناموس أكثر من الكاهن واللاوى .
فبينما كان في نظر اليهود محتقراً، كان مقبولاً عند الله، ومثالاً صالحاً لليهود إذ كان
أفضل منهم، بل كان مثالاً لأجيال كثيرة. وقد اختاره الرب من بين فاعلي الخير، ليضعه
نموذجاً أمامنا .

✱ ✱ ✱

وكان مسافراً في نفس الطريق الوعر على دابته، ورأى أمامه ذلك اليهودي الجريح
بين حي وميت، فتحنن وتقدم لإنقاذه .

ربما اندهش الجريح اليهودي، لما رأى السامري مقبلاً إليه ليعالجه.
أو لعل خوفاً أدركه. ولكن نظرة الحنو والإشفاق في عيني السامري قد طمأنته .
لم يضع في ذهنه أن الجريح يختلف معه في العقيدة والجنس، أو هو من شعب عدو.
إنما يكفي أنه إنسان في حاجة إلى معونة.

✱ ✱ ✱

وضرب لنا بذلك مثالاً في عدم التعصب، بل في محبة الأعداء والبذل لأجلهم.
وذكرني بمستشفى ذهبت إليه قبل رهننتي لكي أزور مريضاً. فرأيت لافتة عند مدخل
المستشفى مكتوب عليها "نحن لا نسأل عن دينك أو مذهبك، إنما نسال عن صحتك ونهتم
بشفائك".

✱ ✱ ✱

هذا السامري كان أيضاً ، لا يهتم بما قد يتعرض له من شكوك ممن قد يضبطه
فجأة، وهو أمام عدو بين حي وميت .

فقد يتهمونه بأنه قد قتله، وها هو في مسرح الجريمة. ومعروفة علاقة البغض بين
اليهود والسامريين. وهنا لم يهتم بنفسه، إنما كان كل اهتمامه بهذا الجريح. ولم يشغل
نفسه بأن اللصوص ربما يعودون إلى المكان ، فيسيئون إليه. كان منكرًا لذاته ، لا يفكر
فيما قد يحدث له ...

✱ ✱ ✱

وكان سريعاً في عمل الإسعاف الذي قام به، ومتقناً لعمله :

نزل عن دابته، وضمد جروح ذلك الإنسان وصب عليها خمراً وزيتاً. كانت الخمر تُستخدم وهناك كمادة مطهرة، لما فيها من كحول. وكان الزيت كمادة عازلة تقي الجروح من الخارج. ولعله كان يحتفظ معه بالخمر والزيت لإحتياجه الخاص في ذلك الطريق الوعر. ولكنه فضل هذا الجريح على نفسه، بدلاً ما يستطيع من أجله.

* * *

وبعد ذلك حمله وأركبه على دابته، حتى أوصله إلى فندق .

وبهذا كان الجريح راكباً على الدابة، والسامري الصالح ماشياً على قدميه إلى جواره يستنده طول الطريق ...

إنه مثل عجيب في البذل، والتضحية، في كيف يمشي في ذلك الطريق الصخري الكرب، وهو يستند مريضاً على دابة بين حي وميت، لا يعرف كيف يضبط ركوبه على الدابة

* * *

أكمل السامري الصالح عمله حتى النهاية، حتى أطمأن على الجريح .

إنه لم يكتفِ بإسعافه وتركه لمصيره. بل حمله وأوصله إلى فندق، وأعطى صاحب الفندق درهمين، وطلب إليه أن يعتني به. وكان الدرهمان أجر يومين للعامل في ذلك الزمن، كما يظهر من مثل الفعلة في الكرم (مت ٢٠: ٢).

وربما الدرهمان كانا كل ما مع هذا السامري. فلم يقل الكتاب إنه كان رجلاً غنياً. إنه لم يكن مسافراً في مركبة، ومعه سائق أو سائس كما يفعل الأغنياء. بل كان مسافراً على دابة، وحده ...

* * *

والمثل يعطينا درساً في المتابعة والإطمئنان على العمل .

فلم يحدث أن السامري أوصَلَ الجريح إلى الفندق وتركه هناك ومسافر. بل أنه بات معه في الفندق تلك الليلة، ليطمئن على صحته وعلى اجتيازه مرحلة الخطر، إذ يقول للمثل "وفي الغد لما مضى.." (لو ١٦: ٣٥) قال لصاحب الفندق: اعتنِ به. ومهما أنفقت أكثر، فعند رجوعي أوفيك .

عجيب كل هذا التعب والبذل، والإنفاق والوعد بإنفاق أكثر، والوعد بالرجوع مرة أخرى إلى الفندق، للإطمئنان على جريح من أعدائه !!

★ أعطانا السامري درسا عملياً في معنى : من هو قريبي :

(ليس قريبي من بيته قريب من بيتي، بل من قلبي قريب من قلبه. قريبي هو كل إنسان محتاج إلي).

وقد أجاب الناموسي عن هذا السؤال في آخر المثل فقال عن القريب "الذي صنع معه الرحمة" (لو: ١٠: ٣٧). نلاحظ أنه ذكر الوصف، ولم يقل: السامري . ربما تعصباً منه، أو خشى أن يسمع الفريسيون ذلك فيلوموه ...

* * *

ندرك من هذا المثل أيضاً أن المحبة كالنور، تنتشر في كل مكان بلا تمييز. لا تخص مكاتاً دون آخر .

كالشمس يتمتع بضيائها كل شخص، دون تمييز من جهة الجنس أو الدين أو المذهب. وبهذا تصرف السامري بإنسانيته الخالية من التعصب: تحزن على الجريح مع أنه عدو له.. ويحنوه عليه جعله قريباً له .

* * *

★ لم يسمح لنفسه بالتفكير أو التردد ، بل أسغفه بتلقائية نتيجة لتحننه. فأحياناً التردد أو التفكير، يعطى فرصة لعدو الخير أن يتدخل.

لذلك إذا تحرك قلبك لفعل الخير، فلا تسمح للفكر أن يناقشه أو أن يؤجله. كذلك يعطنا المثل أن عمل الخير لا يعترف بالعقبات.

* * *

★ إن تعب السامري لأجل اليهودي وانفاقه عليه يعطنا درسين :

أ - أن المال الذي معنا ، ليس هو لنا، بل نحن مجرد وكلاء عليه. منحنا الله إياه لننفقه في عمل الخير .

ب - إن اليد التي يحركها الحب، لا تشعر بتعب .

الخامس

من أول وهله ، ندرك أن هذا المثل يقدم لنا أربعة أشخاص هم: الكاهن ، واللاوي ، واليهودي الجريح، والسامري الصالح .

وفي الواقع كان هناك خامس أدار العمل كله ، وهو الله .

ولا نستطيع أن نتأمل هذا المثل ، دون أن ندرك عمل الله فيه .

✱ ✱ ✱

الله هو الذى أرسل الكاهن واللاوى لكى يقوما بواجب نحو ذلك الجريح، ولكنهما لم يقوموا بواجبهما. فأرسل الله ذلك السامرى الصالح، لأنه يعرف ما فى قلبه من مشاعر طيبة. بل هو - تبارك اسمه - هو الذى وضع فى قلب السامرى كل تلك المشاعر. وقد أرسله فى ذات الوقت الذى يحتاج فيه الجريح إلى معونة عاجلة. وأرسله أيضاً فى ذات المكان ...

✱ ✱ ✱

أما عن الجريح ، فقد سمح له الله بتلك التجربة، ليجعله فرصة لعمل الخير معه. ولكى يظهر الرب أنه "يجرح ويعصب" (أى ٥ : ١٨) .

نعم "يسحق، ويذاه تشفيان" (أى ٥ : ١٨) فى نفس الوقت الذى فيه اعتدى عليه اللصوص، أرسل له الرب من يضمّد جروحه ومن يعتنى به.

بالصدفة

يقول المثل "وعرض أن كاهناً.. (لو ١٠ : ٣١). وفى الترجمة الإنجليزية By Chance أى "بالصدفة" . إنها تبدو كذلك صدفة !

✱ ✱ ✱

وفى الواقع إن ما سميت صدفة ، كانت هى التدبير الإلهى .

✱ ✱ ✱

وكثير من الأمور تبدو لنا صدفة، وهى تدبير إلهى .

بالصدفة جاء الكاهن واللاوى والسامرى . وفى حقيقة الأمر كان مرورهم على الجريح تدبيراً إلهياً، بهدف إلهى ...

وليس صدفة أن السيد المسيح ذكر هذا المثل، بل قصداً لإعطائنا مثلاً عن (محبة الأعداء) التى أمرنا بها فى العظة على الجبل (مت ٥ : ٤٤) .

✱ ✱ ✱

والسامرى الصالح فى هذا المثل كان مثلاً للسيد المسيح .

الذى وجدنا أمواتاً بالخطايا (أف ٢ : ١ ، ٥) فخلصنا وأقامنا. ولم يدفع لأجلنا دينارين فقط، بل بذل حياته ودمه.

فهرست الكتاب

صفحة

٥ مقدمة الكتاب
٧ الباب الأول : مجرد وكلاء
٨ المالك والوكلاء
١٢ شروط الوكيل وعمله :
١٤ أنت كوكيل :
٢١ الباب الثاني : ملكوت السموات
٢٢ ملكوت السموات
٢٤ أسرار الملكوت / وأمثال الملكوت
٢٧ أ - مثل الكنز المخفي واللؤلؤة الكثيرة الثمن
٣٥ ب - كل كاتب متعلم يخرج من كنزه جداً وعتقاء
٣٦ رب بيت / كنزه
٣٩ جدد وعتقاء
٤٣ الباب الثالث : عن التوبة
٤٤ أ - مثل الدرهم المفقود
٤٤ لو ١٥
٤٥ مثل الدرهم المفقود / في البيت
٥٠ تفتش باجتهاد
٥١ فرح الملائكة
٥٢ ب - مثل التينة غير المثمرة
٥٣ تينة في كرم
٥٤ النمر
٥٥ طول أناة ابنه وصبره
٥٧ الشفيح
٥٨ اتركها هذه السنة
٥٩ فترة محددة / إن صنعت ثمراً
٦١ الباب الرابع : أمثال النمو
٦٢ ١ - مثل الخميرة
٦٣ مثل الخميرة

٦٤	خميرة صغيرة
٦٦	عمل الخميرة
٧٠	ثلاثة أكيال دقيق
٧١	ملاحظات
٧٣	٢ - مثل حبة الخردل
٧٤	الأشياء الصغيرة
٧٧	مثل للتشجيع وللرجاء
٧٨	تفاصيل المثل
٨١	٣ - مثل حبة القمح
٨٧	٤ - مثل الوزنات
٨٩	وزنات متنوعة
٩١	أيها الصالح والأمين
٩٣	صاحب الوزنة الواحدة
٩٥	الباب الخامس : أمثال في مقارنات
٩٧	١ - مثل الزارع
١٠٩	٢ - مثل الحنطة والزوان
١٢٠	٣ - مثل البيتين
١٢٧	٤ - مثل الغنى ولعازر
١٣٦	٥ - مثل الفريسي والعشار
١٤٣	٦ - مثل العشر العذاري
١٥٣	الباب السادس : محبة القريب
١٥٥	مثل السامري الصالح
١٥٦	التفسير الرمزي للمثل
١٥٧	الكاهن واللاوى
١٥٩	التفسير الواقعي للمثل / المسافر / مرآة كاهن ولاوى
١٦١	السامريون
١٦٣	السامري الصالح
١٦٥	دروس من المثل / الخامس
١٦٦	بالصدفة